د. أحمد راسم النفيس

المهدي المُنتظر وفلسفة التاريخ

دار الولاء
لصناعة النشر

المهدي المنتظر
وفلسفة التاريخ

دار الولاء
لصناعة النشر

الرويس، شارع الرويس، بيروت - لبنان
Mob: 00961 3 689 496 | TeleFax: 00961 1 545 133
info@daralwalaa.com | daralwalaa@yahoo.com
P.O. Box: 307/25 | www.daralwalaa.com

ISBN 978-614-420-696-6

المهدي المنتظر وفلسفة التاريخ

المؤلف: د. أحمد راسم النفيس.

الناشر: دار الولاء لصناعة النشر.
الطبعة: الأولى بيروت_لبنان ١٤٤٣هـ/٢٠٢٢م.

إخراج فني وتنفيذ:

eight
press & production

www.8eightproduction.com | 00961 3 017 565

© جميع الحقوق محفوظة للناشر

د. أحمد راسم النفيس

المهدي المنتظر
وفلسفة التاريخ

دار الولاء
للدراسات والنشر

المحتويات

مقدمة ٧

المهدي المنتظر: من هو؟ ٩

المهدي المنتظر وفلسفة التاريخ ٥١

المهدي المنتظر وعلم الغيب ٨١

المهدي والنظر والانتظار ٩٩

المهدوية والإنسان الآتي ١٠٩

المهدي المنتظر والصراع الحضاري ١٣٣

المهدي المنتظر والربيع العربي ١٦٩

المهدوية والحركات الإسلامية ١٨٩

بين الوهابية والمهدوية ٢٠٧

المهدوية وحراكنا الثقافي ٢٢٩

التحليل السياسي لعلامات الظهور ٢٤٧

مقدمة

يتكون هذا الكتاب من مجموعة من الدراسات شاركت ببعضها في مؤتمر العقيدة المهدوية الذي يعقد سنويا في إيران في النصف من شعبان ذكرى مولد الحجة القائم المنتظر.

تجيب هذه الدراسات على مجموعة من الأسئلة التي يشكل بها المعترضون ويكررها المغيبون عن المهدي المنتظر وأئمة أهل البيت عامة ومن ضمنها هل يعلم أهل البيت الغيب؟، ولماذا علينا أن ننتظر إماما غائبا ونحن بحاجة لبضاعة حاضرة وهي الطريقة التي يفكر بها تجار الدين من أمثال بائع الدجاج الشهير الذي يزعم أن الارتقاء إلى اللّه يمر عبر تناول دجاج الوطنية بينما يعيش الغالبية العظمى من المسلمين تحت (جناح) الفقر ويُدهسون (بأوراك) الطغاة المترفين وأرجلهم ولا يشاهدون الدجاج إلا في المناسبات القومية أو لا يشاهدونه على الإطلاق!!.

سؤال آخر يكرره (دعاة الدجاج) هو: لماذا علينا أن ننتظر المهدي ولا نسعى لتغيير واقعنا عاجلا غير آجل، بينما يقول الواقع أن أغلب هؤلاء ملتحقون بمنظومة الظلم والفساد وأحد أهم وسائل إدامتها وتبرير وجودها بتغييب المثل الأعلى وطرح بضاعة يثبت التاريخ

دائما أنها لا تقدم بل تؤخر ولم يجن المسلمون من الركض وراءهم غير الخراب والدمار.

لهذه الأسباب نقدم لكم هذه المجموعة من البحوث.

دكتور أحمد راسم النفيس

٢٤/ ٠٥/ ٢٠١٨مـ

٨ رمضان ١٤٣٩هـ

المهدي المنتظر: من هو؟

عندما يعجز البعض عن نفي فكرة أو معتقد فالحل الأمثل لهذا الإشكال هو إثارة الضباب والغبار من حولها!!.

هكذا تعامل البعض مع اعتقاد أغلبية المسلمين بالمهدي المنتظر إما تشكيكا في شخصه أو محاولة لاختراع مهدي للسنة ليس هو مهدي الشيعة فهو شخص يولد في آخر الزمان من ولد الإمام الحسن من أهل البيت وليس من نسل الإمام الحسين كما يؤمن الإمامية!!.

البعض الآخر واجه المعتقد بالتسخيف والتوهين والسخرية من فكرة الانتظار وهو ما فندناه في عديد من الدراسات.

معلوم أن الرواة قد أثبتوا حقيقة المهدي الذي يملأ الأرض عدلا بعد أن ملئت ظلما وجورا وانتسابه للعترة الطاهرة وخير شاهد على ذلك ما رواه عبد الرزاق الصنعاني في مصنفه.

٢٠٧٧٠ ـ أخبرنا عبد الرزاق قال أخبرنا معمر عن أبي هارون عن معاوية بن قرة عن أبي الصديق الناجي عن أبي سعيد الخدري قال ذكر رسول اللّه ﷺ بلاء يصيب هذه الأمة حتى لا يجد الرجل ملجأ يلجأ إليه من الظلم فيبعث اللّه رجلا من عترتي من أهل بيتي فيملأ به الأرض قسطا كما ملئت ظلما وجورا يرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض لا تدع السماء من قطرها شيئا إلا صبته مدرارا ولا

تدع الأرض من مائها شيئا إلا أخرجته حتى تتمنى الأحياء الأموات يعيش في ذلك سبع سنين أو ثمان أو تسع سنين.

الطريف أن عبد الرزاق الصنعاني أستاذ أحمد بن حنبل والبخاري، الذي ولد عام ١٢٦ هجرية وامتد به العمر حتى ٢١١ أي أنه مات قبل مولد الحجة المنتظر (محمد بن الحسن العسكري) بما يقارب نصف قرن، قبل ظهور كتب مثل البخاري ومسلم وهي كتب يستغل البعض عدم ورود ذكر المهدي فيها (بصورة مباشرة) لنفي المعتقد من أساسه كما كان عبد الرزاق صاحب (المصنف) معاصرا للإمام الصادق عليه السلام، مما يعني أن الروايات المبشرة بظهور المهدي من آل محمد كانت رائجة منذ البدايات الأولى للتاريخ الإسلامي بعيدا عن أي مؤثر شيعي كما يزعمون.

في كتابه (المصنف) وضع الرجل بابا تحت عنوان المهدي، ذكر فيه عدة روايات منها:

٢٠٧٧٢ ـ أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن مطر قال كعب إنما سمي المهدي لأنه لا يهدي لأمر قد خفي قال ويستخرج التوراة والإنجيل من أرض يقال لها أنطاكية.

٢٠٧٧٣ ـ أخبرنا عبد الرزاق عن معمر عن مطر عن رجل عن أبي سعيد الخدري قال إن المهدي أقنى أجلى.

كما روى البخاري ومسلم والنص لمسلم:

٤ ـ (٢٨٨٢) حدثنا قتيبة بن سعيد وأبو بكر بن أبي شيبة وإسحاق بن إبراهيم ـ واللفظ لقتيبة ـ (قال إسحاق: أخبرنا. وقال الآخران:

حدثنا) جرير عن عبدالعزيز بن رفيع، عن عبيداللّه بن القبطية. قال: دخل الحارث بن أبي ربيعة وعبداللّه بن صفوان، وأنا معهما، على أم سلمة، أم المؤمنين. فسألاها عن الجيش الذي يخسف به. وكان ذلك في أيام ابن الزبير. فقالت: قال رسول اللّه ﷺ «**يعوذ عائذ بالبيت فيبعث إليه بعث**. فإذا كانوا ببيداء من الأرض خسف بهم» فقلت: يا رسول اللّه! فكيف بمن كان كارها؟ قال «يخسف به معهم. ولكنه يبعث يوم القيامة على نيته». وقال أبو جعفر: هي بيداء المدينة.

٥ ـ (٢٨٨٢) حدثناه أحمد بن يونس. حدثنا زهير. حدثنا عبدالعزيز بن رفيع، بهذا الإسناد، وفي حديثه: قال فلقيت أبا جعفر فقلت: إنها إنما قالت: ببيداء من الأرض. فقال أبو جعفر: كلا. واللّه! إنها لبيداء المدينة.

٦ ـ (٢٨٨٣) حدثنا عمرو الناقد وابن أبي عمر (واللفظ لعمرو). قالا: حدثنا سفيان بن عيينة عن أمية بن صفوان. سمع جده عبداللّه بن صفوان يقول: أخبرتني حفصة؛ أنها سمعت النبي ﷺ يقول «ليؤمن هذا البيت جيش يغزونه. حتى إذا كانوا ببيداء من الأرض، يخسف بأوسطهم. وينادي أولهم آخرهم. ثم يخسف بهم. فلا يبقى إلا الشريد الذي يخبر عنهم». فقال رجل: أشهد عليك أنك لم تكذب على حفصة. وأشهد على حفصة أنها لم تكذب على النبي ﷺ.

٧ ـ (٢٨٨٣) وحدثني محمد بن حاتم بن ميمون. حدثنا الوليد بن صالح. حدثنا عبيداللّه بن عمرو. حدثنا زيد بن أبي أنيسة عن عبدالملك العامري، عن يوسف بن ماهك. أخبرني عبداللّه بن صفوان عن أم المؤمنين؛ أن رسول اللّه ﷺ قال «**سيعوذ بهذا البيت**

- يعني الكعبة - **قوم ليست لهم منعة ولا عدد ولا عدة. يبعث إليهم جيش**. حتى إذا كانوا ببيداء من الأرض خسف بهم».

طبعا لم يصرح البخاري ولا مسلم (كعادتيهما) باسم هذا **العائذ الذي يعوذ** بالكعبة وهو عندنا يقينا القائم المنتظر كما أن هذه الرواية وردت في كتب التفسير شرحا لقوله ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُواْ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٥١﴾ وَقَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ وَقَدْ كَفَرُواْ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۖ وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُواْ فِى شَكٍّ مُّرِيبٍ﴾[1].

أما كونها عادة اعتادها الشيخان للهروب من الحرج والمآزق فقد استخدم مسلم في كتابه لقب (فلان) ١٤٩ مرة منعا للحرج وتفاديا لعواقب ذكر الاسم الحقيقي لسيدنا فلان رضي اللّه عنه وأرضاه ولأننا نعرف من هو (العائذ) الذي يعوذ ببيت اللّه الحرام حيث موضع ظهور الإمام الحجة أعزه اللّه.

وإكمالا للطرافة كنا نتمنى على (السيد مسلم) أن يخبرنا من يكون (أبو جعفر) وأغلب الظن أنه الإمام الباقر محمد بن علي الحسين عليهما السلام.

الخسف سيكون بجيش السفياني والرواية في الفتن لنعيم ابن حماد ورقمها ٩٤٢:

- حدثنا الوليد ورشدين عن ابن لهيعة عن أبي قبيل عن أبي رومان

---

(١) سورة سبأ، الآيتان: ٥١-٥٤.

عن علي رضى اللّه عنه قال إذا نزل جيش في طلب الذين خرجوا إلى مكة فنزلوا البيداء خسف بهم ويباد بهم وهو قوله عز وجل ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُواْ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴾ من تحت أقدامهم ويخرج رجل من الجيش في طلب ناقة له ثم يرجع إلى الناس فلا يجد منهم أحدا ولا يحس بهم وهو الذي يحدث الناس بخبرهم.

الطريف أيضا أن (الإسلاميين) في أدبياتهم لا يأتون على ذكر مهديٍ من أهل بيت النبوة كمكون من مكونات مشروعهم المستقبلي فنموذجهم الأمثل هو ما يسمونه بالخلافة الراشدة التي لم تحظ بصفة الرشد إلا متأخرا عملا بالرواية المنقولة عن (العرباض بن سارية).. (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي) وهي رواية تفرد بها رغم قوله (خطبنا رسول اللّه) وهم ينتظرون حسب ما هو شائع في أوساطهم (خلافة على منهاج النبوة) ولذا فقد هلل الكثير منهم لأبي بكر البغدادي عندما أعلن خلافة داعش في العراق قبل بضع سنوات ومن قبله (أمير المؤمنين الملا عمر) وغيرهم من الأسماء من سقط الزمان، وسخرية القدر منا!!.

(الإسلاميون) المعاصرون لهم في كل عرس قرص، فهم يبحثون عن خليفة (قرشي راشد) كأبي بكر وعمر وهم يشوشون على أتباع منهج أهل البيت عليهم السلام بنفي إمامة محمد بن الحسن العسكري الثاني عشر من الأئمة بل ويصل بهم الشطط حد نفي ولادته وغيبته وهم يلصقون كل التهم بمن ينتظر ظهوره.

يزعم (الإسلاميون) أن خلافهم مع الشيعة يتلخص حول اسم المهدي المنتظر، مستندين إلى الرواية التي تقول (يواطئ اسمه اسمي

واسم أبيه اسم أبي) فهو عندهم محمد ابن عبد اللّه وهو عند الشيعة محمد بن الحسن!!!.

منذ متى عُرف عن الجبابرة المتسلطين على رقاب المسلمين مجرد التعامل بإنسانية مع أهل بيت النبوة، سواء من أبناء الحسن أو الحسين عليه السلام، ولن نقول حبهم أو الإذعان لولايتهم حتى نتوقع منهم أن يسلموا الحكم طائعين لآخرهم بينما هم قاتلوا أولهم؟!.

وهل سيذعنون للمهدي المنتظر لمجرد أنه سيقول لهم أنا من نسل الإمام الحسين عليه السلام ومن أهل بيت النبوة وهذه بطاقتي الشخصية واسمي مطابق للروايات (الصحيحة) في كتبكم؟!.

ثم....

كيف يمكننا أن نتصور أن إعطاء السمع والطاعة لهذا العملاق الآتي من وراء الغيب ليحق الحق ويبطل الباطل يمكن أن يكون بمعزل عن الانصياع لمنهج أهل البيت فقها وعبادة وتصورا ومنهجا وهو المرفوض من هؤلاء الجبابرة طيلة القرون الماضية وكيف يمكننا أن نتخيل أن التشيع له سيصبح أمرا منطقيا ومقبولا بينما نرى الآن الرجل من المسلمين رغم هيبته ومقامه يكرر: رغم حبي لأهل البيت لست شيعيا!!.

كيف نصدق أن الذين يرون في فقه أهل البيت والتزام هديهم سبة وعارا سيتحولون فجأة إلى مقاتلين أشداء تحت رايتهم ضد قوى البغي والعدوان والنفاق (فلان بن فلان وفلان بن علان)؟!.

لأن يقال زنديق خير من أن يقال شيعي!!!!

يروي ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة: أن ابا جعفر محمد بن على الباقر عليه السلام قال لبعض اصحابه يا فلان ما لقينا من ظلم قريش ايانا وتظاهرهم علينا وما لقى شيعتنا ومحبونا من الناس، إن رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم قبض وقد اخبر أنا اولى الناس بالناس فتمالأت علينا قريش حتى أخرجت الامر عن معدنه واحتجت على الانصار بحقنا وحجتنا ثم تداولتها قريش واحد بعد واحد حتى رجعت الينا فنكثت بيعتنا ونصبت الحرب لنا ولم يزل صاحب الأمر في صعود كئود حتى قتل فبويع الحسن ابنه وعوهد ثم غدر به وأُسلم ووثب عليه اهل العراق حتى طعن بخنجر في جنبه ونهبت عسكره وعولجت خلاليل أمهات أولاده فوادع معاوية وحقن دمه ودماء أهل بيته وهم قليل حق قليل ثم بايع الحسين عليه السلام من أهل العراق عشرون الفا ثم غدروا به وخرجوا عليه وبيعته في اعناقهم وقتلوه ولم نزل ـأهل البيت ـ نستذل ونستضام ونقصي ونمتهن ونحرم ونقتل ونخاف ولا نأمن على دمائنا ودماء اوليائنا ووجد الكاذبون الجاحدون لكذبهم وجحودهم موضعا يتقربون به الى اوليائهم وقضاة السوء وعمال السوء في كل بلدة فحدثوهم بالاحاديث الموضوعة المكذوبة ورووا عنا ما لم نقله وما لم نفعله ليبغضونا الى الناس وكان عظم ذلك وكبره زمن معاوية بعد موت الحسن عليه السلام فقتلت شيعتنا بكل بلدة وقطعت الايدى والارجل على الظنة وكل من ذكر بحبنا والانقطاع الينا سجن أو نهب ماله أو هدمت داره ثم لم يزل البلاء يشتد ويزداد الى زمان عبيد اللّه بن زياد قاتل الحسين عليه السلام ثم جاء الحجاج فقتلهم كل قتلة وأخذهم بكل ظنة وتهمه حتى إن **الرجل ليقال له زنديق أو كافر احب إليه من أن يقال شيعة علي** وحتى صار الرجل الذى يذكر بالخير

ـ ولعله يكون ورعا صدوقا ـ يحدث بأحاديث عظيمة عجيبة من تفضيل بعض من قد سلف من الولاة ولم يخلق اللّه تعالى شيئا منها ولا كانت ولا وقعت وهو يحسب انها حق لكثرة من قد رواها ممن لم يعرف بكذب ولا بقلة ورع. وروى أبو الحسن على بن محمد بن ابى سيف المدايني في كتاب (الاحداث) قال كتب معاوية نسخة واحدة الى عماله بعد عام الجماعة أن برئت الذمة ممن روى شيئا من فضل ابى تراب واهل بيته فقامت الخطباء في كل كورة وعلى كل منبر يلعنون عليا ويبرءون منه ويقعون فيه وفي اهل بيته وكان اشد الناس بلاء حينئذ اهل الكوفة لكثرة من بها من شيعة علي عليه السلام فاستعمل عليهم زياد بن سمية وضم إليه البصرة فكان يتتبع الشيعة وهو بهم عارف لانه كان منهم ايام على عليه السلام فقتلهم تحت كل حجر ومدر واخافهم وقطع الايدى والارجل وسمل العيون وصلبهم على جذوع النخل وطرفهم وشردهم عن العراق فلم يبق بها معروف منهم وكتب معاوية الى عماله في جميع الآفاق الا يجيزوا لاحد من شيعة على واهل بيته شهادة. انتهى.

كيف يمكننا أن نصدق إمكانية حدوث هذا التحول الفجائي في تركيبة العقل العربي الذي تربى على قاعدة (أن يقال زنديق خير من أن يقال شيعة لعلي) ليأنس ويهش ويبش لإمام من آل محمد ويقفو أثره حياة أو موتا، ويترك ما عشش في عقله من أوهام عن خلافة على منهاج النبوة كما يزعمون.

لا نرى في الجدل الفارغ حول اسم المهدي سوى تشويشا حول القضية الأم، إذ ربما ولعل ينجحون في إقامة خلافتهم المزعومة مرة

أخرى، أما عند مجيئ الإمام المهدي فستكون هذه إحدى الحجج لرفض إمامته والتمسك بحكومات الجور والعدوان واجبة السمع والطاعة وهو ما تطفح به كتبهم وأدبياتهم.

ما هو الفارق بين النواصب المعاصرين وأسلافهم العباسيين الذين انتسبوا إلى فرع هاشمي ودعوا الناس للرضا من آل محمد ثم نكثوا عهودهم وقطعوا أرحامهم وأعملوا سيوفهم في آل علي بن أبي طالب عليه السلام والوصف لدعبل الخزاعي شاعر أهل البيت الذي قارن أفعالهم بأفعال الأمويين الذين ورثوا العداوة والبغض لأهل البيت كابرا عن كابر وصولا إلى جدهم أمية بن حرب.

لم يبق حيٌّ من الأحياء نعلمه
من ذي يمان ولا بكر ولا مضر
إلا وهم شركاء في دمائهم
كما تشارك أيسار على جزر
قتلا وأسرا وتخويفا ومنهبة
فعل الغزاة بأرض الروم والخزر
أرى أمية معذورين إن قتلوا
ولا أرى لبني العباس من عذر
قوما قتلتم على الإسلام أولهم
حتى إذا استملكوا جازوا على الكفر
أبناء حرب ومروان وأسرتهم
بنو معيط ولاة الحقد والوغر

أربـع بطـوس علـى قبـر الزكـي بها
إن كنـت تربـع مـن ديـن علـى وطـر
هيهات كل امـرئ بما كسبت له
يـــداه فـخـذ مـا شـئـت أو فـذر

الإسلاميون والغيبة

لا يؤمن أغلب (الإسلاميين) بالإمام المهدي أما البعض منهم فيقول أنه رجل صالح من أهل بيت النبوة وفقا لبعض الروايات التي أفلتت من براثن تضعيفهم وتكذيبهم التي يسمونها (علم الحديث) والتي هي في الواقع إحدى أدوات الكهانة مثل اللحية والبخور التي تعينهم على امتلاك عقل المسلمين وتوجيهه وفقا لأهوائهم وأهواء طواغيتهم.

لست ممن يؤمنون بأن ثمة شيء اسمه (الإسلاميون) فالإسلام انتماء وليس صفة يتحلى بها البعض وينتفي منها البعض الآخر.

الإسلام انتماء وعنوان جامع وانحياز للأمة الإسلامية وسعي لجمع صفوفها ورأب الصدع بين أبنائها وليس بين أفراد جماعة حزب أو عصابة ميليشياوية واختزال مصالح الأمة في إطار مصالح هذه العصابة الضيقة وإعلائها على مصالح المنتمين للأمة والأسوأ من هذا اختزال مفاهيم الإسلام الواسعة ضمن معارف تلك الجماعة المتخبطة بحيث يصبح عندهم المعروف ما عرفوا والمنكر ما أنكروا ومن ضمن ما أنكروا وجهلوا معرفتهم بحق أهل البيت ودورهم الذي لا يمكن تغييبه أو شطبه بقرار أموي أو عباسي أو إخواني!!.

وفقا لتجربتي الطويلة الممتدة مع هؤلاء فهم لا يرون في الولاء لأهل البيت ركنا من أركان التدين فالكثير منهم ينكر حديث الثقلين أو لا يعرفه من الأساس ثم عادوا ليقروا بصحته بعد أن أعيتهم الحيل والوسائل في إنكاره.

أهل البيت عندهم أناس عاديون كما أنه لا وجود لهم من الأصل في منظومتهم الدينية التي ورثوها عن بني أمية أو مغيبون عن عقولهم فكيف يمكننا تخيل إمكانية هذه القفزة المعرفية الهائلة حيث يصبح رجل عادي من أهل البيت عليهم السلام صالح بزعمهم- إماما قائدا يصلي خلفه عيسى بن مريم إلى آخر ما هو مثبت في الروايات؟.

عند الشيعة أي الذين يؤمنون بإمامة أهل البيت يشكل الإقرار بفضائل أهل البيت واقتفاء آثارهم والسير على نهجهم قاعدة من قواعد الإيمان ومن ثم فلا عجب بالنسبة لهم أن يكون ذلك الإمام الذي يحيي معالم الدين ويجدد ما اندرس من آثار النبوة فرعا من فروع هذه الشجرة الربانية (أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها)!!.

لم يعد لدى المسلمين المزيد من الفرص والمهل ليجربوا إماما من أهل البيت غير إمامنا الموصوف الذي نعرفه ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٤٦ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ﴾[1]، فأدعياء الإمامة كثيرون في هذه الدنيا وربما كان بعضهم من الصالحين، قبل أن يكتشفوا في النهاية وبعد قرون أو عقود لو لم يكن حظهم عاثرا

(١) سورة البقرة، الآيتان: ١٤٦-١٤٧.

كما هي عادتهم ليعودوا إلى نقطة البدء ولعلهم لا يجدونها ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴾[1].

الزعم بأن عامة المسلمين سينصاعون لإمام من أهل البيت تأتي به الصدفة لمجرد أنه غير الإمام الذي ينتظره الشيعة هي مزحة لا تختلف كثيرا عن سلسلة المزاح السخيف والثقيل الذي اعتاده القوم فهم عدلوا عن إمامة علي بن أبي طالب عليه السلام رغم كل مناقبه وخصاله وسجاياه التي رأوها بأم أعينهم وسجلتها كتب الحديث والتاريخ وقالوا أن ابن أبي قحافة وابن الخطاب خير منه زاعمين أن تيم وعدي خير من بني هاشم وأهدى منهم سبيلا.

كل هذه المؤهلات والسوابق والمآثر والأفضال لم تنجح في إقناع القوم بإنفاذ وصية رسول اللّه التي جهر بها مرارا وتكرارا وهاهم يزعمون الآن أنهم سيتبعون المهدي من أهل البيت إذا كان اسم أبيه عبد اللّه كما تزعم إحدى الروايات التي نزعم نحن أنها تعديل للرواية الحقيقية (يواطئ اسمه اسمي) حيث أضاف القوم من عندهم (واسم أبيه اسم أبي)!!.

منطق لا يقبل به عقل سليم!!.

لا (يؤمنون) بغير مصادرهم!!

عندما يناقش الباحث الشيعي قضية إسلامية مختلف عليها فإنه يبذل قصارى جهده لإثباتها من كتب القوم!!.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٧.

لا يعود لذلك لكونهم أضبط أو أثبت بل عملا بقاعدة (الفضل ما شهدت به الأعداء) وهو من وجهة نظري أمر محزن للغاية وهو ثمرة أربعة عشر قرن من الدعاية المضادة للشيعة.

عندما يكون الاستدلال الشيعي من مصادر القوم دامغا ولا يمكن إنكاره أو التنصل منه يجري تشغيل (جهاز التأويل) ومثال ذلك رواية (من كنت مولاه فعلي مولاه) حيث يقابلك القوم بمعنى مغاير للولاية خلافا لما استقر في ذهنك بل ووصل بهم الأمر حد إنكار أن يكون (أهل البيت) هم تلك الحلقة الضيقة من أرحام النبي وهو المعنى المستقر لأصحاب الكساء الخمسة كما ورد في التفاسير المشهورة.

إنه التشكيك بالظن وربما ولعل ويحتمل أنه أراد!، من غير دليل ولا قرينة على هذا الاحتمال!!.

أما إذا ضاق المهرب ولم يعد هناك مخرج ولا مناص زعموا أن هذا المؤلف أو ذاك المصنف شيعي رافضي إلى آخر لائحة صفات الذم والقدح المسطرة في كتبهم والتي لا يحسنون غيرها.

من ناحية أخرى فنحن لا نستطيع على وجه الدقة واليقين تحديد ما هي مصادرنا ومصادرهم (!!) ولا هم أيضا يعرفون ويكفي المحدث في الزمن الأول وربما حتى الآن أن يحدث بفضائل أهل البيت ليوصف بالتشيع والأهم من هذا أن يجري استبعاد كتبه من التداول والتوزيع -كما يجري الآن- واستبعاده هو شخصيا من دفتر الأحياء إن تيسر لهم هذا!!.

ورغم أن المحدث النسائي قتل ضربا في خصيتيه حتى الموت

لأنه ألف (مناقب الإمام علي بن أبي طالب)، إلا أن (سنيته) ما تزال على قيد الحياة!!.

أما الكنجي الشافعي صاحب (كفاية الطالب في مناقب علي بن أبي طالب) و(التبيان في أخبار صاحب الزمان) فقد قتل وبقرت بطنه سنة ٦٥٨هـ لأنه اتهم بالميل إلى الشيعة وأشاد بقتله والتمثيل بجثته أبو شامة المقدس وابن تغربردي وابن كثير ولم يفلح في إبقائه على قيد الحياة ذلك اللقب العريض الذي ذيل به اسمه (الشافعي)!.

السيد مؤمن الشبلنجي

أحد العلماء (السنة) الذين أثبتوا حقيقة الإمام المهدي وأنه الثاني عشر من أئمة أهل بيت النبوة محمد بن الحسن الخالص بن علي الهادي بن محمد الجواد هو (السيد مؤمن بن حسن مؤمن الشبلنجي وهي قرية من قرى مصر بينها وبين بنها العسل مسيرة ساعتين المولود سنة نيف وخمسين بعد المائتين والألف وتربى في حجر والده وحفظ القرآن وتلقى علومه بالأزهر الشريف).

أي أن الرجل عاش في مصر نهاية عصر المماليك فلا يعقل أنه أثر من آثار (التمدد الشيعي الإيراني الصفوي) الذي لم نسمع عنه إلا منذ بضع سنوات، ولا يعقل أيضا أنه كتب ما كتب إرضاء لسلاطين المماليك أو تمهيدا للغزو الفرنسي الذي كنس دولتهم وألقى بها في مزابل التاريخ!!.

يقول الشيخ الشبلنجي في كتابه (نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار):

فصل: في ذكر مناقب محمد بن الحسن الخالص بن علي الهادي بن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي اللّه عنهم).

أمه أم ولد ويقال لها نرجس وقيل صقيل وقيل سوسن وكنيته أبو القاسم ولقبه الإمامية بالحجة والمهدي والخلف الصالح والقائم والمنتظر وصاحب الزمان وأشهرها المهدي.

صفته: شاب مربوع القامة حسن الوجه والشعر يسيل شعره على منكبيه أقنى الأنف أجلى الجبهة، بوابه محمد بن عثمان وهو آخر الأئمة الإثني عشر على ما ذهب إليه الإمامية، وفي الفصول المهمة قيل أنه غاب في السرداب والحرس عليه سنة ست وستين ومائتين وفي الصواعق ويسمى بالقائم المنتظر قيل لأنه ستر بالمدينة وغاب فلم يعلم أين ذهب.

وذكر العلامة **الشيخ ابن بطوطة** في رحلته ما نصه: ثم وصلت إلى مدينة الحلة وهي مستطيلة مع الفرات وأهلها كلهم إمامية اثنا عشرية وبها مسجد على بابه ستر حرير يقولون أن محمد بن الحسن العسكري دخل هذا المسجد وغاب فيه وهو عندهم الإمام المهدي المنتظر وفي كل يوم يلبس آلة الحرب مائة منهم ويأتون باب المسجد ومعهم دابة مسرجة ملجمة ومعهم الطبول والبوقات ويقولون اخرج يا صاحب الزمان فقد كثر الظلم والفساد وهذا أوان خروجك ليفرق اللّه بك بين الحق والباطل ويقفون إلى الليل ثم يعودون وكذلك دأبهم.

وفي تاريخ **ابن الوردي**: ولد محمد بن الحسن الخالص سنة خمس وخمسين ومائتين وتزعم الشيعة أنه دخل السرداب في دار أبيه بسر من رأى وأمه تنظر إليه فلم يعد إليها وكان عمره تسع سنين وذلك سنة خمس وستين[١].

وما زال النقل عن الشيخ الشبلنجي: قال الشيخ أبو عبد اللّه محمد بن يوسف بن محمد الكنجي في كتابه (البيان في أخبار صاحب الزمان): من الأدلة على كون المهدي حيا باقيا بعد غيبته وإلى الآن وأنه لا امتناع في بقائه بقاء عيسى بن مريم والخضر وإلياس من أولياء اللّه تعالى وبقاء الأعور الدجال وإبليس اللعين من أعداء اللّه تعالى وهؤلاء قد ثبت بقاؤهم بالكتاب والسنة[٢].

يقول الشيخ الشبلنجي تحت عنوان (تتمة في الكلام على أخبار المهدي):

واعلم أنهم اختلفوا فيه هل هو من ولد الحسن السبط رضي اللّه عنهما وهو ما رواه أبو داود في سننه وذهب إليه المناوي في كبيره وكأن سره تركه الخلافة للّه عز وجل شفقة على الأمة، أو من ولد الحسين السبط رضي اللّه عنه قال بعضهم وهو الصحيح اسمه أحمد أو محمد بن عبد اللّه قال القطب الشعراني في اليواقيت والجواهر: المهدي من ولد الإمام الحسن العسكري ابن الحسين ومولده ليلة النصف من شعبان سنة خمس وخمسين ومائتين بعد الألف وهو باق إلى أن يجتمع بعيسى بن مريم عليه السلام، هكذا أخبرني الشيخ حسن

---

(١) نور الأبصار في مناقب آل بيت النبي المختار ص ٣٤٥.

(٢) نور الأبصار ص ٣٤٦.

العراقي المدفون فوق كوم الريش المطل على بركة الرطل بمصر المحروسة ووافقه على ذلك سيدي علي الخواص[١].

الجهلُ نورٌ والعلمُ ضلالٌ!!!

هذا هو واقع الحال بالنسبة لكثير من المسلمين الذين جعلوا علمهم جهلا ويقينهم شكا وتركهم اللّه في ظلمات لا يبصرون!!.

﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّآ أَضَآءَتْ مَا حَوْلَهُۥ ذَهَبَ ٱللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِى ظُلُمَٰتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾[٢].

كثير ممن سماهم الناس بالعلماء وهم من أجهل خلق اللّه وأضعفهم عقلا كما وصفهم إمام الأمة علي بن أبي طالب بقوله (وَرَجُلٌ قَمَشَ جَهْلًا مُوضِعٌ فِي جُهَّالِ الْأُمَّةِ عَادٍ فِي أَغْبَاشِ الْفِتْنَةِ عَم بِمَا فِي عَقْدِ الْهُدْنَةِ قَدْ سَمَّاهُ أَشْبَاهُ النَّاسِ عَالِماً وَلَيْسَ بِهِ، بَكَّرَ فَاسْتَكْثَرَ مِنْ جَمْعِ مَا قَلَّ مِنْهُ خَيْرٌ مِمَّا كَثُرَ حَتَّى إِذَا ارْتَوَى مِنْ مَاءٍ آجِنٍ وَاكْتَنَز مِنْ غَيْرِ طَائِلٍ جَلَسَ بَيْنَ النَّاسِ قَاضِياً ضَامِناً لِتَخْلِيصِ مَا الْتَبَسَ عَلَى غَيْرِهِ فَإِنْ نَزَلَتْ بِهِ إِحْدَى الْمُبْهَمَاتِ هَيَّأَ لَهَا حَشْواً رَثًّا مِنْ رَأْيِهِ ثُمَّ قَطَعَ بِهِ فَهُوَ مِنْ لَبْسِ الشُّبُهَاتِ فِي مِثْلِ نَسْجِ الْعَنْكَبُوتِ لَا يَدْرِي أَصَابَ أَمْ أَخْطَأَ فَإِنْ أَصَابَ خَافَ أَنْ يَكُونَ قَدْ أَخْطَأَ وَإِنْ أَخْطَأَ رَجَا أَنْ يَكُونَ قَدْ أَصَابَ جَاهِلٌ خَبَّاطُ جَهَالَاتٍ عَاشٍ رَكَّابُ عَشَوَاتٍ لَمْ يَعَضَّ عَلَى الْعِلْمِ بِضِرْسٍ قَاطِعٍ يَذْرُو الرِّوَايَاتِ ذَرْوَ الرِّيحِ الْهَشِيمَ لَا مَلِيٌّ وَاللَّهِ

(١) نور الأبصار ٣٤٨.

(٢) سورة البقرة، الآيتان ١٧-١٨.

بِإِصْدَارِ مَا وَرَدَ عَلَيْهِ وَلَا أَهْلٌ لِمَا قُرِّظَ بِهِ لَا يَحْسَبُ الْعِلْمَ فِي شَيْءٍ مِمَّا أَنْكَرَهُ وَلَا يَرَى أَنَّ مِنْ وَرَاءِ مَا بَلَغَ مَذْهَباً لِغَيْرِهِ)، ممن خاضوا في هذه المسألة رجما بالغيب ﴿ وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴾[1].

ابن حجر الهيثمي!!!

أحد هؤلاء (ابن حجر الهيتمي) الذي نفى أن يكون المهدي من ولد الإمام الحسين عليه السلام قائلا: ورواية كونه من ولد الحسين واهية جدا ومع ذلك لا حجة فيه لما زعمته الرافضة أن المهدي هو الإمام أبوالقاسم محمد الحجة بن الحسن العسكري ثاني عشر الأئمة الآتين في الفصل الآتي على اعتقاد الإمامية ومما يرد عليهم ما صح أن اسم أبي المهدي يوافق اسم أبي النبي واسم أبي محمد الحجة لا يوافق ذلك ويرده أيضا قول علي بن أبي طالب مولد المهدي بالمدينة ومحمد الحجة هذ إنما ولد بسر من رأى سنة خمس وخمسين ومائتين والقائلون من الرافضة بأن الحجة هذا هو المهدي يقولون لم يخلف أبوه غيره ومات وعمره خمس سنين آتاه اللّه فيها الحكمة كما آتاها يحيى عليه الصلاة والسلام صبيا وجعله إماما في حال الطفولية كما جعل عيسى عليه السلام كذلك توفي أبوه بسر من رأى وتسَتَر هو بالمدينة وله غيبتان صغرى من منذ ولادته إلى انقطاع السفارة بينه وبين شيعته وكبرى وفي آخرها يقوم وكان فقده يوم الجمعة سنة ست وتسعين ومائتين فلم يدر أين ذهب خاف على نفسه فغاب فقال ابن خلكان والشيعة ترى فيه أنه المنتظر والقائم المهدي وهو صاحب السرداب عندهم وأقاويلهم فيه كثيرة وهم ينتظرون خروجه آخر

---

(١) سورة سبأ، الآية: ٥٣.

الزمان من السرداب بسر من رأى دخله في دار أبيه وأمه تنظر إليه سنة خمس وستين ومائتين وعمره حينئذ تسع سنين فلم يعد يخرج إليها وقيل دخله وعمره أربع وقيل خمس وقيل سبعة عشر. انتهى ملخصا والكثير على أن العسكري لم يكن له ولد لطلب أخيه جعفر ميراثه من تركته لما مات فدل طلبه أن أخاه لا ولد له وإلا لم يسعه الطلب وحكى السبكي عن جمهور الرافضة أنهم قائلون بأنه لا عقب للعسكري وأنه لم يثبت له ولد بعد أن تعصب قوم لإثباته وأن أخاه جعفرا أخذ ميراثه وجعفر هذا ضللته فرقة من الشيعة ونسبوه للكذب في ادعائه ميراث أخيه ولذا سموه واتبعه فرقة وأثبتوا له الإمامة والحاصل أنهم تنازعوا في المنتظر بعد وفاة العسكري على عشرين فرقة وأن الجمهور غير الإمامية على أن المهدي غير الحجة هذا إذ تغيب شخص هذه المدة المديدة من خوارق العادات فلو كان هو لكان وصفه بذلك أظهر من وصفه بغير ذلك مما مر ثم المقرر في الشريعة المطهرة أن الصغير لا تصح ولايته فكيف ساغ لهؤلاء الحمقى المغفلين أن يزعموا إمامة من عمره خمس سنين وأنه أوتي الحكم صبيا مع أنه لم يخبر به ما ذلك إلا مجازفة وجراءة على الشريعة الغراء. انتهى النقل.

كان هذا كلام (الناصبي) ابن حجر الهيثمي الذي لا يتوانى عن وصف الشيعة ونبذهم بلقب (الرافضة) ولو كان بوسعه نفي ولادة الإمام الثاني عشر من أئمة أهل البيت عليهم السلام لنفى، إلا أن المشهور المنقول بين (علماء) المسلمين ولادته عام ٢٥٥ هـ وأن ما يروج لها خط الانحراف حاليا أن (الإمام الحسن العسكري لا ولد له) ليست سوى زعما منسوبا لمن وصفهم ابن حجر (بالكثير أن العسكري لم يكن له ولد لطلب أخيه جعفر ميراثه من تركته لما مات فدل طلبه أن

أخاه لا ولد له وإلا لم يسعه الطلب) فضلا عن (حكاية السبكي عن جمهور الرافضة أنهم قائلون بأنه لا عقب للعسكري وأنه لم يثبت له ولد بعد أن تعصب قوم لإثباته وأن أخاه جعفرا أخذ ميراثه)!!!.

خلاصة ما قاله ابن حجر الهيثمي: أن الخبر بولادة أبي القاسم محمد بن الحسن العسكري أي المهدي المنتظر خبر شائع ورائج وأن محاولته نفي الخبر فيستند لـ(أعاليل بأباطيل وأضاليل) رغم أن الإثبات مقدم على النفي خاصة في قضايا النسب والميراث وأن فتح الباب أمام هذا النوع من التشكيك دون بينة قاطعة ولا برهان ولا دليل سيفتح أبواب جهنم ليس فقط على المسلمين بل على البشرية بأسرها.

كما أن شهادة أهل أي بيت على نسبهم وميراثهم مقدم ومصدق على شهادات الآخرين كما في الفقرة التالية.

هل نحن أمة تؤمن بالقرآن؟!

لسنا فقط أمة تجهل أو تتجاهل ما ورد في كتاب اللّه عز وجل من أحكام تفصيلية، بل نحن أمة تتجاهل العقل ولا ترى له حاجة ولا مكانا في فهم حقائق الكون وحركة النبوات.

أمة ترى أن الغائب يرى ما لا يراه الشاهد وتقدم شهادته الكاذبة على شهادة أهل البيت الأعلم بما فيه!!.

عندما يطل علينا كائن تافه زاعما أن الإمام الحسن العسكري كان عقيما لا ينجب فمن واجبنا أن نسأله: هل اطلع فخامته على الفحوصات الطبية للإمام الحسن العسكري حتى يمكنه التنطح بهذا الإعلان الفاجر والوقح والمنحط؟!.

يقول الشيخ المفيد في الإرشاد: ومَرِضَ الإمام الحسن العسكري أبو محمد عليه السلام أول شهر ربيع الأول سنةَ ستين ومائتين، وماتَ في يوم الجمعة لثمانِ ليالٍ خَلَوْنَ من هذا الشهر في نفس السنةِ، وله يَوْمَ وفاته ثمانٌ وعشروَنَ سنة، ودُفِنَ في دُفِنَ فيه أبوه من دارِهما بسُرَّ مَنْ رأى.

فمتى وكيف علم هذا الأنوك أن الحسن العسكري الذي توفي في ريعان شبابه عقيم لا ينجب؟، اللهم إلا من مصادره المزينة والمذيلة بقيل وقال والتي لا يهش ويبش لها إلا عقول ذيلية تافهة أو نفوس مريضة دينها بغض أولياء اللّه الصالحين؟!.

استشهد الإمام الحسن العسكري كما يبدو لنا واضحا من عمره القصير ومرضه الأقصر الذي لم يدم سوى أسبوع واحد (وخَلَّفَ ابْنَه المنتَظَرَ لدولةِ الحقِّ وكانَ قد أخْفى مَوْلدَه وسَترَ أمْرَه لصُعوبة الوَقْتِ، وشِدَّةِ طَلَب سُلْطانِ الزمانِ له، واجْتهادِه في البَحْثِ عن أمْرِه، ولِما شاعَ مِنْ مَذْهَب الشيعةِ الإمامية فيه، وعُرِفَ من انتظارِهم له، فلم يُظْهِرْ وَلَدَه عليه السَلامُ في حياتِه، ولا عَرَفَه الجُمْهورُ بعد وَفاتِه.

وتولّى جعفرُ بن عليّ أخو أبي محمد عليه السلام أخْذَ تَركَتِه، وسَعى في حَبْسِ جواري أبي محمد عليه السلام واعْتقالِ حلائِلِه، وشنّعَ على أصحابه بانْتِظارِهم وَلَدَه وقَطْعِهِمْ بوجودِه والقولِ بإمامتِه، وأغْرى بالقوم حتى أخافَهم وشرّدَهم وجَرى على مخلَّفي أبي محمد عليه السلام بسببَ ذلك كُلّ عظيمةٍ، من اعتقالٍ وحَبْسٍ وتَهْديدٍ وتَصْغيرٍ واسْتِخْفافٍ وذُلٍّ ولم يَظْفَرِ السلطانُ منهم بطائلٍ.

وحازَ جعفرُ ظاهِرَ تَركةِ أبي محمد عليه السلام وَاجْتَهَدَ في القيام عند

الشيعةِ مَقامَه فلم يَقْبَلْ أحدٌ منهم ذلك ولا اعْتَقَدَه فيه فصارَ إِلى سُلطانِ الوقْتِ يَلْتَمِسُ مَرْتَبَةَ أخيه، وبَذَلَ مالاً جليلاً، وتقّرب بكل ما ظَنَ أنّه يتقرب به فلم يَنْتَفِعْ بشيءٍ من ذلك. انتهى النقل عن الشيخ المفيد في الإرشاد.

هل كان بوسع آل الرسول ﷺ آنئذ إقامة العزاء وتلقي البيعة لإمام الزمان -ولو حتى في المقابر كما كان يفعل الإخوان- والإعلان عن بدء عصر جديد يظهر فيه المعد لقطع دابر الظلمة جهارا نهارا؟!.

ما قيمة ما قام به جعفر الكذاب من استيلاء على ظاهر تركة أبي محمد عليه السلام وهل ينفي هذا وجود الوريث الشرعي؟!.

التنازع في المواريث أمر شائع ومتكرر في حياة البشر وهناك ظروف استثنائية جزئية تصدى لها الشارع المقدس بالعلاج مثل حالات الموت في السفر ولذا جاء في القرآن الكريم:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ شَهَـٰدَةُ بَيْنِكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ حِينَ ٱلْوَصِيَّةِ ٱثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ أَوْ ءَاخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنتُمْ ضَرَبْتُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَأَصَـٰبَتْكُم مُّصِيبَةُ ٱلْمَوْتِ ۚ تَحْبِسُونَهُمَا مِنۢ بَعْدِ ٱلصَّلَوٰةِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ إِنِ ٱرْتَبْتُمْ لَا نَشْتَرِى بِهِۦ ثَمَنًا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَلَا نَكْتُمُ شَهَـٰدَةَ ٱللَّهِ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلْـَٔاثِمِينَ ﴿١٠٦﴾ فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَـٰنِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَـٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَـٰدَتِهِمَا وَمَا ٱعْتَدَيْنَآ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٠٧﴾ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِٱلشَّهَـٰدَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَآ أَوْ يَخَافُوٓاْ أَن تُرَدَّ أَيْمَـٰنٌۢ بَعْدَ أَيْمَـٰنِهِمْ ۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱسْمَعُواْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴾[1].

---

(١) سورة المائدة، الآيتان: ١٠٦-١٠٨.

وللآيةِ الحكمُ سببٌ للنزول ذكره المفسرون والمحدثون ومن ضمنهم البخاري[1]، إلا أن ما يهمنا هنا هو قاعدة تحليف شهود الوفاة وإن لم يكونوا من الأقربين ﴿ فَإِنْ عُثِرَ عَلَىٰٓ أَنَّهُمَا ٱسْتَحَقَّآ إِثْمًا ...﴾ أي كذبا وجحدا الحق وخانا الأمانة ﴿ فَـَٔاخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْأَوْلَيَـٰنِ فَيُقْسِمَانِ بِٱللَّهِ لَشَهَـٰدَتُنَآ أَحَقُّ مِن شَهَـٰدَتِهِمَا وَمَا ٱعْتَدَيْنَآ إِنَّآ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾ فالشهادة الأوثق والأثبت هي شهادة الأولى والأقرب للمتوفى.

أهل أي بيت أعلم بما فيه، فما بالك بأهل بيت النبوة الذين أذهب اللّه عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا وقد انتشر الخبر الموثوق منهم إلى شيعتهم المخلَصين بولادة الثاني عشر من أئمة أهل البيت أبو القاسم محمد بن الحسن الحجة القائم المنتظر.

من البديهي ومن الواقع المعاش أن الجحود في مسائل الإرث لا يقتصر على الممتلكات والمنقولات ويمكن أن يمتد ليشمل جحود الورثة وإنكار نسبتهم للمورث وهو ما فعله جعفر شقيق الإمام الحسن العسكري الذي سولت له نفسه أمرا كما سولت لأخوة يوسف، خاصة في تلك الظروف والأوضاع حيث لم يكن النزاع قاصرا على الممتلكات بل على ملك الدنيا بأسرها!!.

ومن البديهي والمسلم به أن إعلان الإمام العسكري عن ولادة ابنه ووصيه القائم المنتظر وشهادة خواص الشيعة المحيطين به فضلا عن شيوع هذه الأخبار ووصولها لأناس على شاكلة ابن حجر الهيثمي يمنعان أي تشكيك في هذا الشأن لأن الظن لا يغني من الحق شيئا!!.

---

(١) يمكن لمن أراد أن يقرأ القصة بتفاصيلها أن يبحث عن (تميم الداري) في البخاري.

شهادة ابن الوردي

إنه الشيخ زين الدين عمر ابن الوردي الذي يروي في تاريخه:

في جمادى الآخرة لخمس بقين عام ٢٥٤ هـ توفي بسر من رأى عليّ الملقب بالزكي وبالهادي والنقي أحد الأئمة الإثنى عشر على رأي الإمامية وهو ابن الجواد (محمد بن علي بن موسى الرضا) وكان قد سُعي به إلى المتوكل أن عنده كتبا وسلاحا فأرسل إليه الأتراك ليلا على غفلة فوجدوه في بيت مغلق وعليه مدرعة شعر مستقبل القبلة يترنم بآيات في الوعد والوعيد ليس بينه وبين الأرض بساط إلا الرمل والحصى فحمل على هيئته إلى المتوكل وهو على الشراب وفي يده الكأس فأعظمه وأجلسه بجنبه وناوله الكأس فقال يا أمير المؤمنين ما خامر لحمي ودمي قط فأعفني منه فأعفاه وقال أنشدني شعرا فقال إني لقليل الرواية للشعر فقال المتوكل لا بد منه فأنشده:

باتـوا علـى قلـلِ الاجبال تحرسُـهم
غُـلْبُ الرجـالِ فمـا أغنتهـمُ القُلـلُ

واسـتنزلوا بعـد عـزّ مـن معاقلهـم
وأودعـوا حـفـراً يـابئس مـا نزلوا

ناداهمُ صـارخٌ من بعد ما قبروا
أيـن الاسـرّةُ والتيجـانُ والحلـلُ

أيـن الوجـوه التـي كانـتْ منعمـةً
مـن دونهـا تُضـربُ الأسـتارُ والكلـلُ

فـافـصـــحَ القبـرُ حيـن سـاءلهم
تـــلك الوجـوه عليهـا الـدودُ يقتتـلُ
قد طالما أكلوا دهـراً وما شربوا
فأصبحوا بعد طول الأكلِ قد أكلوا[1]
وطالمـا عمّـروا دوراً لتُحصنهـم
ففارقـوا الـدورَ والأهليـنَ وارتحلـوا
وطالمـا كنـزوا الأمـوال وادّخـروا
فـخلّفوها علـى الأعـداء وانتقلـوا
أضـحـت منازلُهـم قفـراً معطلـةً
وسـاكنوها الـى الاجـداث قـد رحلـوا
سـل الـخـليفةَ إذ وافـت منيتـهُ
أيـن الحمـاة وأيـن الخيـلُ والخـولُ
ايـن الرمـاةُ أمـا تُحمـى بأسـهمِهمْ
لـمّـا أتـتك سـهامُ المـوتِ تنتقـلُ
أيـن الكمـاةُ أمـا حاموا أمـا اغتضبوا
أيـن الجيـوش التـي تُحمـى بهـا الدولُ
هيهـات مـا نفعـوا شـيئاً ومـا دفعـوا
عـنك المنيـة إن وافـى بهـا الأجـلُ
فكيـف يرجـو دوامَ العيـش متصـلاً
مـن روحـه بجبـالِ المـوتِ تتصـلُ

---

(١) توقف ابن الوردي عند هذا البيت إلا أنا ذكرناها كاملة من مصادر التاريخ نظرا لروعتها.

فبكى المتوكل وأمر برفع الشراب وقال يا أبا الحسن أعليك دين قال نعم أربعة آلاف دينار فدفعها إليه ورده إلى منزله مكرما ومولد عليّ في رجب سنة أربعة عشر ومائتين ويقال لها محلة العسكر لسكنى العسكر بها وكانت سكنه وهو عاشر الأئمة الإثنى عشر والد الحسن العسكري وولادة الحسن المذكور سنة ثلاثين ومائتين وتوفي في ربيع الأول وقيل جمادى الأول سنة مائتين وستين بسر من رأى ودفن بجنب أبيه والحسن العسكري والد محمد المنتظر صاحب السرداب والمنتظر ثاني عشرهم ويلقب أيضا بالقائم والمهدي والحجة ومولده سنة خمس وخمسين ومائتين وتزعم الشيعة أنه دخل السرداب في دار أبيه بسر من رأى وأمه تنظر إليه فلم يعد إليها وكان عمره تسع سنين حينئذ وذلك سنة خمس وستين على خلاف فيه[1].

نبذة عن (الديموقراطية العباسية المعتزية)!!.

يروي ابن الوردي في تاريخ سنة ٢٥٥هـ: وفيها في رجب خُلع المعتز بن المتوكل وذلك أن الأتراك طلبوا أرزاقهم ونزلوا معه إلى خمسين ألف دينار فلم يكن عنده مال فاتفق عليه الأتراك والمغاربة وقالوا اخرج إلينا فاعتذر بشرب دواء أفرط في العمل وأمر بدخول بعضهم عليه فدخلوا وجروا برجله إلى باب الحجرة وضربوه بالدبابيس وخرقوا قميصه وأقاموه في الشمس ولطموه وهو يتقي بيده وأشهدوا القاضي على خلعه ثم عُذب ومنع الطعام والشراب ثلاثا ثم أدخل سردابا وجصص عليه وقد دفن بسامراء مع المنتصر!!![2].

---

(١) تاريخ ابن الوردي ص ٢٣١-٢٣٢.

(٢) ذات المصدر ص ٢٣٢.

المفاجأة (بحر الأنساب)!!

كتاب بحر الأنساب أو المشجر الكشاف لأصول السادة الأشراف لمؤلفه العلامة السيد محمد بن أحمد بن عميد الدين الحسيني النجفي المتوفى سنة ٤٣٣هـ

بينما كنت أزور معرض الكتاب الذي يقام سنويا في جامعة المنصورة مصر، لفت نظري كتاب من طباعة الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية عام ٢٠١٥ ميلادية، من تحقيق (صاحب الفضيلة الأستاذ السيد حسين محمد الرفاعي من علماء الأزهر الشريف ومن كبار موظفي دار الكتب المصرية) وعليه تحقيقات السيد محمد مرتضى الزبيدي شارح القاموس بخط يديه، نقل من دار الكتب المصرية بنسخة وحيدة مخطوطة بيد العلامة السيد محمد مرتضى الزبيدي المتوفى سنة ١٢٠٥ هجرية.

مقدمة الكتاب:

يقول حسين محمد الرفاعي من علماء الأزهر الشريف والحائز للدرجتين العالميتين الشافعي والحنفي أن علم الأنساب علم علت أقداره وسمى مداره.

قال تعالى ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ وقال ﷺ (تعلموا أنسابكم تصلوا رحمكم) وكان من أجل خدمة لأعتاب الرسول الأعظم جمع كتاب يجمع شتات أنساب آل محمد آل البيت الأطهار نجوم الهدى وشموس كنانة وقريش من بني هاشم فخر العالم وأصل المجد العربي والسؤدد.

حركتني نعمة الشرف والانتساب إلى جدي الأعلى أمير المؤمنين سيدنا الإمام الحسين أبي عبد اللّه العناية بسجل زاخر وموسوعة جامعة لنسل النبي المختار من ذرية الحسن والحسين تتناسب مع عظمتهما وتتفق مع الصدق بالسند الصحيح لذرية آل البيت سلام اللّه عليهم ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾، ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾، وكل نسب وحسب سينقطع إلا نسبهما الشريف وحسبهما المنيف، فاستحضرت من الكتب الخطية في أنساب العرب وأنساب آل البيت ما لا يحصى عدده واستخرجت من بطون كنوز دار الكتب المصرية كتبا كتبت للخلفاء والملوك والسلاطين في ذرية محمد نجوم الهدى فبعضها كتب بماء الذهب الخالص وحلي بمداد العسجد إجلالا وإعظاما للبيت النبوي

يا أهل بيت النبي من بذلت فـي حبكـم روحـه فمـا غُبنا

كما اطلعت على مخطوطات أثرية في الأنساب ومشجرات قدمت لملوك بني العباس والفاطميين وغيرهم في أصول وفروع آل بيت النبي المختار.

اللّه فضلهم قدما وشرفهم جرى بذاك لهم في لوحة القلم

لكني لم أجد بعد استقصاء كتب الأنساب والشجرات والتواريخ بأوفى وأشمل من كتاب بحر الأنساب المحيط أو المشجر الكشاف لأصول السادة الأشراف للإمام النجفي.

رأيت هذا البحر لهذا الإمام نسخة مخطوطة يظن أنها بخط السيد

محمد مرتضى الزبيدي الحسيني شارح القاموس وعليها تحقيقات بخط يده وتوقيع بخامته على آخر هذا البحر الزخار الذي حوى ما لم يحوه كتاب لا قبله ولا بعده من حصر أسماء جميع آل البيت رضوان اللّه عليهم فروعهم وأصولهم أسماء وكنية ومن تواريخهم ووقائعهم في كل بلاد اللّه من مصر المحروسة والهند والصين والشام واليمن والعرب وبلاد الأندلس.... من لدن آدم إلى سيدنا محمد أفضل مخلوق وأصل الموجودات إلى جميع ذريته وأنسابهم وأحسابهم وتنقلهم في البلاد بالتاريخ الصحيح والسند المتصل فقلت تلك معجزة كبرى للإمام النجفي صاحب هذا الفخر الدائم وهذا البحر الفياض.

عثرت على هذه النسخة بدار الكتب المصرية وكانت في حرز حصين من أن تصل إليها يد مطلع بل كانت كالأثر الذي يحرز ولا يفحص.

فاستنفدت الجهد في نسخه أولا وضبطه ضبطا يبعد عني لعن اللّه الداخل فينا بلا نسب والخارج منا بعير سبب وطابقت هذا الأصل على مائة مخطوط وأربعة من أمهات كتب التواريخ والأنساب المحفوظة بدار الكتب المصرية واستحضرنا كتبا من بلاد المغرب ومكتبات العالم حتى تقوم بالخدمة الصحيحة لآل البيت ذوي القربى وقد تحريت المستندات والحجج التي قدمت لي من بعض السادة الأشراف لتصلهم بسلاسل الذهب من هذا الكتاب حتى تكون الحلقات الهبية متصلة بهم إلى جدهم الأعلى سيدنا الحسين أو سيدنا الحسن ومنهما رضوان اللّه عليهما إلى رسول اللّه ﷺ أصل الشرف

ولقد سبقني إلى هذا السيد محمد مرتضى الزبيدي شارح القاموس في إيصال جماعة من الأشراف إلى ما وصل إليه البحث من الإمام النجفي حيث توفي السيد الزبيدي المذكور سنة ١٢٠٥ هجرية، وعلى ذلك سميته بحر الأنساب المحيط.

أردت بعد ذلك أن اضع ذيلا لهذا البحر الزاخر فوضعت كتابا سميته نور الأنوار في فضائل آل البيت الأطهار وتورايخهم وأضرحتهم وتحقيق مشاهدهم ومزاراتهم ومناقبهم وتراجمهم مستندا لذلك بذكر وقائعهم ناقلا عن الكتب التاريخية الأثرية المعتبرة بدار الكتب المصرية حتى جاء والحمد للّه كتابا وافيا جامعا شاملا لكل من يهمه تاريخ الرسول الأعظم وأولاده سفن النجاة ونجوم الهداية في مشارق الأرض ومغاربها وما قصدت بهذا الأثر الجامع الصحيح إلا محبة الرسول والإخلاص لآل بيت محمد وذريته خادما لتراب نعالهم الشريفة، اللهم احشرني تحت لوائهم وتابعا لهم واغفر لي بسبب هذه المحبة[1].

المهدي المنتظر في (بحر الأنساب)

يقول السيد/ حسين الرفاعي:

وقد رتب المؤلف الإمام السيد محمد ابن أحمد بن عميد الدين الحسيني كتابه (أو بحره) على خمسة عشر بابا، أولها في ولادته ﷺ وبعثته وعمره ووفاته والدلائل الدالة على المهدي المنتظر ونسبه[2].....

---

(١) كتاب بحر الأنساب (المشجر الكشاف لأصول السادة الأشراف) السيد محمد بن أحمد بن عميد الدين الحسيني النجفي. ط دار الكتب والوثائق القومية ص ٢-٥.

(٢) المصدر السابق، ص ٥.

الباب الأول: في ولادته ﷺ وبعثته وعمره وعلى المنتظر.

تحيـــة اللّـــه ورضوانـــه على الإمـام الحجة القائم
علـــى إمـــام حكمـــه نافـــذ إذا أراد الحكـــم فـــي العالـــم
خليفـــة اللـــه علـــى خلقـــه والآخـذ الحـق مـن الظالـم
العـــادل العالـــم أكـــرم بـــه مـن عـادل فـي حكمـه عالم
مطهر الأرض ومحيي الورى محيـي النـدا خيـر بنـي آدم
الصاحب الأعظم والماجد الأكرم والمولى أبي القاسم
وصاحـب الدولـة يحيي بها ممتحـن فـي الزمن الغاشـم
مَـن حاتـم حتـى يـوازي بـه عبيـده أكـرم بـه مـن حاتـم

الإمام الثاني عشر اسمه اسم رسول الله ﷺ وكنيته كنيته ولا يحل لأحد أن يتسمى باسمه أو يتكنى بكنيته قبل خروجه من الغيبة لما قد ورد من النبي ﷺ النهي عن ذلك وإنما يعبر عنه بأحد ألقابه، ولم يخلف أبوه ولدا ظاهرا وخلفه أبوه غاييا مستترا وكان مولده ليلة النصف من شعبان قبل طلوع الفجر سنة خمس وخمسين ومائتين من الهجرة النبوية وكان سنه عند وفاة أبيه خمس سنين أتاه اللّه فيها الحكمة وفصل الخطاب وجعله آية للعالمين وأتاه الحكمة كما أتاها يحيى صبيا وجعله إماما في حال الطفولية الظاهرة كما جعل عيسى في المهد نبيا وقد سبق النص عليه في ملة الإسلام من نبي الهدى ﷺ ثم من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ونص عليه الأئمة واحدا بعد واحد إلى ابنه الحسن عليه السلام ونص عليه أبوه عند ثقاته وخاصة شيعته ومنها ما نقله أبو داوود والترمذي كل واحد منهما بسنده

الصحيح يرفعه إلى أبي سعيد الخدري قال سمعت النبي ﷺ يقول: المهدي مني أجلا الجبهة أقنى الأنف يملأ الأرض عدلا وقسطا كما ملئت ظلما وجورا يملك سبع سنين[1].

يقول السيد الحسيني النجفي:

وأمه نرجس بنت يوشعا ابن قيصر ملك الروم.

وينقل السيد الحسيني النجفي عن بشير بن سليم النخاس من ولد أبي أيوب الأنصاري قال: كان مولانا أبو الحسن عليّ بن محمّد العسكري عليه السلام فقّهني في أمر الرقيق فكنت لا أبتاع ولا أبيع إلّا بإذنه، فأجتنب بذلك موارد الشبهات حتّى كملت معرفتي فيه فأصبت الفرق بين الحلال والحرام، فبينما أنا ذات ليلة في منزلي بسرّ من رأى إذ قرع الباب قارع، فعدوت مسرعا فإذا بكافور الخادم رسول مولانا أبي الحسن عليّ ابن محمّد عليه السلام يدعوني إليه فلبست ثيابي فدخلت عليه فرأيته يحدّث ابنه أبا محمّد عليه السلام وأخته حكيمة من وراء الستر، فلمّا جلست قال: يا بشر، إنّك من ولد الأنصار وهذه الولاية لم تزل فيكم يرثها خلف عن سلف، وأنتم ثقتنا أهل البيت، وإنّي مزكّيك ومشرّفك بفضيلة تسبق بها سائر الشيعة في الموالاة بها بسرّ أطّلعك عليه وأنفّذك في شراء جارية، فكتب كتابا لطيفا بخطّ روميّ ولغة روميّة وطبع عليه خاتمه وأخرج شقّة صفراء فيها مائتان وعشرون دينارا فقال: خذها وتوجّه بها إلى بغداد وأحضر معبر الفرات ضحوة كذا، فإذا وصلت ترى إلى جانبك زواريق السبايا وبرزن الجواري فستحدق بهنّ طوائف المبتاعين من وكلاء قوّاد بني العبّاس وشراذم

---

(١) المصدر السابق ص ١١-١٢.

من فتيان العراق، فإذا رأيت ذلك فأشرف من البعد على المسمّى بعمر بن يزيد النخّاس عامّة نهارك إلى أن يبرز للمبتاعين جارية صفتها كذا وكذا، لابسة حريرين صفيقين تمتنع من السفور ولمس المتعرّض والانقياد لمن يحاول لمسها أو يشغل نظره بتأمّل مكاشفها من وراء الستر الرقيق، فيضربها النخّاس فتصرخ صرخة روميّة، فاعلم إنّها تقول: واهتك ستراه! فيقول بعض المبتاعين بثلاثمائة دينار فقد زادني العفاف فيها رغبة، فتقول بالعربيّة: لو برزت في زيّ سليمان بن داود على مثل سرير ملكه ما بدت لي فيك رغبة فاشفق على مالك. فيقول النخّاس: فما الحيلة ولا بدّ من بيعك؟ فتقول الجارية: وما العجلة ولا بدّ من اختيار مبتاع يسكن قلبي إلى أمانته وديانته، فعند ذلك قم إلى عمر بن يزيد النخّاس وقل له: إنّ معي كتابا مختوما لبعض الأشراف كتبه بلغة روميّة وخط رومي ّ ووصف فيه كرمه ووفاءه ونبله وسخاءه فناولها لتأمّل منه أخلاق صاحبه فإن مالت إليه ورضيته فأنا وكيله في ابتياعها منك.

قال بشر بن سليم فامتثلت جميع ما حدّه لي مولاي أبو الحسن عليه السلام في أمر الجارية، فلمّا نظرت في الكتاب بكت بكاء شديدا فقالت لعمر بن يزيد: بعني من صاحب هذا الكتاب وحلفت بأيمان المغلّظة أنّه متى امتنع من بيعها منه أهلكت نفسها، فمازلت أشاحّه في ثمنها حتّى استقرّ الأمر فيه على مقدار ما كان أصحبنيه مولاي من الدنانير في الشقّة الصفراء، فاستوفاه منّي وتسلّمت منه الجارية ضاحكة مستبشرة وانصرفت بها إلى حجرتي التي كنت آوي إليها ببغداد، فما أخذها القرار حتّى أخرجت كتاب مولانا عليه السلام من جيبها وهي تلثمه وتضعه على خدّها وتطبّقه على جفونها وتمسحه على بدنها، فقلت تعجّبا

منها: أتلثمين كتابا لا تعرفين صاحبه؟ فقالت: أيّها العاجز الضعيف المعرفة بمحلّ أولاد الأنبياء! أعرني سمعك وفرّغ لي قلبك، أنا مليكة بنت يشوعا بن قيصر ملك الروم، وأمّي من ولد الحواريّين، تنسب إلى وصيّ المسيح شمعون، أنبّئك بالعجيب، إنّ جدّي قيصر ملك الروم أراد أن يزوّجني من ابن أخيه وأنا بنت ثلاث عشرة سنة فجمع في قصره من نسل الحواريّين من القسّيسين والرهبان ثلاثمائة رجل ومن ذوي الأخطار منهم سبعمائة رجل، وجمع من أمراء الأجناد وقوّاد العساكر ونقباء الجيوش وملوك العشائر أربعة آلاف رجل، وأبرز هو من بهيّ ملكه عرشا مصنوعا من أصناف الجواهر إلى صحن القصر فرفعه فوق أربعين مرقاة، فلمّا صعد ابن أخيه وأحدقت به الصلبان وقامت الأساقفة عكّفا ونشرت أسفار الإنجيل تساقطت الصلبان من الأعالي فلصقت بالأرض وتقوّضت الأعمدة وانهارت إلى القرار وخرّ الصاعد من العرش مغشيّا عليه.

فتغيّرت ألوان الأساقفة وارتعدت فرائصهم، فقال كبيرهم لجدّي، أيّها الملك، أعفنا من ملاقاة هذه النحوس الدالّة على زوال هذا الدين المسيحي والمذهب الملكائي فتطيّر جدّي من ذلك تطيّرا شديدا وقال للأساقفة: أقيموا هذه الأعمدة وارفعوا هذه الصلبان وأحضروا أخا هذا المدبّر العاهر المنكوس حظّه لأزوّج منه هذه الصبيّه فيدفع نحوسته عنكم بسعوده. فلمّا فعلوا ذلك حدث على الثاني مثل ما حدث على الأوّل، وتفرّق الناس وقام جدّي قيصر مغتمّا ودخل قصره وأرخت الستور، فأريت في تلك الليلة كأنّ المسيح وشمعون وعدّة من الحواريّين قد اجتمعوا في قصر جدّي ونصبوا فيه منبرا من نور يباري السماء علوّا وارتفاعا في الموضع

الذي كان جدّي نصب فيه عرشه، فدخل عليهم محمّد ﷺ مع فتية وعدّة من بنيه فيقوم إليه المسيح فيعتنقه فيقول: يا روح اللّه، إنّي جئتك خاطبا من وصيّك شمعون فتاته مليكة لا بني هذا وأومأ بيده إلى أبي محمّد عليه السلام ابن صاحب هذا الكتاب. فنظر المسيح إلى شمعون فقال له: قد أتاك الشرف، فصل رحمك برحم رسول اللّه ﷺ، قال: قد فعلت، فصعد ذلك المنبر فخطب محمّد ﷺ وزوّجني من ابنه وشهد المسيح عليه السلام وشهد بنو محمّد ﷺ والحواريّون، فلمّا استيقظت من نومي أشفقت أن أقصّ هذه الرؤيا على أبي وجدّي مخافة القتل فكنت أسرّها في نفسي ولا أبديها لهم، وضرب صدري بمحبّة أبي محمّد عليه السلام حتّى امتنعت من الطعام والشراب، فضعفت نفسي ودقّ شخصي ومرضت مرضا شديدا فما بقي من مداين الروم طبيب إلّا أحضره جدّي وسأله عن دوائي، فلمّا برح به اليأس قال: يا قرّة عيني، فهل يخطر ببالك شهوة فأوردكها في هذه الدنيا؟ فقلت: يا جدّي، أرى أبواب الفرج عليّ مغلّقة فلو كشفت العذاب عمّن في سجنك من أسارى المسلمين وفككت عنهم الأغلال وتصدّقت عليهم ومنّيتهم الخلاص رجوت أن يهب المسيح وأمّه لي العافية والشفاء، فلمّا فعل ذلك جدّي تجلّدت في إظهار الصحّة في بدني وتناولت يسيرا من الطعام، فسرّ بذلك جدّي وأقبل على إكرام الأسارى وإعزازهم.

فأريت أيضا بعد أربع ليال كأنّ سيّدة النساء عليها السلام قد زارتني ومعها مريم بنت عمران وألف من وصائف الجنان، فتقول لي مريم: هذه سيّدة النساء أمّ زوجك أبي محمّد عليه السلام، فتعلّقت بها وأبكي وأشكو إليها امتناع أبي محمّد من زيارتي، فقالت لي سيّدة النساء: إنّ ابني أبا

محمّد لا يزورك وأنت مشركة باللّه جلّ ذكره وعلى دين النصارى وهذه أختي مريم تبرأ إلى اللّه عزوجل من دينك، فإن ملت إلى رضى اللّه عزوجل وإلى رضى المسيح ومريم عنك وزيارة أبي محمّد إيّاك فقولي (أشهد أن لا إله إلّا اللّه وأشهد أنّ محمّدا رسول اللّه)، فلمّا تكلّمت بهذه الكلمة ضمّتني سيّدة النساء إلى صدرها فطيّبت نفسي وقالت: الآن توقّعي زيارة أبي محمّد إيّاك فإنّي منفذته إليك. فانتبهت وأنا أقول: واشوقاه إلى لقاء أبي محمّد.

فلمّا كانت الليلة القابلة جاءني أبو محمّد في منامي فرأيته كأنّي أقول له: لم جفوتني يا حبيبي بعد أن شغلت قلبي بجوامع حبّك؟ فقال: ما كان تأخيري عنك إلّا لشركك وإذ قد أسلمت فأنا زائرك كلّ ليلة إلى أن يجمع اللّه شملنا في العيان، فما قطع زيارته عنّي بعد ذلك إلى هذه الغاية.

قال بشر: فقلت لها: وكيف صرت في الأسارى؟

فقالت: أخبرني أبو محمّد ليلة من الليالي أنّ جدّك سيسير جيوشا إلى قتال المسلمين يوم كذا وكذا ثمّ يتبعهم فعليك باللحاق متنكّرة في زيّ الخدم مع عدّة من الوصائف من طريق كذا، ففعلت فوقعت علينا طلايع المسلمين حتّى كان من أمري ما رأيت وما شاهدت وما شعر أحد بأنّني ابنة ملك الروم إلى هذه الغاية سواك، وذلك باطّلاعي إيّاك عليه. ولقد سألني الشيخ الذي وقعت إليه في سهم الغنيمة عن اسمي فأنكرته وقلت نرجس. فقال: اسم الجواري.

فقلت: العجب إنّك روميّة ولسانك عربيّ؟!

فقالت: بلغ من ولوع جدّي وحمله إيّاي على تعليم الآداب أن

أوعز إلى امرأة ترجمان له في اختلاف إليّ فكانت تقصدني صباحا ومساء وتفيدني العربيّة حتّى استمرّ عليها لساني واستقام.

قال بشر: فلمّا انكفأت بها إلى سرّ من رأى دخلت على مولانا أبي الحسن، فقال لها: كيف أراك اللّه عزّ الإسلام وذلّ النصرانيّة وشرف أهل بيت محمّد ﷺ؟ قالت: كيف أصف لك يابن رسول اللّه ما أنت أعلم به منّي.

قال: أحبّ أن أكرمك فأيّما أحبّ إليك عشرة آلاف دينار أو بشرى لك فيها شرف الأبد؟ قالت: بل الشرف قال عليه السلام: فأبشري بولد يملك الدنيا شرقا وغربا ويملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا.

قالت: ممّن؟ قال عليه السلام: ممّن خطبك رسول اللّه له من ليلة كذا من شهر كذا من سنة كذا بالروميّة.

قالت: من المسيح ووصيّه؟ قال: فممّن زوّجك المسيح ووصيّه؟ قالت: من ابنك أبي محمّد عليه السلام. قال: فهل تعرفينه؟ قالت: وهل خلوت ليلة من زيارته إيّاي منذ الليلة أسلمت فيها على يد سيّدة النساء أمّه عليها السلام؟

فقال أبو الحسن عليه السلام: يا كافور، أدع لي أختي حكيمة رضي اللّه عنها، فلمّا دخلت عليه قال لها: ها هي فاعتنقتها طويلا وسرّت بها كثيرا. فقال مولانا: يا بنت رسول اللّه، أخرجيها إلى منزلك وعلّميها الفرائض والسنن فإنّها زوجة أبي محمّد عليه السلام وأمّ القائم.

وكانت حكيمة تدخل على أبي محمّد وتدعو له أن يرزقه اللّه

ولدا، وإنّها قالت: دخلت عليه وقلت له كما أقول ودعوت له كما كنت أدعو، فقال: أما كنت تدعين أن يرزقني اللّه ولدا، فاستجاب اللّه دعائك فكوني عندنا الليلة. فقلت: يا سيّدي، ممّن يكون هذا الولد العظيم؟ فقال: من نرجس يا عمّة قال: فقالت: يا سيّدي، ما في جواريك أحبّ إليّ منها وقمت ودخلت عليها وكنت إذا دخلت فعلت بي ما كانت تفعل، فانكببت على قدميها فقبّلتها ممّا كانت تفعله فخاطبتني بالسيادة فخاطبتها بمثلها، فقالت: فديتك فقلت لها: أنا أفديك وجميع العالمين، فأنكرت ذلك، فقلت: لم تنكرين مما فعلت؟ فإنّ اللّه سيهب لك في هذه الليلة غلاما سيّدا في الدنيا والآخرة وهو فرج المؤمنين فاستحيت فتأمّلتها فلم أر بها أثر حمل، فقلت لسيّدي أبي محمّد عليه السلام ما أرى بها حملا؟ يا سيّدي، لقد أخبرتني أنّه يولد في هذه الليلة فأيّ وقت منها؟ فقال: في طلوع الفجر يولد المولود الكريم على اللّه إن شاء اللّه.

قالت حكيمة: فقمت فأفطرت ونمت بالقرب من نرجس وبات أبو محمّد عليه السلام في صفّة تلك الدار التي نحن فيها، فلمّا صار وقت صلاة الليل ونرجس نائمة ما بها أثر ولادة فأخذت في صلاتي ثمّ أوترت فوقع في نفسي أنّ الفجر قد طلع ودخل في قلبي شيء، فصاح أبو محمّد عليه السلام من الصفة لم يطلع الفجر يا عمّة، فأسرعت الصلاة وتحرّكت نرجس فدنوت منها وضممتها إلى صدري وسمّيت عليها ثمّ قلت لها: هل تحسّين بشيء؟ فقالت: نعم، فوقع عليّ سبات لم أتمالك معه حتّى نمت ووقع على نرجس مثل ذلك فنامت فلم أنتبه إلّا وسيّدي المهدي مولود ساجدا بمساجده مكتوب على ذراعه: ﴿ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴾ فضممته إليّ فوجدته مفروغا

منه ولففته في ثوب فصاح بي أبو محمّد يقول: يا عمّة، هاتي إليّ ابني، فحملته إلى أبي محمّد عليه السلام فأخذه وأقعده على راحته اليمنى وأمره على ظهره وبطنه ومفاصله ثمّ أدخل لسانه عليه السلام في فيه ثمّ قال له: تكلّم يا بنيّ. فقال: (أشهد أن لا إله إلّا اللّه وأنّ محمّدا رسول اللّه وأنّ عليّا وليّ اللّه أمير المؤمنين) ثمّ لم يزل يعدّد السادة عليهم السلام إلى أن بلغ إلى نفسه ودعا لأوليائه بالفرج على يديه.

ثمّ قال أبو محمّد: يا عمّة، اذهبي به إلى أمّه ليسلّم عليها وائتني به، فمضيت به فسلّم عليها ورددته إليه ثمّ وقع بيني وبين أبي محمّد كالحجاب فلم أر سيّدي، فقلت له: يا سيّدي، أين مولانا؟ فقال: أخذه منّي من هو أحقّ به منك، فإذا كان اليوم السابع فأتينا. قالت: جئت يوم السابع فسلّمت ثمّ جلست فقال عليه السلام: هلمّي بابني، فجئته لسيّدي وهو في ثياب صفر، ففعل له كفعاله الأوّل وجعل لسانه عليه السلام في فيه ثمّ قال له: تكلّم يا بني. فقال: «أشهد أن لا إله إلّا اللّه» وثنّى بالصلاة على محمّد وأمير المؤمنين والأئمّة حتّى وقف على أبيه ثمّ قرأ بسم اللّه الرّحمن الرّحيم ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُواْ يَحْذَرُونَ ﴾ ثمّ قال: اقرأ يا بني ممّا أنزل اللّه على أنبيائه ورسله، فابتدأ بصحف آدم عليه السلام فقرأها بالسريانيّة، وكتاب إدريس عليه السلام وكتاب نوح عليه السلام وكتاب هود عليه السلام وكتاب صالح عليه السلام وصحف إبراهيم عليه السلام وتوراة موسى عليه السلام وزبور داود عليه السلام وإنجيل عيسى عليه السلام وقرآن محمّد صلى الله عليه وآله ثمّ قصّ قصص النبيّين والمرسلين إلى عهده.

فلمّا كان أربعون يوما دخلت دار أبي محمّد عليه السلام فإذا مولاي الصاحب يمشي في الدار فلم أر وجها أحسن من وجهه ولا لغة أفصح من لغته. فقال لي أبو محمّد عليه السلام: هذا المولود الكريم على اللّه عزوجل. فقلت له: أربعون يوما وأنا أدري من أمره ما أدري. فقال: يا عمّة، إنّا معاشر الأوصياء ننشؤ في اليوم ممّا ينشؤ غيرنا في الأسبوع ما ينشؤ غيرنا في السنة، فقمت وقبّلت رأسه وانصرفت وعدت وتفقّدته فلم أره، فقلت لسيّدي أبي محمّد عليه السلام ما فعل مولانا فقال: يا عمّتاه، استودعناه الذي استودع موسى عليه السلام.

قالت: قال أبو محمّد عليه السلام: لمّا وهب لي ربّي مهدي هذه الأمّة أرسل ملكين فحملاه إلى سرادق العرش حتّى وقف بين يدي اللّه عزوجل فقال له مرحبا بك عبدي لنصرة ديني وإظهار أمري ومهديّ عبادي، آليت إنّي بك آخذ وبك أعطي وبك أغفر وبك أعذّب، ارداه أيّها الملكان إلى أبيه ردّا رفيقا وأبلغاه أنّه في ضمني وفي كنفي وبعيني إلى أن أحقّ به الحقّ وأبطل به الباطل وتكون الدين لي واصبا.

ثمّ قال: لمّا سقط من بطن أمّه إلى الأرض عطس وقال: الحمد للّه ربّ العالمين ﷺ زعمت الظلمة أنّ حجّة اللّه داحضة[1].

سر الاختفاء

تعلمنا منذ زمن على لسان من ليسوا من شيعة أهل البيت ومن ضمنهم الشيخ علي جمعة والشيخ محمد متولي الشعراوي (إن اللّه

---

(١) بحر الأنساب أو المشجر الكشاف لأصول السادة الأشراف للعلامة السيد محمد بن أحمد بن عميد الدين الحسيني النجفي. ص ١٤-١٧. ط دار الكتب والوثائق القومية - مصر ٢٠١٥.

أخفى وليه في عباده فلا تستصغرن عبداً من عبيد اللّه فربما يكون وليه وأنت لا تدري).

وبغض النظر عن صاحب هذه المقولة فهي حقيقة نطق بها كتاب اللّه عز وجل: ﴿سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾ لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾[1].

كما يقول أمير المؤمنين عليه السلام (اللَّهُمَّ بَلَى لَا تَخْلُو الْأَرْضُ مِنْ قَائِمٍ لِلَّهِ بِحُجَّةٍ إِمَّا ظَاهِراً مَشْهُوراً وَإِمَّا خَائِفاً مَغْمُوراً لِئَلَّا تَبْطُلَ حُجَجُ اللَّهِ وَ بَيِّنَاتُهُ).

ومن البديهي أن قوله تعالى ﴿سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ﴾ وقول الإمام علي عليه السلام (إما ظاهرا مشهور أو خائفا مغمورا) تدل على تنوع الأدوار والوظائف بتنوع الظروف التي يمر بها حجج اللّه على خلقه وان الحكمة الإلهية تتبدى بظهور ذات الشخص أو اختفائه كما تتبدى بتبادل الأدوار ضمن الحلقة الضيقة المحيطة بالنبي أو الإمام فبعضهم يظهر ويعلن وربما ينال شرف الشهادة والبعض الآخر يبقى دوره طي الكتمان وهي بديهيات يعرفها حملة الدين من الأولين والآخرين.

لا يتعلق الأمر إذا بحالة يستغرب منها اصحاب العقول الخاوية من العلم والمعرفة والقدرة على التدبر في أحوال الأمم عشاق الظهور

---

(١) سورة الرعد، الآيتان: ١٠-١١.

والضجيج والعجيج خاصة أدعياء الإصلاح الذين ظهروا بكثرة ووفرة منذ القرن الماضي بل بتدبير محكم وحكمة إلهية بالغة، فما تغني النذر!!.

شاءوا أم رفضوا فالمهدي المنتظر القائم بأمر اللّه تعالى الحجة على الخلائق مظهر دين اللّه حالة استثنائية خارقة للمألوف تترقبها البشرية كلها ليملأ الأرض عدلا بعد أن ملئت ظلما وجورا، وليملأ الأرض علما ونورا بعد أن ملئت جهلا وكبرا، وليملأها عقلا وحكمة بعد أن ضجت من سفهائها قطاع طريق اللّه الذين بدلوا نعمة اللّه كفرا وأحلوا قومهم دار البوار وجعلوا خير أمة أخرجت للناس في ذيل الأمم.

أمة تأنس وتصغي لمن يسمونهم بالدعاة الجدد أو بمعنى أصح الوهابيون الجدد وعلى رأسهم الأخ (عمرو كنتاكي) وتراهم هداة مهديين ولا تعرف أو لا تلتفت لأن اللّه تبارك وتعالى من عليهم بالنعمة الكبرى محمد وآله صلى اللّه وسلم عليهم أجمعين.

والحمد للّه رب العالمين.

المهدي المنتظر وفلسفة التاريخ

في إحدى الندوات التلفزيونية طرح مقدم البرنامج سؤالا عن صحة الاتهام الموجه للشيعة بأنهم ينسبون لأئمتهم علم الغيب!!.

كان الرد أن القرآن الكريم قد احتوى على الكثير من الآيات التي تتحدث عن أمور مستقبلية مثل قوله تعالى:

﴿ وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ۝٤ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴾[1] ...

وقوله تعالى ﴿ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾[2].

وغيرها من الآيات التي تتحدث عن المستقبل وعن حتمية تحقق الوعد الإلهي بنصرة عباده الصالحين ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِى ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴾[3].

أو تلك الآيات التي تتحدث عن خروج يأجوج ومأجوج واقتران

---

(١) سورة الإسراء، الآيتان: ٤-٥.

(٢) سورة النمل، الآية: ٨٢.

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٥.

ذلك باقتراب الوعد الحق ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴾[1].

الثابت أيضاً أن القرآن هو كتاب هداية للناس أجمعين ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾[2] وأن من ضرورات هذه الهداية أن يكون القرآن مفسرا وواضحا للقارئ سواء كان هذا البيان والتفسير متاحا من الوهلة الأولى أو من خلال ما يقدمه العلماء من شرح لآيات الكتاب الحكيم حيث يقول تعالى:

﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾[3].

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾[4].

﴿ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾[5].

﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾[6].

السؤال المترتب على هذه المقدمة هو:

من هم الراسخون في العلم الذين توفر لديهم العلم الضروري

---

(١) سورة الأنبياء، الآيتان: ٩٦-٩٧.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٢.

(٣) سورة القمر، الآية: ٣٢.

(٤) سورة محمد، الآية: ٢٤.

(٥) سورة فصلت، الآيتان: ٣-٤.

(٦) سورة ص، الآية: ٢٩.

بتأويل كتاب اللّه عز وجل وما فيه من شرائع وأحكام وآداب وحكمة وموعظة حسنة وعلم ما كان وعلم ما يكون إلى يوم القيامة؟؟!!.

إنهم المعنيون بقوله تعالى ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۖ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾(١).

يرى المؤمنون من شيعة أهل البيت أن المعني بهذه الآية هم أئمة أهل البيت عليهم السلام في حين يترك الآخرون تلك المساحة فارغة من أي رد أو جواب!!.

علم غيب أم تعلم من ذي علم؟؟

بينما يشهد العالم المتحضر الآن طفرة بدأت بعد نهاية الحرب العالمية الثانية فيما أصبح يعرف بعلوم المستقبليات فلا زال باع المسلمين في هذا المجال قصيرا.

وبينما تتم أغلب هذه الدراسات في العالم الغربي تنفق دول العالم الثالث على هذا المجال أقل من ٣٪ من نسبة الإنفاق العالمي الموجه لأبحاث المستقبل.

كما أن هناك ارتباطا واضحا بين هذه الدراسات ومجال التخطيط الاستراتيجي ومن ثم فإن الإنفاق على هذه الأبحاث يأتي أساسا من المؤسسات العسكرية.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٧.

والشاهد أن الدراسات المستقبلية تسهم في تشكيل وعي صناع القرار بطبيعة المجتمع الذي يسعون إلى تشكيله وإقامته ورغم أن هذه الدراسات ليست علما في حد ذاتها فإنها تستفيد من مجالات العلوم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية المختلفة.

وكما يؤكد الباحث المغربي (مهدي المنجرة) فالقيم الثقافية تمثل مكونا رئيسا من مكونات التطور الاجتماعي... والإسلام بكل تأكيد صاحب دور حيوي في إحداث هذا التطور في المجتمعات الإسلامية.

قراءة المستقبل ليست بالضرورة وحيا يوحى بل هو عمل يمكن تشبيهه بالمعادلات الرياضية وإن أردت الدقة أسميتها بالمعادلات الاجتماعية.

مثال ذلك قوله تعالى في سورة الإسراء ﴿ وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا ﴿١٦﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ ٱلْقُرُونِ مِنۢ بَعْدِ نُوحٍ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ﴾ (١٦-١٧).

إنها نتيجة لا بد أن تصل إليها تلك المجتمعات ذات الأوضاع المختلة والتي يمسك بزمام السلطة فيها الظلمة والمترفون وتزداد الأوضاع سوءا ويزداد معدل الانهيار سرعة عندما تفقد هذه المجتمعات منعتها وقدرتها على مقاومة الظلم والفساد.

في هذا الإطار نقرأ كلمات الإمام علي بن أبي طالب عندما قال له بعض أصحابه: لقد أَعطيت يا أميرالمؤمنين علم الغيب! فضحك عليه السلام، وقال للرجل وكان كلبياً:

يَا أَخَا كَلْب، لَيْسَ هُوَ بِعِلْمِ غَيْب، وَإِنَّمَا هُوَ تَعَلُّمٌ مِنْ ذِي عِلْم...

وَإِنَّمَا عِلْمُ الْغَيْبِ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا عَدَّدَهُ اللّهُ سُبْحَانَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ... ﴾ الآية فَيَعْلَمُ سُبْحَانَهُ مَا فِي الأَرْحَامِ مِنْ ذَكَر أَوْ أُنْثَى، وَقَبِيح أَوْ جَمِيل وَسَخِيٍّ أَوْ بَخِيل، وَشَقِيّ أَوْ سَعِيد، وَمَنْ يَكُونُ فِي النَّارِ حَطَباً، أَوْ فِي الْجِنَانِ لِلنَّبِيِّينَ مُرَافِقاً؛ فَهذَا عَلْمُ الْغَيْبِ الَّذِي لاَ يَعْلَمُهُ أَحَدٌ إِلاَّ اللّهُ، وَمَا سِوَى ذلِكَ فَعِلْمٌ عَلَّمَهُ اللّهُ نَبِيَّهُ ﷺ فَعَلَّمَنِيهِ، وَدَعَا لِي بِأَنْ يَعِيَهُ صَدْرِي، وَتَضمَّ عَلَيْهِ جَوَانِحِي. خطبة ١٢٨ نهج البلاغة.

علم الغيب هو الأقدار التي يقدرها العزيز الجبار ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ وهو شأن مختلف عن استشراف مستقبل الأمم والأفراد (forecasts) وهو ليس ممارسة للتنجيم كما أنه ليس محض تنبؤات (prophecies).

الجماعات والأفراد هي كيانات حية وموجودة وكل (موجود) له حاضر ومستقبل يتعين استشرافه والتأمل في الخيارات المطروحة أمامه التي هي ليست محض غيب بحال من الأحوال.

ورغم أننا لا نسوي بين علم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام الذي استقاه من رسول اللّه ﷺ وبين ما تقوم به مراكز أبحاث المستقبليات المنتشرة الآن في نصف الكرة الشمالي حيث يتسم علم الإمام بالشمولية بينما يهتم الآخرون بشئونهم الحياتية التفصيلية ووضعها في خدمة الاستراتيجية، إلا أن قراءة المستقبل في الحالتين تقوم على أساس معطيات واقعية وثقافية واجتماعية واقتصادية ما تزال فاعلة في عالم الواقع أو أصبحت جزءا من الماضي يقوم العقل

الإنساني بدرسها والتأمل فيها ثم عرض الاحتمالات والمسارات المختلفة أما في حالة أئمة أهل البيت فالعلم الإلهي الذي نزل على محمد بن عبد اللّه وانتقل منه إلى وصيه علي بن أبي طالب هو الذي يكشف نهاية المسارات ولكنه لا ينشؤها أو يفرضها فالإرادة والاختيار الإنساني هي من يقود الإنسان فردا كان أو مجتمعا نحو مصيره الذي سعى إليه بإرادته.

إنها قراءة للمسار وليست فرضا له بأي حال كما أنها ليست نوعا من التنجيم أو الكهانة حيث يقول سبحانه:

﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾[1].

إلى أين يذهب المسلمون؟؟.

ذكر الشريف الرضي في نهج البلاغة أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام رد على من سأله: أكان مسيرنا إلى الشام بقضاء من اللّه وقدر؟ فقال:

وَيْحَكَ! لَعَلَّكَ ظَنَنْتَ قَضَاءً لاَزِماً، وَقَدَراً حَاتِماً! وَلَوْ كَانَ ذلِكَ كَذلِكَ لَبَطَلَ الثَّوَابُ والْعِقَابُ وَسَقَطَ الْوَعْدُ وَالْوَعِيدُ.

إِنَّ اللّهَ سُبْحَانَهُ أَمَرَ عِبَادَهُ تَخْيِيراً، وَنَهَاهُمْ تَحْذِيراً، وَكَلَّفَ يَسِيراً، وَلَمْ يُكَلِّفْ عَسِيراً، وَأَعْطَى عَلَى الْقَلِيلِ كَثِيراً، وَلَمْ يُعْصَ مَغْلُوباً، وَلَمْ

(١) سورة الإسراء، الآيات: ١٨-٢٠.

يُطَعْ مُكْرِهاً، وَلَمْ يُرْسِلِ الأَنْبِيَاءَ لَعِباً، وَلَمْ يُنْزِلِ الكُتُبَ لِلْعِبَادِ عَبَثاً، وَلاَ خَلَقَ السَّماوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً ﴿ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾[1].

المسار البشري سواء كان جماعيا أو فرديا هو من صنع الإنسان نفسه ولم يكن يوما ما (قضاء لازما) ولا (قدرا حاتما) لا فكاك منه ولا اختيار فيه!!.

﴿ وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴾[2].

لا مجال إذن في الرؤية الإسلامية للقول بالجبرية السياسية determinism ولا للاعتذار بخطيئة الآباء الأولى ﴿ أَن تَقُولُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوٓاْ إِنَّمَآ أَشْرَكَ ءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾[3].

إنها مسئولية إنسانية متجددة: ﴿ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾[4].

العمى الاختياري!!

من باب أولى ليس هناك مجال للقبول بالنظرية التبريرية والتي تدفع دوما بغياب الرؤية وانعدام البصيرة والزعم بأن الأمر كان فتنة

---

(١) نهج البلاغة، خطبة ٧٣.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٥٨.

(٣) سورة الأعراف، الآيتان: ١٧٢-١٧٣.

(٤) سورة النجم، الآيات: ٣٩-٤٢.

اختلط فيها الحق بالباطل وعمي السبيل ولا داعي لإثارتها أو التحدث فيها لأن افتقاد الرؤية للمسارات السياسية التي سارت فيها الأمة هو نوع من العمى السياسي والأخلاقي الإرادي وليس الجبري الذي يمنع المصاب به من رؤية الواقع ومن ثم استشراف آفاق المستقبل على حقيقتها مهما كانت مرارتها بهدف الحيلولة دون وقوع المزيد من الكوارث ﴿ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْأَخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴾[1].

الرؤية الإسلامية لحركة التاريخ القديم والمعاصر تقوم على أساس تحمل الجماعة البشرية لمسئولياتها التضامنية بصورة تامة وكاملة وترفض قبول تلك التعللات والاعتذارات الواهية التي ما تفتأ أجهزة الإعلام وإن شئت الدقة أجهزة التبرير القديمة والمعاصرة تدفع بها في وجه طلاب الحقيقة والعدالة ﴿ قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ﴾[2].

القول بأن أحداث التاريخ كانت (فتنة لا يجوز لنا البحث في أسبابها أو الحديث عن تفاصيلها) هو عمى اختياري (ومن عمي فعليها) لا يقارن بحال بمن ابتلاه اللّه بفقدان نعمة البصر أو العقل وهؤلاء لا جناح عليهم ولا مجال لمحاسبتهم خارج إطار قدراتهم التي هي مناط التكليف والثواب والعقاب.

لذا يتعين على الباحثين عن مستقبل هذه الأمة دراسة ماضيها دراسة واعية متأنية بعيدة عن الشتم والتخوين العشوائي من جهة وبعيدا عن

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٧٢.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٠٤.

محاولات التبرير والاعتذار نيابة عن الأقدمين في جهد مستميت من أجل تقديم وهم يوتوبيا الخلافة الإسلامية كمثل أعلى ونموذج يتعين الاحتذاء به والعودة إليه هو وملحقاته الخرافية مثل خيرية القرون الثلاث وغيرها من الأساطير التي كبلت العقل الإسلامي وحالت بينه وبين مراجعة ما جرى وإدانة من يتعين علينا إدانته وإعلاء شأن من يتعين علينا إعلاء شأنه كمقدمة ضرورية ولازمة من أجل بناء مستقبل الأمة بدلا من الجلوس على شاطئ نهر التاريخ المتدفق والاكتفاء بتدخين نارجيلة ذكريات البطولات والأمجاد في انتظار أن يتحقق ما ورد في كتب الأثر من تنبؤات.

المسؤولية الجماعية:

المسؤولية الجماعية للأمة الإسلامية يفصلها لنا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام عندما يقول:

أَيُّهَا النَّاسُ، لاَ تَسْتَوْحِشُوا فِي طَرِيقِ الْهُدَىٰ لِقِلَّةِ أَهْلِهِ، فَإِنَّ النَّاسَ قَدِ اجْتَمَعُوا عَلَى مَائِدَة شِبَعُهَا قَصِيرٌ، وَجُوعُهَا طَوِيلٌ.

أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا يَجْمَعُ النَّاسَ الرِّضِى وَالسُّخْطُ، وَإِنَّمَا عَقَرَ نَاقَةَ ثَمُودَ رَجُلٌ وَاحِدٌ فَعَمَّهُمُ اللّهُ تَعَالَى بِالْعَذَابِ لَمَّا عَمُّوهُ بِالرِّضَى فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿ فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُواْ نَـٰدِمِينَ ﴾، فَمَا كَانَ إِلاَّ أَنْ خَارَتْ أَرْضُهُمْ بِالْخَسْفَةِ خُوَارَالسِّكَّةِ الْـمُحْمَاةِ فِي الأَرْضِ الْخَوَّارَةِ.

أَيُّهَا النَّاسُ، مَنْ سَلَكَ الطَّرِيقَ الْوَاضِحَ وَرَدَ الْمَاءَ، وَمَنْ خَالَفَ وَقَعَ فِي التِيهِ![1].

---

(١) نهج البلاغة، خطبة ٢٠١.

قراءة المستقبل إذا ليست تنجيما ولا إغراقا في عالم الوهم والخيال بل هي تأمل واستشراف لعاقبة الأعمال فما تزرعه الجماعات من بذور لا بد أن تجني ثماره الطيبة أو المرة غدا أو بعد غد ولو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطول اللّه ذلك اليوم حتى يرى الإنسان بأم عينيه ما قدمت يداه وما ربك بظلام للعبيد.

مسارات الأمة المستقبلية

في مقاله المنشور بعنوان (خمس احتمالات لمستقبل المسلمين)[1].

يطرح الدكتور سهيل عنايت اللّه خمس احتمالات مستقبلية يتجه نحوها المسلمون بناء على ما هو متداول من أفكار في العالم الإسلامي[2].

الاحتمال الأول: وهو العودة إلى ما كان عليه المسلمون الأوائل في القرن السابع الميلادي وهي عودة خارج السياق كما أنها بالنسبة إلى الكثيرين تعد تراجعا عن سياق التطور الإنساني.

الاحتمال الثاني: وهو احتمال كارثي يتمثل في انهيار العلاقات بين المسلمين والانزلاق نحو حرب مذهبية داخل الحضارة الإسلامية وبينها وبين الغرب.

الاحتمال الثالث: هو مسار (تقدمي) يصبح العالم الإسلامي فيه جزءا من منظومة الدول العلمانية.

---

(١) Five Futures for Muslims

(٢) http://www.metafuture.org/articles.htm

الاحتمال الرابع: هو تبادل المواقع الحضارية بين الإسلام والغرب فيتقهقر العالم الغربي وينطلق العالم الإسلامي ليصبح في مقدمة ركب الحضارة الإنسانية.

أما الاحتمال الخامس والأخير: حيث يتقبل المسلمون والغرب مبدأ التعددية داخل الحضارة الواحدة وداخل النظام العالمي ويحتل العالم الإسلامي موقعه اللائق به في المنظومة الدولية سواء من الناحية السياسية أو الحضارية.

الاحتمال الأول يقوم على تلك الفرضية التي يؤمن بها القوم والتي أصبحت جزءا من عقيدتهم الدينية والسياسية.

إنها الفرضية القائمة على أن البشرية قد بلغت قمة كمالاتها السياسية والأخلاقية إبان فترة (الخلفاء الراشدين) وأن يوتوبيا الراشدين بقيت مستمرة حتى سقوط الخلافة العثمانية بداية القرن الماضي ومن ثم وجب على كل مسلم أن يسعى لاستعادة ذلك الفردوس الضائع!!.

إنها عقيدة جاءت ومعها توابعها مثل نظرية المؤامرة الكونية على الإسلام والمسلمين كتفسير رسمي وحيد ومقبول لحركة التاريخ يمكن من خلاله شرح الأسباب التي أدت إلى خروج المسلمين من سباق الحضارة العالمي عندما فقدوا تفوقهم العسكري على منافسيهم فالعبء دوما يقع على هؤلاء المتآمرين الذين يمكن العثور عليهم أو حتى اختلاقهم إن لم يتيسر العثور عليهم بين صفحات الأحداث.

فالتشيع لأهل البيت هو من صنع اليهودي ابن السوداء وسقوط الخلافة العباسية تحت سنابك خيل التتار كان بسبب تآمر الوزير الشيعي مؤيد الدين ابن العلقمي أما سقوط الخلافة العثمانية فيسأل

عنه يهود الدونمة والمهم هو إثبات أن المسلمين السائرين على نهج الخلفاء الراشدين والمصرين على العودة إليه لا يخطئون ولا يضلون وعلى ربهم يتوكلون وهم ورثة الأرض!!...

وهم عبادُ اللّه الصالحين!!!.

الحالة الراهنة من وجهة نظر القوم لا تعدو كونها ثمرة للتآمر الصليبي الصهيوني على خير أمة اخرجت للناس رغم أنها ومنذ لحظات ميلادها الأولى تخلت عن أهم شروط الخيرية وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما أنها أسقطت ركن العدالة وأحلت محله الفتوحات العسكرية كعنوان ودليل على التزام الشريعة الإسلامية وهي رؤية تاريخية جبرية تبريرية لا تقيم وزنا للعمل الإنسانى خيرا كان أو شرا ولا ترغب فى تحمل أدنى مسئولية عن خياراتها الظالمة الخرقاء التي انتهجتها طيلة أغلب هذه الفترات كما أنها تناصب كل من يحاول كشف المستور ويدعو إلى تصحيح هذه الأخطاء أبشع أنواع العداء وتعتبره عدوا إمبرياليا صهيونيا رافضيا!!.

التمدد العسكري للمسلمين والذي استمر عدة قرون من وجهة نظر القوم هو دليل قاطع وبرهان ساطع على نقائهم الأخلاقي والديني وشهادة إلهية بحسن السير والسلوك وصحة المنهج الذي سار عليه الفاتحون العظام بدءا من معاوية ونهاية بصدام لأنه ليس من سنن الكون أن ينصر اللّه الظالمين!!!!.

ولا أدري من أين جاء القوم بتلك القاعدة؟؟

صحيح أن اللّه تبارك وتعالى ينصر عباده الصالحين ولكن هذا لا يعني أن المنتصر دوما على حق وإلا وجب على القوم الانحناء

لانتصارات الصهاينة والأمريكان عليهم في أغلب الحروب التي خاضوها معهم في القرن العشرين والقرن الحادي والعشرين!.

كما أن فرضية يوتوبيا الخلفاء الراشدين لا تعدو كونها أسطورة من صنع الوهم والخيال حيث شهدت تلك الفترة الكثير من الانتكاسات الأخلاقية والانحراف بعيدا عن مسار الإسلام الصحيح نحو الديكتاتورية والتسلط والمخالفة الصريحة الواضحة لقيم الإسلام الصحيحة والمتعارف عليها بدءا من السلب والنهب المنظم والقتل العشوائي لكل من سولت له نفسه التمرد على عتاة المجرمين الأمويين.

أما الاحتمال الثاني المتمثل في انهيار العلاقات بين المسلمين والانزلاق نحو حرب داخل الحضارة الإسلامية من ناحية وبينهم وبين الغرب من ناحية أخرى فقد أصبح احتمالا حقيقيا خاصة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر وما تلاها من غزو العراق وأفغانستان وسقوط أعتى نظامين قمعيين، النظام الطالباني والنظام الصدامي وكلاهما كان يستهدف الشيعة بصورة أساسية مما كشف عن حقيقة وجود صراع داخل الحضارة الإسلامية يستهدف فيه المسلمون الشيعة على خلفية انتمائهم المذهبي.

العدل والظلم ومسار التاريخ الإنساني

لا حاجة بنا لإثبات أن المسار الكوني البشري لا يكتمل ولا يتحقق الهدف الأصلي من وجوده إلا بتحقيق العدل الإلهي في الدنيا ويوم الفصل النهائي بين الخلائق ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ

وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾[1] ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾[2].

العدل هو القيمة الدينية العليا التي ينبغي أن تحكم أفعال العباد وهي أيضا تلك القيمة العليا التي يحكم بها على أفعال العباد في الدنيا كما في الآخرة.

كل القيم الأخرى ينبغي أن تكون حاكمة للسلوك الإنساني ولكن الإنسان لا يحاكم بها.

إنه سلوك إنساني يتقرب به الإنسان إلى ربه (وسيلة) كما أنه ثمرة عمله الذي يسعى إليه الإنسان بفعله وخطوات قدميه (غاية) ظالما كان أو مظلوما (ذلك بما قدمت يداك وأن اللّه ليس بظلام للعبيد).

من هنا جرى وضع العدل كإحدى الركائز الأساسية للمعتقد الشيعي بعد الإيمان بالتوحيد والنبوة والإمامة والمعاد.

أما لماذا جرى مثل هذا التأكيد فنحن نعتقد أن ذلك يرتبط بالأهمية القصوى لتحقيق العدل في الدنيا كما هو في الآخرة.

العدالة فوق كل هذا مقوم أساسي من مقومات وجود واستمرار الكيانات السياسية كما أن غيابها سبب رئيسي لاضمحلال هذه الكيانات وضياعها وانهيارها

يقول سبحانه في محكم كتابه:

---

(١) سورة غافر، الآيتان: ٥١-٥٢.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٤٧.

﴿ ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّهُۥ عَلَيْكَ ۖ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ۖ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ ٱلَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ ۖ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ ﴿١٠١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾[1].

﴿ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَٰهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ﴾[2].

﴿ فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُو۟لُوا۟ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَآ أُتْرِفُوا۟ فِيهِ وَكَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿١١٦﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴾[3].

وعندما يصبح الظلم هو القانون الحاكم للعلاقات بين أبناء الأمة الواحدة وبينها وبين أبناء الأمم الأخرى يحدث الانهيار وساعتها لا يحق للمهزومين أن يلوموا سوى أنفسهم لأن اللّه لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون.

﴿ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴾[4].

لسنا بحاجة لسرد المزيد من الأدلة والبراهين على أهمية احترام العدل كقيمة عليا من قيم الإسلام لأننا نوضح هنا الارتباط بين عدم

---

(١) سورة هود، الآيات: ١٠٠-١٠٢.

(٢) سورة الكهف، ٥٩.

(٣) سورة هود، الآيتان: ١١٦-١١٧.

(٤) سورة الزخرف، الآيات: ٧٦-٧٨.

احترام تلك الدول المنتسبة للإسلام لهذه القيمة وما آلت إليه أوضاعها من تدهور وانحطاط وسقوط متتال لدولهم التي أسسوها على جماجم المستضعفين وآخر هذه الدول الغاربة هي الدولة الصدامية والدولة الطالبانية وقبلها الدولة الأموية والعباسية ثم العثمانية وهناك لائحة طويلة في انتظار الانهيار... ولا يظلم ربك أحدا!!.

الكافي: عن محمد الحلبي أنه سأل أبا عبد اللّه عليه السلام عن قول اللّه عز وجل: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ﴾ قال: العدل بعد الجور.

الكافي: عن أبي إسحاق الجرجاني، عن أبي عبداللّه عليه السلام قال: إن اللّه عز وجل جعل لمن جعل له سلطانا أجلا ومدة من ليال وأيام وسنين وشهور فإن عدلوا في الناس أمر اللّه عز وجل صاحب الفلك أن يبطئ بادارته فطالت أيامهم ولياليهم وسنينهم وشهورهم وإن جاروا في الناس ولم يعدلوا أمر اللّه تبارك وتعالى صاحب الفلك فأسرع بادارته فقصرت لياليهم وايامهم وسنينهم وشهورهم وقد وفى لهم عز وجل بعدد الليالي والشهور.

ويقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: فَإِذا أَدَّتِ الرَّعِيَّةُ إِلَى الْوَالِي حَقَّهُ، وَأَدَّى الْوَالِي إِلَيْهَا حَقَّهَا، عَزَّ الْحَقُّ بَيْنَهُمْ، وَقَامَتْ مَنَاهِجُ الدِّينِ، وَاعْتَدَلَتْ مَعَالِمُ الْعَدْلِ، وَجَرَتْ عَلَى أَذْلاَلِهَا السُّنَنُ، فَصَلَحَ بِذلِكَ الزَّمَانُ، وَطُمِعَ فِي بَقَاءِ الدَّوْلَةِ، وَيَئِسَتْ مَطَامِعُ الأَعْدَاءِ.

وَإِذَا غَلَبَتِ الرَّعِيَّةُ وَالِيَهَا، أَوْ أَجْحَفَ الْوَالِي بِرَعِيَّتِهِ، اخْتَلَفَتْ هُنَالِكَ الْكَلِمَةُ، وَظَهَرَتْ مَعَالِمُ الْجَوْرِ، وَكَثُرَ الإِدْغَالُ فِي الدِّينِ، وَتُرِكَتْ مَحَاجُّ السُّنَنِ، فَعُمِلَ بِالْهَوَى، وَعُطِّلَتِ الأَحْكَامُ، وَكَثُرَتْ

عِلَلُ النُّفُوسِ، فَلاَ يُسْتَوْحَشُ لِعَظِيمِ حَقٍّ عُطِّلَ، وَلاَ لِعَظِيمِ بَاطِلٍ فُعِلَ! فَهُنَالِكَ تَذِلُّ الأَبْرَارُ، وَتَعِزُّ الأَشْرَارُ، وَتَعْظُمُ تَبِعَاتُ اللّهِ عِنْدَ الْعِبَادِ[1].

ابن خلدون وحركة التاريخ!!

تحدث ابن خلدون في مقدمته عن الدولة وتقلبها من حال إلى حال من القوة والمنعة إلى الشيخوخة والانهيار ومن ثم طرح رؤيته عن أعمار الدول التي هي من وجهة نظره ثلاثة أجيال بشرية حيث يقول:

وأما أعمار الدول أيضاً فهي في الغالب لا تعدو أعمار ثلاثة أجيال والجيل هو عمر شخص واحد من العمر الوسط فيكون أربعين الذي هو انتهاء النمو والنشوء إلى غايته.

وإنما قلنا أن عمر الدولة لا يعدو في الغالب ثلاثة أجيال: لأن الجيل الأول لم يزالوا على خلق البداوة وخشونتها وتوحشها من شظف العيش والبسالة والافتراس والاشتراك في المجد فلا تزال بذلك سورة العصبية محفوظة فيهم فحدهم مرهف وجانبهم مرهوب والناس لهم مغلوبون. والجيل الثاني تحول حالهم بالملك والترفه من البداوة إلى الحضارة ومن الشظف إلى الترف والخصب ومن الاشتراك في المجد إلى انفراد الواحد به وكسل الباقين عن السعي فيه ومن عز الاستطالة إلى ذل الاستكانة فتنكسر سورة العصبية بعض الشيء وتؤنس منهم المهانة والخضوع. ويبقى لهم الكثير من ذلك بما أدركوا الجيل الأول وباشروا أحوالهم وشاهدوا من اعتزازهم

---

(١) نهج البلاغة، خطبة ٢١٦.

وسعيهم إلى المجد ومراميهم في المدافعة والحماية فلا يسعهم ترك ذلك بالكلية وإن ذهب منه ما ذهب ويكونون على رجاء من مراجعة الأحوال التي كانت للجيل الأول أو على ظن من وجودها فيهم. وأما الجيل الثالث فينسون عهد البداوة والخشونة كأن لم تكن ويفقدون حلاوة العز والعصبية بما هم فيه من ملكة القهر ويبلغ فيهم الترف غايته بما تفنقوه من النعيم وغضارة العيش فيصيرون عيالاً على الدولة ومن جملة المحتاجين للمدافعة عنهم وتسقط العصبية بالجملة فإذا جاء المطالب لهم لم يقوموا لمدافعته فيحتاج صاحب الدولة حينئذ إلى الاستظهار بسواهم من أهل النجدة ويستكثر بالموالي ويصطنع من يغني عن الدولة بعض الغناء حتى يتأذن بانقراضها فتذهب الدولة بما حملت.

هذه هي النظرية الخلدونية لنشوء (الدول) وتطورها نحو القوة ثم الانهيار وهي نظرية تنتمي إلى الواقع الأخلاقي البائس للأمة الإسلامية الذي تحدثنا عنه من قبل ولا تحيد عنه قيد أنملة!!.

والثابت أيضا أن حديثه عن الترف كعنصر ضعف ووهن يقضي على الأمم والممالك لا ينطلق من رؤية أخلاقية ترفض الظلم من الأساس وتراه سوسا ينخر في جسد الأمة حتى يقضي عليها في الدنيا قبل الآخرة بل من اعتباره عنصرا مضادا لعناصر القوة والغلبة التي هي ركن ركين من أركان الدولة في الرؤية الخلدونية.

وهو يرى أن الترف والبذخ والاستئثار يشكل عنصرا من عناصر قوة دولة الغلبة في بداية نشأتها!!.

والشاهد أن الدولة التي يتحدث عنها ابن خلدون هي دولة الغلبة

المملوكية التي عايشها وعمل في خدمتها فالرجل كما هو معلوم كان قاضي قضاة ملك الشذوذ الجنسي الظاهر برقوق.

ولا عجب أيضا أن يثني الرجل خيرا على ابن آكلة الأكباد معاوية بن ابى سفيان حيث يقول:

.. وإن كان المصيب علياً فلم يكن معاوية قائماً فيها بقصد الباطل إنما قصد الحق وأخطأ. والكل كانوا في مقاصدهم على حق.(!!)

ثم اقتضت طبيعة الملك الانفراد بالمجد واستئثار الواحد به. ولم يكن لمعاوية أن يدفع ذلك عن نفسه وقومه فهو أمر طبيعي ساقته العصبية بطبيعتها واستشعرته بنو أمية ومن لم يكن على طريقة معاوية في اقتفاء الحق من أتباعهم فاعصوصبوا عليه واستماتوا دونه. ولو حملهم معاوية على غير تلك الطريقة وخالفهم في الانفراد بالأمر لوقع في افتراق الكلمة التي كان جمعها وتأليفها أهم إليه من أمر ليس وراءه كبير مخالفة.

وقد كان عمر بن عبد العزيز رضي اللّه عنه يقول إذا رأى القاسم بن محمد بن أبي بكر: «لو كان لي من الأمر شيء لوليته الخلافة ولو أراد أن يعهد إليه لفعل ولكنه كان يخشى من بني أمية أهل الحل والعقد لما ذكرناه فلا يقدر أن يحول الأمر عنهم لئلا تقع الفرقة. وهذا كله إنما حمل عليه منازع الملك التي هي مقتضى العصبية. فالملك إذا حصل وفرضنا أن الواحد انفرد به وصرفه في مذاهب الحق ووجوهه لم يكن في ذلك نكير عليه. ولقد انفرد سليمان وأبوه داود صلوات اللّه عليهما بملك بني إسرائيل لما اقتضته طبيعة الملك فيهم من الانفراد به وكانوا ما علمت من النبوة والحق. وكذلك عهد معاوية إلى يزيد

خوفاً من افتراق الكلمة بما كانت بنو أمية لم يرضوا تسليم الأمر إلى من سواهم. فلو قد عهد إلى غيره اختلفوا عليه مع أن ظنهم كان به صالحاً ولا يرتاب أحد في ذلك ولا يظن بمعاوبة غيره فلم يكن ليعهد إليه وهو يعتقد ما كان عليه من الفسق حاشا للّه لمعاوية من ذلك. (!!!!)

وكذلك كان مروان بن الحكم وابنه وإن كانوا ملوكاً فلم يكن مذهبهم في الملك مذهب أهل البطالة والبغي إنما كانوا متحرين لمقاصد الحق جهدهم إلا في ضرورة تحملهم على بعضها مثل خشية افتراق الكلمة الذي هو أهم لديهم من كل مقصد. يشهد لذلك ما كانوا عليه من الاتباع والاقتداء وما علم السلف من أحوالهم ومقاصدهم فقد احتج مالك في الموطإ بعمل عبد الملك. وأما مروان فكان من الطبقة الأولى من التابعين وعدالتهم معروفة (؟!) ثم تدرج الأمر في ولد عبد الملك وكانوا من الدين بالمكان الذي كانوا عليه. وتوسطهم عمر بن عبد العزيز فنزع إلى طريقة الخلفاء الأربعة والصحابة جهده ولم يهمل. ثم جاء خلفهم واستعملوا طبيعة الملك في أغراضهم الدنيوية ومقاصدهم ونسوا ما كان عليه سلفهم من تحري القصد فيها واعتماد الحق في مذاهبها. فكان ذلك مما دعا الناس إلى أن نعوا عليهم أفعالهم وأدالوا بالدعوة العباسية منهم. وولي رجالها الأمر فكانوا من العدالة بمكان وصرفوا الملك في وجوه الحق ومذاهبه ما استطاعوا حتى جاء بنو الرشيد من بعده فكان منهم الصالح والطالح. ثم أفضى الأمر إلى بنيهم فأعطوا الملك والترف حقه وانغمسوا في الدنيا وباطلها ونبذوا الدين وراءهم ظهرياً فتأذن اللّه بحربهم وانتزاع الأمر من أيدي العرب جملة وأمكن سواهم منه. واللّه لا يظلم مثقال

ذرة. ومن تأمل سير هؤلاء الخلفاء والملوك واختلافهم في تحري الحق من الباطل علم صحة ما قلناه. وقد حكى المسعودي مثله في أحوال بني أمية عن أبي جعفر المنصور وقد حضر عمومته وذكروا بني أمية فقال: «أما عبد الملك فكان جباراً لا يبالي بما صنع وأما سليمان فكان همه بطنه وفرجه وأما عمر فكان أعور بين عميان وكان رجل القوم هشام». قال: ولم يزل بنو أمية ضابطين لما مهد لهم من السلطان يحوطونة ويصونون ما وهب اللّه لهم منه مع تسنمهم معالي الأمور ورفضهم دنياتها حتى أفضى الأمر إلى أبنائهم المترفين فكانت همتهم قصد الشهوات وركوب اللذات من معاصي اللّه جهلاً باستدراجه وأمناً لمكره مع اطراحهم صيانة الخلافة واستخفافهم بحق الرياسة وضعفهم عن السياسة فسلبهم اللّه العز وألبسهم الذل ونفى عنهم النعمة».

ليس لنا بعد استماع هذا الفاصل الخلدوني التبريري اللا أخلاقي اللائق بقاضي قضاة ملك الشذوذ الجنسي إلا أن نثني خيرا على كل الظلمة والجبارين ومن أسس أساس الظلم والجور لآل محمد ولشيعة آل محمد ولبقية المسلمين وأن نواصل الثناء والإطراء لابن خلدون جريا وراء مكتشفيه الألمان إلى آخر تلك السخافات التي أدمنها البعض من دارسي هذا الرجل!!.

إنه واحد من عبدة صنم القوة المتداعي ومن كبار التبريريين الذين أوردوا العرب والمسلمين دار البوار.

الذي نخلص إليه أن النظرية الخلدونية الحلزونية لم تنبع من اعتماد الرجل لتصور إسلامي أخلاقي من أي نوع كان أو حتى لعمق

تأمله في كتاب اللّه بل لاعتماده نظرية الأمر الواقع المفروض والذي استفاد منه ملوك الكر والفر من المماليك وأسلافهم الأيوبيين ومن جاء قبلهم من العباسيين والأمويين.

إنها نظرية تتحدث عن الدولة في إطار تلك البنى الفوقية الحاكمة والمستولية على السلطة والمال والجاه ولكنها لا تتحدث عن الدولة الإسلامية في إطارها الحضاري الأخلاقي الشامل.

إنه يتحدث عن التغيرات التي تعتري تلك القشرة الفوقية السلطوية والتي تتمثل في انهيار الأمويين ثم العباسيين وانتقال السلطة من يد المرتزقة أبناء يوسف بن أيوب إلى العبيد المجلوبين من شتى أصقاع الأرض ليحكموا الأحرار والأشراف ويسومونهم سوء العذاب!!.

لا عجب إذا أن استفاد الغرب من أخطائه وتعلم منها وهاهو الآن يعيش في رحاب الليبرالية والتعددية التي هي أقرب إلى العدالة من غيرها من الأطروحات الأخرى أو من اللا أطروحات التي ما زال يحلو للمسلمين أن يتغنوا بها.

الشهيد الصدر ونظرية الصعود الارتقائي

يرى الشهيد آية اللّه محمد باقر الصدر أن حركة التاريخ حركة غائية سببية فيقول: تتميز حركة التاريخ عن كل الحركات الأخرى أنها حركة غائية لا سببية فقط إنها ليست مشدودة إلى سببها إلى ماضيها بل هي مشدودة إلى الغاية لأنها حركة هادفة لها علة غائية متطلعة إلى المستقبل وهو المحرك لأي نشاط من النشاطات التاريخية ص ١٣٩.

كما يرى أن المحتوى الداخلي للإنسان هو الأساس لحركة التاريخ

والبناء الاجتماعي العلوي بكل ما يضم من علاقات ومن أنظمة ومن أفكار وتفاصيل هذا البناء العلوي يرتبط بهذه القاعدة ويكون تغيره وتطوره تابعا لتغير هذه القاعدة وتطورها فإذا تغير الأساس تغير البناء العلوي وإذا بقي الأساس ثابتا بقي البناء العلوي ثابتا. فالعلاقة بين المحتوى الداخلي للإنسان والبناء الفوقي والتاريخي للمجتمع هي علاقة سببية [إن اللّه لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم]. فالآية تتحدث عن تغييرين أحدهما تغيير القوم (إن اللّه لا يغير ما بقوم) يعني تغيير أوضاع القوم شؤون القوم الأبنية العلوية للقوم ظواهر القوم وهي لا تتغير حتى يتغير ما بأنفسهم فالمحتوى النفسي والداخلي للأمة كأمة لا لهذا الفرد أو ذاك هو الذي يعتبر أساسا وقاعدة للتغييرات في البناء العلوي للحركة التاريخية كلها.

والإسلام والقرآن الكريم يؤكدان أن البناء الداخلي للإنسان يجب أن يسير جنبا إلى جنب مع البناء الخارجي المجتمعي.

ولهذا سمى الإسلام عملية بناء المحتوى الداخلي بالجهاد الأكبر وسمى عملية البناء الخارجي بالجهاد الأصغر وربط بين الجهاد الأصغر والجهاد الأكبر فإذا فصل الجهاد الأصغر عن الجهاد الأكبر فقد مضمونه وفقد قدرته على التغيير الحقيقي على الساحة التاريخية والاجتماعية. ص ١٤٠-١٤٢.

ويذهب إلى إن الغايات التي تحرك التاريخ يحددها المثل الأعلى وهي تنبثق عن وجهة نظر رئيسية إلى مثل أعلى للإنسان في حياته وهذا المثل الأعلى هو الذي يحدد الغايات التفصيلية وينبثق عنه هذا الهدف الجزئي. فالغايات بنفسها محركات للتاريخ وهي بدورها نتاج

لقاعدة أعمق منها في المحتوى الداخلي للإنسان وهو المثل الأعلى الذي تتمحور فيه كل تلك الغايات وتعود إليه كل تلك الأهداف[١].

ثم يزيد الشهيد الصدر الأمور إيضاحا فيقول:

قال تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ﴾: هذه الآية الكريمة تضع اللّه سبحانه وتعالى هدفا أعلى للإنسانية ككل والكدح يعني السير المستمر بالمعاناة والجهد والمجاهدة لأن هذا السير هو سير ارتقائي هو تصاعد وتكامل هو سير تسلق فالإنسانية حينما تكدح نحو اللّه فإنها تتسلق إلى قمم كمالها وتكاملها وتطورها إلى الأفضل باستمرار.

وهذا السير الذي يحتوي على المعاناة باستمرار يفترض طريقا هو سبيل اللّه.. صراط اللّه هذا التقدم بقدر فاعليته وبقدر زخمه هو اقتراب نحو اللّه سبحانه وتعالى.

أي أن اللّه ترك لنا مجال الإبداع إلى اللانهاية مجال التطور التكاملي إلى اللانهاية فالمسيرة الإنسانية حينما توفق بين وعيها على المسيرة وبين الواقع الكوني لهذه المسيرة سوف يحدث تغييرا كميا وكيفيا نحو الأمام.

أما التغيير الكمي فحينما يكون الطريق إلى المثل الأعلى الحق غير متناه يبقى مجال التطور والإبـداع والنمو قائما أبدا ودائما ومفتوحا للإنسان من دون توقف وعندما تتبنى البشرية هذا المثل الأعلى سوف تمسح من الطريق كل الآلهة المزورة كل الأصنام وكل

---

(١) المدرسة القرآنية، ص ١٤٥-١٤٧.

الأقزام المتصنمة على طريق الإنسان والتي تقف عقبة بين الإنسان وبين وصوله إلى اللّه سبحانه.

وأما التغيير الكيفي الذي يحدثه المثل الأعلى على هذه المسيرة فهو إعطاء الحل الموضوعي الوحيد للجدل والتناقض الإنساني ومن ثم ينشأ لديه شعور معمق بالمسئولية تجاه هذا المثل الأعلى لأن المسئولية الحقيقية لا تقوم إلا بين جهتين مسؤول ومسؤول لديه.

إن المثل الأعلى يحدث تغييرا كيفيا على المسيرة لأنه يعطي الشعور بالمسؤولية وهذا الشعور هو شرط أساسي في إمكان إنجاح هذه المسيرة وتقديم الحل الموضوعي للجدل الإنساني بين تركيبته الداخلية من تراب ونفحة من روح اللّه سبحانه.

هذا هو التطور الإنساني الأخلاقي الذي ينبغي أن نؤمن به وأن نسعى لتطوير مجتمعاتنا الإنسانية من خلاله بعيدا عن تلك المفاهيم التي لا تكترث بغير الأبنية السلطوية الفوقية وتراها دون غيرها سر الوجود والحد الفاصل بين الخطأ والصواب والحق والباطل!.

من التعددية إلى العدالة الإلهية:

مر العالم من الناحية السياسية عبر مرحلتين ولا زلنا في انتظار المرحلة الثالثة.

المرحلة الأولى: مرحلة الحكومات الإمبراطورية المطلقة الظالمة عادة والعادلة نادرا مرحلة الإمبراطوريات الفارسية والبيزنطية ويدخل فيها مرحلة الخلافة الإسلامية.

المرحلة الثانية: هي مرحلة التعددية والمشاركة الشعبية في الحكم

من خلال الانتخابات وهي مرحلة حديثة نسبيا ولكنها من دون شك أقرب إلى تحقيق قيمة العدالة من المرحلة الأولى، إلا أنه لا يمكن الجزم بأن التعددية هي قرين العدالة.

المرحلة الثالثة: هي مرحلة تحقيق حلم البشرية في إقامة دولة العدل الإلهي الحقيقي وهي من وجهة نظرنا دولة المهدي المنتظر ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُواْ يَحْذَرُونَ ﴾[1].

المرحلة الأولى: مرحلة الدولة الأبوية الإمبراطورية التي يجري تداول الحكم فيها عبر التوارث أو الاستخلاف الشكلي، حيث لم يكن هناك مجال للمطالبة بانتخابات رئاسية أو برلمانية وكلها أمور لم تكن قد دخلت بعد في إطار التطور المعرفي الإنساني كما أن المشاركة تعتمد أولا على وجود الكيانات الاجتماعية والسياسية القادرة على تداول السلطة واستلامها من الحزب الحاكم.

نقول أن التعددية هي مرحلة انتقالية بين السلطة الأبوية التفردية ودولة العدل الإلهي إذ لا ضمان على الإطلاق أن تقوم السلطة المنتخبة ديموقراطيا بضمان العدل أو الدفاع عن حقوق الطبقات الفقيرة والمستضعفة ومن باب أولى إيصالها إلى الحكم.

للتعددية آليات لا يمتلكها الفقراء أو حتى تلك الفئات التي حرمت عمدا ومع سبق الإصرار والترصد من تلك الإمكانات التي هي حق

---

(١) سورة القصص، الآيتان: ٥- ٦.

طبيعي لها بعد أن صودرت ثرواتها وأملاكها وأعطيت من قبل من لا يملك لمن لا يستحق.

إنها ديموقراطية الأغنياء ولكنها ليست أبدا ديموقراطية الفقراء ونظرة واحدة على الطريقة التى تدار بها العملية السياسية فى الولايات المتحدة الأمريكية تكشف لنا عن الدور الذي تقوم به مؤسسات التمويل في إدارة تلك العملية والدفع بالموالين لها إلى مراكز صنع القرار وبالتالي فالزعم بأن الديمقراطية تعني العدالة هو وهم كبير.

القبول بالتعددية وانتزاع المستضعفين لحق التواجد في ساحة السياسة والفكر هو مرحلة لازمة لإقامة دولة العدل التي لا يمكن أن تقوم إلا على أكتاف رجال أحرار لا يخافون في اللّه لومة لائم ولا يبيعون رضا الخالق من أجل أن يرضى الظالمون المستئثرون بالثروة والسلطة حتى ولو كانوا يتداولونها بينهم باسم الديمقراطية!!.

الوجه الأهم والأخطر للمسألة هي تلك النظرة الاستكبارية التي يعتمدها من أعداء شيعة أهل البيت عليهم السلام والذين ذاقوا حلاوة الاستئثار بالسلطة طيلة هذه القرون الخوالي والذين يرفضون الآن بإباء وتصميم أي محاولة لاستعادة هذا العدل المفقود وهم من يلقون الآن بكل ثقلهم وراء الحريق المشتعل في العراق وهو ما يشخصه (ولي نصر) في مقاله المنشور في مجلة foreign affairs الأمريكية الصادرة في يوليو ٢٠٠٦ بأنه: رفض الأقلية للتنازل عن ما تعتقد أنه حقها الأبدي في الحكم والهيمنة ومن ثم فهي تسعى لإحراق الأخضر واليابس حتى لا يأتي يومهم الذي كانوا يوعودون.

البشرية عامة والأمة الإسلامية خاصة تتحرك نحو هدفها الموعود

وفردوسها المفقود والذي لم يأت بعد في دولة العدل الإلهي حيث تعود الأمور إلى نصابها ويحق اللّه الحق بكلماته ولو كره الكافرون.

معالم دولة العدل والقائمون بها

الأمر عندها سيكون تصديقا لكلمات أمير المؤمنين علي بن أبي طالب: افْتَرَقُوا بَعْدَ أُلْفَتِهِمْ، وَتَشَتَّتُوا عَنْ أَصْلِهِمْ، فَمِنْهُمْ آخِذٌ بِغُصْنٍ أَيْنَما مَالَ مَالَ مَعَهُ، عَلَى أَنَّ اللّهَ تَعَالَى سَيَجْمَعُهُمْ لِشَرِّ يَوْم لِبَنِي أُمَيَّةَ، كَمَا تَجْتَمِعُ قَزَعُ الْخَرِيفِ يُؤَلِّفُ اللّهُ بَيْنَهُمْ، ثُمَّ يَجْعَلُهُمْ رُكَاماً كَرُكَامِ السَّحَابِ، ثُمَّ يَفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَاباً، يَسِيلُونَ مِنْ مُسْتَثَارِهِمْ كَسَيْلِ الْجَنَّتَيْنِ، حَيْثُ لَمْ تَسْلَمْ عَلَيْهِ قَارَةٌ، وَلَمْ تَثْبُتْ عَلَيْهِ أَكَمَةٌ، وَلَمْ يَرُدَّ سَنَنَهُ رَصٌّ طَوْد، وَلاَ حِدَابُ أَرْض، يُذعْذِعُهُمُ اللّهُ فِي بُطُونِ أَوْدِيَتِهِ، ثُمَّ يَسْلُكُهُمْ يَنَابِيعَ فِي الأَرْضِ، يَأْخُذُ بِهِمْ مِنْ قَوْم حُقُوقَ قَوْم، وَيُمَكِّنُ لِقَوْم فِي دِيَارِ قَوْم وَايْمُ اللّهِ لَيَذُوبَنَّ مَا فِي أَيْدِيهِمْ بَعْدَ الْعُلُوِّ وَالتَّمْكِينِ كَمَا تَذُوبُ الأَلْيَةُ عَلَى النَّارِ.

ويقول عليه السلام أيضا: لَتَعْطِفَنَّ الدُّنْيَا عَلَيْنَا بَعْدَ شِمَاسِهَا عَطْفَ الضَّرُوسِ عَلَى وَلَدِهَا. ثم تلا: ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾[1].

وهو يصف معالم دولة العدل بقوله سلام الله عليه: (وَفِي غَد وَسَيَأْتِي غَدٌ بِمَا لاَ تَعْرِفُونَ يَأْخُذُ الْوَالِي مِنْ غَيْرِهَا عُمَّالَهَا عَلَى مَسَاوِىءِ أَعْمَالِهَا، وَتُخْرِجُ لَهُ الأَرْضُ أَفَالِيذَ كَبِدِهَا، وَتُلْقي إِلَيْهِ سِلْماً مَقَالِيدَهَا، فَيُرِيكُمْ كَيْفَ عَدْلُ السِّيرَة). خطبة ١٣٨

(١) سورة القصص، الآية: ٥، نهج البلاغة، حكمة ١٩٩.

ويقول أيضا: (لتملأن الارض ظلما وجورا، حتى لا يقول أحد اللّه اللّه، يستعلن به ثم لتملأن بعد ذلك قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا).

وعن علي عليه السلام أنه قال (حتى لا يقول أحد اللّه إلا مستخفيا ثم يأتي اللّه بقوم صالحين يملؤونها قسطا وعدلا..).

ويقول أيضا (واللّه ليظهرن عليكم هؤلاء باجتماعهم على باطلهم وتخاذلكم عن حقكم، حتى يستعبدونكم كما يستعبد الرجل عبدا إذا شهد جزمه وإذا غاب سبه حتى يقوم الباكيان الباكي لدينه والباكي لدنياه وأيم اللّه لو فرقوكم تحت كل حجر لجمعكم لشر يوم لهم والذي خلق الحبة وبرأ النسمة لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطول اللّه ذلك اليوم حتى يملك الارض رجل مني يملؤ الارض عدلا وقسطا كما ملئت جورا وظلما)[1].

خلاصة:

الذي نخلص إليه في هذا البحث أن تطور التاريخ الإنساني عامة وتاريخ المسلمين على وجه الخصوص هو حركة تقدمية تصاعدية تتجه نحو هدف أعلى وأسمى هو تحقيق العدالة بين البشر في أبعادها المختلفة إنسانيا واجتماعيا وأخلاقيا وسياسيا.

إنه تطور لن يتوقف ببلوغ العالم مرحلة القبول بالتعددية أو الليبرالية رغم أن القبول بالتعددية هي مرحلة أقرب إلى العدالة من المرحلة التسلطية سواء كانت هذه التسلطية دينية أو خلدونية عنصرية

---

(١) معجم أحاديث المهدي.

لا غاية لها إلا الاستيلاء على الملك وتكريس إمكانات الأمة في خدمة القبيلة الأموية القرشية العباسية أو القبيلة الصعلوكية المملوكية التي حكمت مصر والكثير من بقاع العالم لمدة تزيد على ثمانية قرون فكان أن أوردت هذا العالم مورد الهلاك والبوار.

إنها حركة تقدمية لن تنتهي حتى (يأتي اللّه بقوم صالحين يملؤونها قسطا وعدلا) وليس بتأسيس نظام يسمح بتداول السلطة شكلا والاستئثار بها مضمونا لتبقى في حوزة المتغلبين من الذين يريدون علوا في الأرض وفسادا.

والعاقبة للمتقين.

المهدي المنتظر وعلم الغيب

يقول تعالى ﴿الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾[1].

الغَيْبُ حسب صاحب لسان العرب: كلُّ ما غاب عنك. ومعنى يؤمنون بالغَيْبِ؛ أَي يؤمنون بما غابَ عنهم، مما أَخبرهم به النبيُّ، ﷺ، من أَمرِ البَعْثِ والجنةِ والنار. وكلُّ ما غابَ عنهم مما أَنبأَهم به، فهو غَيْبٌ؛ وقال ابن الأَعرابي: يؤمنون باللّه. والغَيْبُ أَيضاً ما غابَ عن العُيونِ سواء كان مُحَصَّلاً في القلوب أَو غير محصل.

التفسير اللغوي لكلمة غيب الواردة في الآية الثالثة من سورة البقرة والذي اعتمده أغلب المفسرين هو كل ما غاب عنك، وهو تفسير لا يتلاءم مع مدح من كانت هذه صفتهم، إذ لو كان كل من يقر بوجود ما هو غائب عن نظره تقيا لاستوى في ذلك المؤمن والمنكر لوجود اللّه عز وجل، ولو أنك سألت أحدا ممن ينكرون اللّه عما يتوقع حدوثه بعد عام أو عامين أو عن موعد موته لنفى علمه أي أنه يقر بوجود غيب محجوب عنه لا يراه ولا يملك وسيلة لمعرفته.

---

(١) سورة البقرة، الآيات: ١-٥.

أيضاً فالمسلمون وأهل الكتاب يؤمنون بالغيب مع اختلاف المعتقد واختلاط الحق بالباطل لدى هؤلاء، ولذا فمجرد الإيمان بالغيب أو بالثواب والعقاب الأخروي لا يمكن أن يكون فضيلة في حد ذاتها ترفع من يؤمن بها من مرتبة الإقرار الظاهري بالإسلام إلى مرتبة التقوى والتزكية!!.

أيضا لو كان الغيب المذكور في الآية يعني مجرد الإيمان باليوم الآخر لما احتاج القرآن لذكر الآخرة بصورة منفردة ﴿ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ﴾ ولكانت هذه الكلمات مجرد تكرار دون حاجة للتكرار.

الغيب المذكور في أول الآية ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ ﴾ مختلف عن ذلك المذكور في آخر الآية ﴿ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ﴾.

الغيب في الآية الكريمة وفي القرآن عامة يعني ضمن ما يعني الغياب وهذا ما ذكره ابن منظور صاحب اللسان (والغَيْبُ ما غابَ عن العُيونِ، وإِن كان مُحَصَّلاً في القلوب).

الغيب وعوالمه هو وجود حقيقي مادي أو معنوى لا يمكن للحواس مجردة أو غير مجردة ومن ثم للعقل التعرف إليه بصورة مستقلة عن إخبار الرسل والأنبياء، وقصارى دور العقل في هذا المجال هو الحكم بالإمكان أو عدم الإمكان.

أما أن يستقل العقل بتأسيس وجودٍ ما في عالم الغيب، ناهيك عن رسم معالمه وتفاصيله فهذا هو المستحيل بعينه.

الغيب لغة يعني ذلك المبهم العام الذي يتضمن ما بعد الموت مم لم تره أعين الأحياء فتخبر عنه مشافهة فما بالك يوم تبدل الأرض

غير الأرض والسماوات، يوم يكشف الغطاء الذي يحول بين الناس ورؤية الحقائق كما هي ﴿لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾[1].

وهناك إشارة هامة تضمنها قوله تعالى ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾، فهؤلاء إما آمنوا بالغيب إجمالا أو أنهم آمنوا بشيء ما أو بشخص ما رغم غيابه عنهم وهو ما أشار إليه الشيخ الصدوق في (كمال الدين) حيث قال: وفي قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ حجة قوية في غيبة الامام عليه السلام، وذلك أنه عز وجل لما قال: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ أوجب بهذا اللفظ معنى وهو أن يعتقدوا طاعته فاعتقد عدو اللّه إبليس بهذه الكلمة نفاقا وأضمره حتى صار به منافقا، وذلك أنه أضمر أنه يخالفه متى استعبد بالطاعة له فكان نفاقه أنكر النفاق لأنه نفاق بظهر الغيب، ولهذا من الشأن صار أخزى المنافقين كلهم، ولما عرف اللّه عز وجل ملائكته ذلك أضمروا الطاعة له واشتاقوا إليه فأضمروا نقيض ما أضمره الشيطان فصار لهم من الرتبة عشرة أضعاف ما استحق عدو اللّه من الخزي والخسار فالطاعة والموالاة بظهر الغيب أبلغ في الثواب والمدح لانه أبعد من الشبهة والمغالطة، ولهذا روي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «من دعا لاخيه بظهر الغيب ناداه ملك من السماء ولك مثلاه». وإن اللّه تبارك وتعالى أكد دينه بالايمان بالغيب فقال: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ - الآية﴾ فالإيمان بالغيب أعظم مثوبة لصاحبه لأنه خلو من كل عيب وريب لأن بيعة الخليفة وقت المشاهدة قد يتوهم

---

(١) سورة ق، الآية: ٢٢.

على المبايع أنه إنما يطيع رغبة في خير أو مال، أو رهبة من قتل أو غير ذلك مما هو عادات أبناء الدنيا في طاعة ملوكهم وإيمان الغيب مأمون من ذلك كله، ومحروس من معايبه بأصله، يدل على ذلك قول اللّه عزوجل: ﴿ فَلَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَاۖ ﴾ ولما حصل للمتعبد ما حصل من الايمان بالغيب لم يحرم اللّه عز وجل ذلك ملائكته فقد جاء في الخبر إن اللّه سبحانه قال هذه المقالة للملائكة قبل خلق آدم بسبعمائة عام وكان يحصل في هذه المدة الطاعة لملائكة اللّه على قدرها).

عندما قال اللّه لملائكته ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةًۖ ﴾ فبديهي أن هذا قبل خلق آدم، ولو افترضنا أن آدم عليه السلام كان وقتها حاضرا وليس غيبا فلماذا اعترض الملائكة بقولهم ﴿ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ... ﴾، حيث ظل آدم عليه السلام مقيما بالجنة حتى أكل من الشجرة ثم هبط إلى الأرض وكل هذا كان غيبا تعين على الملائكة أن يقروا به ويذعنوا له حتى ولو كان كل هذا غير معاين ولا معلوم ولا حدث منه شيء!!. انتهى النقل.

الغيب عالَمٌ أو عوالم منها ما يرتبط بالصراع المتواصل بين الحق والباطل مذ بعث اللّه الأنبياء وأنزل معهم الكتاب بالحق والميزان، منه ما هو على مقربة منا لا يفصله عن أنظارنا سوى القدرة على الرؤية والإبصار ومنه يوم الحساب النهائي ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًا بَعِيدًاۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ ولا يظلم ربك أحدا.

الغيب هو خبايا الصراع بين الحق والباطل ومن ضمنه قطعا ذلك المكر الإلهي الذي يفسد به الخالق المدبر خطط حزب الشيطان وأوليائه ويجعلها سرابا وذلك قول اللّه تعالى ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَجْتَبِى مِن رُّسُلِهِۦ مَن يَشَآءُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾[1].

البعض حاول أن يحصر الغيب الذي لا يعلمه إلا اللّه في المذكور في تلك الآية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾[2].

في حين أن ما ورد في الآية الكريمة لم يرد على سبيل الحصر بل على سبيل الاستدلال، كما أن هذه العلوم لها ظاهر وباطن والغيث لا يعني المطر حصرا بل هي رحمة اللّه التي يغدقها على من يشاء من عباده وقتما يشاء، وهو سبحانه يؤتي الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[3].

الذي نوقن به أن إدارة الصراع بين الحق والباطل منذ بعث اللّه

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٧٩.

(٢) سورة لقمان، الآية: ٣٤.

(٣) سورة آل عمران، الآيتان: ٢٦-٢٧.

رسوله بالهدى ودين الحق إلى أن يأتي وعد اللّه فيظهره على الدين كله، بظهور المهدي الغائب المنتظر، ولو كره المشركون، بيد اللّه سبحانه وتعالى حيث سنرى عجائب قدرته بادية تقطع الشك باليقين وتزيل الظلمات لتشرق الأرض بنور ربها وأن الجهد والجهاد الإنساني يمثل جزءا من إدارة هذا الصراع، لكن الجزء الأكبر بيده سبحانه ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴾(١).

لو كان لدى هؤلاء شك فيما نقول فليقرأوا قوله تعالى ﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾ قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴾(٢).

وقوله تعالى ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾(٣).

أما جوهر الخلاف بين من يؤمنون وينتظرون الغائب الغيب وبين من يرون ألا حاجة لمهدي يملأ الأرض عدلا بعد أن ملئت ظلما وجورا، يقتص ممن بدلوا نعمة اللّه كفرا وأحلوا قومهم دار البوار، فراجع إلى أنهم يرون في رموزهم وقادتهم وما ارتكبوه من جرائم ومارسوه من انتهاكات نموذجا للعدل والطهر كما قال الكميت الأسدي (فقُل للذي مـن ظلِّ عمياءَ جونةٍ / ترى الجورَ عدلاً: أين لا أين تذهبُ ؟!)، وأليس من حق الأمة ولا من واجبها أن تتطلع لما هو أفضل من هذا الظلم المقيم منذ أربعة عشر قرن من الزمان!!!.

---

(١) سورة الرعد، الآية: ٢.

(٢) سورة سبأ، الآيتان: ٤٨-٤٩.

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ١٨.

الغيب كما قلنا من قبل، عوالم متعددة وليس عالما واحدا مرتبط بالظواهر الطبيعية ولذا قال تعالى ﴿ وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾[1]، مميزا بين هذه العوالم ومؤكدا على انفراده سبحانه بإدارة الكون وأهم ما فيه وهو الصراع بين الحق والباطل وبين الإسلام الحقيقي الذي جاء به محمد بن عبد اللّه والإسلام الزائف الذي تتداوله تلك العصابات الأموية والوهابية وتريد أن تأكل به الدنيا ولا يبغون عن ذلك حولا.

لا غرابة إذا أن نرى ضمن التفاسير الواردة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام من يفسر الغيب بالإمام المهدي الغائب سلام اللّه عليه.

يقول الشيخ الصدوق في كمال الدين:

قوله عز وجل ﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ ﴾ يعنى بالقائم عليه السلام وغيبته. حدثنا محمد بن موسى بن المتوكل رحمه الله قال: حدثنا محمد بن يحيى العطار قال: حدثنا أحمد بن محمد بن عيسى، عن عمر بن عبد العزيز، عن غير واحد، عن داود ابن كثير الرقي، عن أبي عبد اللّه عليه السلام في قول اللّه عزوجل ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ ﴾ قال: من أقر بقيام القائم عليه السلام أنه حق. حدثنا علي بن أحمد بن موسي رحمه الله قال: حدثنا محمد بن أبي عبد اللّه الكوفي قال: حدثنا موسى بن عمران النخعي، عن عمه الحسين بن يزيد، عن علي بن أبي حمزة عن يحيى بن أبي القاسم قال: سألت الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام عن قول اللّه

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٥٩.

عزو جل «الم ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب» فقال: المتقون شيعة علي عليه السلام والغيب هو الحجة الغائب. وشاهد ذلك قوله عز وجل ﴿ وَيَقُولُونَ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ فَقُلْ إِنَّمَا ٱلْغَيْبُ لِلَّهِ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴾ فأخبر عز وجل أن الآية هي الغيب والغيب هو الحجة، وتصديق ذلك قول اللّه عزو جل: « وجعلنا ابن مريم وأمه آية « يعني حجة.

حدثنا أبي رحمه الله قال: حدثنا سعد بن عبد اللّه قال: حدثنا محمد بن الحسين ابن أبي الخطاب، عن الحسن بن محبوب، عن علي بن رئاب، عن أبي عبد اللّه عليه السلام أنه قال: في قول اللّه عزو جل: ﴿ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَـٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ ﴾ فقال: الآيات هم الائمة، والآية المنتظرة هو القائم عليه السلام، فيومئذ لا ينفع نفسا إيمانها لم تكن آمنت من قبل قيامه بالسيف، وإن آمنت بمن تقدمه من آبائه عليهم السلام. وقد سمى اللّه عزو جل يوسف عليه السلام غيبا حين قص قصته على نبيه محمد صلى الله عليه وآله فقال عزو جل: «ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ أجمعوا أمرهم وهم يمكرون « فسمى يوسف عليه السلام غيبا لان الانباء التى قصها كانت أنباء يوسف فيما أخبر به من قصته وحاله وما آلت إليه أموره. ولقد كلمني بعض المخالفين فى هذه الاية فقال: معنى قوله عزو جل: ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ ﴾ أي بالبعث والنشور وأحوال القيامة، فقلت له: لقد جهلت في تأويلك وضللت في قولك فإن اليهود والنصارى وكثيرا من فرق المشركين والمخالفين لدين الاسلام يؤمنون بالبعث والنشور والحساب والثواب والعقاب فلم يكن اللّه تبارك وتعالى ليمدح المؤمنين بمدحة قد شركهم فيها فرق الكفر

والجحود بل وصفهم اللّه عز وجل ومدحهم بما هو لهم خاصة، لم يشركهم فيه أحد غيرهم.

النبي المنتظر والإيمان بالغيب

أحد أشهر نماذج الإيمان المنقوص بالغيب هو نموذج اليهود الذين كانوا ينتظرون ظهور النبي الأكرم محمد ﷺ في آخر الزمان ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾[1].

إنه إيمان منقوص قائم على الغش والحسد والبغي الذي أهلك الأمم السابقة، إلا أن الدمار الذي ألحقه باليهود كان شديدا وبالغا، وقد سبقه كفرهم بالمسيح عيسى بن مريم سلام اللّه عليه الذي لقي من هؤلاء الجاحدين أبشع أنواع الإيذاء والعنت.

معنى الإيمان

بديهي أن الإيمان لا يبنى على الجهل بل على المعرفة التامة، فالإيمان باللّه عز وجل كما وصفه أمير المؤمنين عليه السلام: (أَوَّلُ الدِّينِ مَعْرِفَتُهُ وَكَمَالُ مَعْرِفَتِهِ التَّصْدِيقُ بِهِ وَكَمَالُ التَّصْدِيقِ بِهِ تَوْحِيدُهُ وَكَمَالُ تَوْحِيدِهِ الْإِخْلَاصُ لَهُ)، ومن ثم فالإيمان بالغائب المنتظر لا يتحقق

---

(١) سورة البقرة، الآيتان: ٨٩-٩٠.

إلا بمعرفة القضية وتفاصيلها كما أن الانتظار هو فعل حتى وإن بدا للناظر فعلا سلبيا، فأنت عندما تنتظر ضيفا يأتي إلى بيتك لن تنشغل عنه بفعل آخر يحول بينك وبين القيام بواجب استقباله وأداء حقه كما يزعم بعض السذج!!.

عندما تكون متيقنا أن هناك من سيأتيك بالطعام فلن تقوم بإعداد وجبة طعام أخرى، وعندما يدعوك أحدهم للغذاء فستتهيأ للذهاب معه وسترتدي ثياب الخروج كيلا ينتظرك هو بدلا من انتظارك له وكل هذه بديهيات ومسلمات، أي أن فعل الانتظار له وجهان وجه يتعلق بالمنتظِرِ ووجه يتعلق بالمنتظَرِ.

عندما تكون واثقا بوعد الصديق الآتي فلن تخلد للنوم بل ستتهيأ لاستقباله، هذا لو كنت فردا، إما إذا كنت واحدا ضمن جماعة فستتواصل معهم وتنبههم أو ينبهونك، وهكذا مما لا يحتاج لمزيد من الشرح والتفصيل.

دعك إذا من تلك المقولة الفاشلة التي تزعم أن الاتكال على وعد الظهور المهدوي يلهيك عن العمل الجاد والدؤوب من أجل الإصلاح لأن انتظار الإمام المهدي صاحب الزمان ومظهر الإيمان يغنيك عن المشاريع العشوائية الفاشلة التي تستنفذ جهدك وطاقتك قبل أن تكتشف ولات حين مناص أنك كنت تطارد سرابا بقيعة يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا.

يقول تعالى ﴿ وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴾[1].

---

(١) سورة هود، الآية: ٨.

يقول علي بن إبراهيم في تفسير هذه الآية: ﴿لَيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ﴾ اي يقولون (لا يقوم القائم ولا يخرج)، على حد الاستهزاء فقال اللّه ﴿أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾. اخبرنا احمد بن ادريس قال حدثنا احمد بن محمد عن علي بن الحكم عن سيف عن حسان عن هشام بن عمار عن أبيه وكان من أصحاب الإمام علي عليه السلام عنه عليه السلام في قوله تعالى ﴿وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُۥٓ﴾ قال الأمة المعدودة أصحاب القائم الثلاثمائة والبضعة عشر.

وهذا أيضا مشابه لقوله تعالى ﴿أَفَرَءَيْتَ إِن مَّتَّعْنَٰهُمْ سِنِينَ ۝٢٠٥ ثُمَّ جَآءَهُم مَّا كَانُواْ يُوعَدُونَ ۝٢٠٦ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يُمَتَّعُونَ ۝٢٠٧ وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ﴾[1].

روى الكليني في الكافي ج٨:

٤٨٧ ـ علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن منصور بن يونس، عن إسماعيل بن جابر، عن أبي خالد، عن أبي جعفر عليه السلام في قول اللّه عزوجل: ﴿فَٱسْتَبِقُواْ ٱلْخَيْرَٰتِ أَيْنَ مَا تَكُونُواْ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا﴾ قال: الخيرات الولاية وقوله تبارك وتعالى: ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُواْ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا﴾ يعني أصحاب القائم الثلاثمائة والبضعة عشر رجلا، قال: وهم واللّه الأمة المعدودة يجتمعون واللّه في ساعة واحدة قزع كقزع الخريف.

ما يعنينا في هذا التفسير الذي يتفق مع الرؤية التي نؤمن بها وهي

---

(١) سورة الشعراء، الآيات: ٢٠٥-٢٠٨.

أن مسيرة الأمة الإسلامية نحو التكامل، تلك المسيرة التي لا تكتمل إلا بظهور هذه الأمة الصغيرة التي تشكل قلب الأمة الكبرى، بدأت ببعثة محمد بن عبد اللّه ﷺ وما تزال متواصلة حتى ظهور الإمام المهدي محمد بن الحسن عليه السلام لا بد أن تأخذ الأمة نحو التكامل والرقي، الغاية النهائية للبعثة الإسلامية ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾.

لماذا يجتمع السلطويون والإسلاميون على المنازعة والتشكيك في الظهور المهدوي؟!.

السبب الأول حسب رأينا يرجع لرفض هؤلاء وهؤلاء الإقرار بأن بضاعتهم الفكرية والأخلاقية هي بضاعة فاسدة وأنها لم تجلب للأمة طيلة هذه القرون سوى الخسار والبوار.

السبب الثاني أن الإسلاميين (من يزكون أنفسهم بهذا النسب) يعتزون اعتزازا بالغا بعقولهم التي تكونت على ذات الثقافة المزجاة ويصرون على الانطلاق نحو ما يسمونه إصلاحا انطلاقا من هذه الثقافة الفاشلة حكما، نحو التغيير أملا في إعادة تجريب المجرب!!.

أما السبب الثالث: فهو الحسد الذي توارثه بعض هؤلاء عن آبائهم وأجدادهم وإنكارهم أن من الممكن أن يكون هناك من هو أهدى سبيلا وذلك قوله عز من قائل ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُزَكُّونَ أَنفُسَهُم ۚ بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّى مَن يَشَآءُ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٤٩﴾ ٱنظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَكَفَىٰ بِهِۦٓ إِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٠﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَـٰبِ يُؤْمِنُونَ

بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سَبِيلًا ﴾[1].

الفارق بين أولئك الذين يزكون أنفسهم ويخصون ذواتهم بلقب الإسلاميين من دون سائر المسلمين، وهم يلمزون المؤمنين وينبزونهم بالألقاب ويصفونهم بصفة (الرافضة) وهم يركضون خلف أئمة الهلاك الذين نشروا الدمار في شتى أركان العالم الإسلامي وذهب بهم الطيش والغرور حد الاستعانة باليهود والأمريكان في مغامراتهم الفاشلة، وبين المؤمنين بالغيب المنتظرين للإمام الحق وهم على معرفة بحق نبيهم وأئمتهم، أن هؤلاء ضربهم داء الكبر والغرور الذي ضرب إبليس اللعين ودعاه لرفض السجود لآدم عليه السلام خليفة اللّه في الأرض بينما يتحلى المؤمنون بالتواضع والإخبات لرب العالمين فهو الذي يزكي من يشاء وهو وحده من يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور.

العبرة التي نستخلصها من كفر اليهود بعيسى بن مريم ثم بنبينا الأكرم محمد ﷺ أن الإيمان لا يعني فقط مجرد المعرفة بل التسليم الحقيقي والإخبات لرب العالمين، فالمعرفة التي جعلتهم يستفتحون على الذين كفروا لم تدفعهم للإيمان بنبوة محمد ﷺ، حيث حالت شوائب النفس وأمراضها وما جبلت عليه من الغل والحسد، بينهم وبين الإيمان والتسليم عندما جاءهم ما عرفوا.

ربما كان هذا مرتبطا بقلة عدد أصحاب الإمام المهدي سلام اللّه

---

(١) سورة النساء، الآيات: ٤٩-٥١.

عليه واقتصارهم على ٣١٣ فرد من بين مئات الملايين الذين يؤمنون بغيبة الإمام وينتظرونه والشيء الثابت أن الإيمان درجات ومراتب وكذا الإخلاص.

الإيمان بالغائب درجات ترتقي ثم ترتقي حتى تبلغ عين اليقين ودونكم انتظار يعقوب سلام اللّه عليه للغائب المنتظر يوسف فلذة كبده ونور عينيه، يقينا غاب عنه أبناؤه الذين ضيعوا يوسف حيث يصف رب العزة هذا الحال، ﴿ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٨٤﴾ قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُاْ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ ٱلْهَٰلِكِينَ ﴿٨٥﴾ قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّى وَحُزْنِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ يَٰبَنِىَّ ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾[1].

ولو قارنا هذا الوصف القرآني بما قاله الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام (مَا أَطْوَلَ هَذَا الْعَنَاءَ وَ أَبْعَدَ هَذَا الرَّجَاءَ)، وكلما طال الأمد تباعدت المسافة بين أهل الشك وأهل اليقين الذين يؤمنون بالغيب الآتي بوعد اللّه لا ريب فيه ﴿ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴾[2].

شتان بين من ﴿ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾ وبين من طال عليهم أمد العناء وتناوبت عليهم شتى صنوف البلاء فما زادهم ذلك إلا صبرا وثباتا وإيمانا بصدق وعد اللّه

---

(١) سورة يوسف، الآيات: ٨٤-٨٧.

(٢) سورة الروم، الآيتان: ٦-٧.

عز وجل ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[1].

الإيمان بالغيب يعني الإيمان بالغائب المنتظر ويعني أيضا الإيمان والتصديق بوعد اللّه كما يعني الجهاد استكمالا لشروط الظهور وظروفه وأدواته وهذا قوله تعالى ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴾[2].

يقول العلامة الطبطبائي في تفسير قوله تعالى ﴿ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ ﴾ في مقام التعليل لقوله ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم ﴾ أي وأعدوا لهم ذلك لترهبوا وتخوفوا به عدو اللّه وعدوكم، وفي قوله ﴿ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ﴾ دلالة على أن المراد بالأولين هم الذين يعرفهم المؤمنون بالعداوة للّه ولهم، والمراد بهؤلاء الذين لا يعلمهم المؤمنون - على ما يعطيه إطلاق اللفظ - كل من لا خبرة للمؤمنين بتهديده إياهم بالعداوة من المنافقين الذين هم في كسوة المؤمنين وصورتهم يصلون ويصومون ويحجون ويجاهدون ظاهرا، ومن غير المنافقين من الكفار الذين لم يبتل بهم المؤمنون بعد. انتهى

---

(١) سورة آل عمران، الآيتان: ١٤٦-١٤٧.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٦٠.

ولو تأملنا واقع المسلمين بعد رحيل رسول اللّه ﷺ عن هذه الدنيا وبروز حركات الانحراف (الناكثين والقاسطين والمارقين) وتصدي الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام لهم وقوله (أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ اللَّهِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ أَيُّهَا النَّاسُ فَإِنِّي فَقَأْتُ عَيْنَ الْفِتْنَةِ وَلَمْ يَكُنْ لِيَجْتَرِئَ عَلَيْهَا أَحَدٌ غَيْرِي بَعْدَ أَنْ مَاجَ غَيْهَبُهَا وَ اشْتَدَّ كَلَبُهَا فَاسْأَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ فِيمَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ السَّاعَةِ وَلَا عَنْ فِئَةٍ تَهْدِي مِائَةً وَتُضِلُّ مِائَةً إِلَّا أَنْبَأْتُكُمْ بِنَاعِقِهَا وَقَائِدِهَا وَسَائِقِهَا وَمُنَاخِ رِكَابِهَا وَمَحَطِّ رِحَالِهَا وَمَنْ يُقْتَلُ مِنْ أَهْلِهَا قَتْلًا وَمَنْ يَمُوتُ مِنْهُمْ مَوْتاً وَلَوْ قَدْ فَقَدْتُمُونِي وَنَزَلَتْ بِكُمْ كَرَائِهُ الْأُمُورِ وَحَوَازِبُ الْخُطُوبِ لَأَطْرَقَ كَثِيرٌ مِنَ السَّائِلِينَ وَفَشِلَ كَثِيرٌ مِنَ الْمَسْئُولِينَ وَذَلِكَ إِذَا قَلَّصَتْ حَرْبُكُمْ وَشَمَّرَتْ عَنْ سَاقٍ وَضَاقَتِ الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ ضِيقاً تَسْتَطِيلُونَ مَعَهُ أَيَّامَ الْبَلَاءِ عَلَيْكُمْ حَتَّى يَفْتَحَ اللَّهُ لِبَقِيَّةِ الْأَبْرَارِ مِنْكُمْ إِنَّ الْفِتَنَ إِذَا أَقْبَلَتْ شَبَّهَتْ وَإِذَا أَدْبَرَتْ نَبَّهَتْ يُنْكَرْنَ مُقْبِلَاتٍ وَيُعْرَفْنَ مُدْبِرَاتٍ يَحُمْنَ حَوْمَ الرِّيَاحِ يُصِبْنَ بَلَداً وَيُخْطِئْنَ بَلَداً أَلَا وَإِنَّ أَخْوَفَ الْفِتَنِ عِنْدِي عَلَيْكُمْ فِتْنَةُ بَنِي أُمَيَّةَ فَإِنَّهَا فِتْنَةٌ عَمْيَاءُ مُظْلِمَةٌ عَمَّتْ خُطَّتُهَا وَ خَصَّتْ بَلِيَّتُهَا وَأَصَابَ الْبَلَاءُ مَنْ أَبْصَرَ فِيهَا وَأَخْطَأَ الْبَلَاءُ مَنْ عَمِيَ عَنْهَا وَايْمُ اللَّهِ لَتَجِدُنَّ بَنِي أُمَيَّةَ لَكُمْ أَرْبَابَ سُوءٍ بَعْدِي كَالنَّابِ الضَّرُوسِ تَعْذِمُ بِفِيهَا وَتَخْبِطُ بِيَدِهَا وَتَزْبِنُ بِرِجْلِهَا وَتَمْنَعُ دَرَّهَا لَا يَزَالُونَ بِكُمْ حَتَّى لَا يَتْرُكُوا مِنْكُمْ إِلَّا نَافِعاً لَهُمْ أَوْ غَيْرَ ضَائِرٍ بِهِمْ وَلَا يَزَالُ بَلَاؤُهُمْ عَنْكُمْ حَتَّى لَا يَكُونَ انْتِصَارُ أَحَدِكُمْ مِنْهُمْ إِلَّا كَانْتِصَارِ الْعَبْدِ مِنْ رَبِّهِ وَالصَّاحِبِ مِنْ مُسْتَصْحِبِهِ تَرِدُ عَلَيْكُمْ فِتْنَتُهُمْ شَوْهَاءَ مَخْشِيَّةً وَقِطَعاً جَاهِلِيَّةً لَيْسَ فِيهَا مَنَارُ هُدًى وَلَا عَلَمٌ يُرَى نَحْنُ أَهْلَ الْبَيْتِ مِنْهَا بِمَنْجَاةٍ وَلَسْنَا فِيهَا بِدُعَاةٍ ثُمَّ يُفَرِّجُهَا اللَّهُ عَنْكُمْ كَتَفْرِيجِ

الْأَدِيمِ بِمَنْ يَسُومُهُمْ خَسْفاً وَيَسُوقُهُمْ عُنْفاً وَيَسْقِيهِمْ بِكَأْسٍ مُصَبَّرَةٍ لَا يُعْطِيهِمْ إِلَّا السَّيْفَ وَلَا يُحْلِسُهُمْ إِلَّا الْخَوْفَ فَعِنْدَ ذَلِكَ تَوَدُّ قُرَيْشٌ بِالدُّنْيَا وَمَا فِيهَا لَوْ يَرَوْنَنِي مَقَاماً وَاحِداً وَلَوْ قَدْرَ جَزْرِ جَزُورٍ لِأَقْبَلَ مِنْهُمْ مَا أَطْلُبُ الْيَوْمَ بَعْضَهُ فَلَا يُعْطُونِيهِ).

ثُمَّ يُفَرِّجُهَا اللَّهُ عَنْكُمْ كَتَفْرِيجِ الْأَدِيمِ....

بِمَنْ يَسُومُهُمْ خَسْفاً وَيَسُوقُهُمْ عُنْفاً وَيَسْقِيهِمْ بِكَأْسٍ مُصَبَّرَةٍ لَا يُعْطِيهِمْ إِلَّا السَّيْفَ وَلَا يُحْلِسُهُمْ إِلَّا الْخَوْفَ....

إنه الإمام المهدي عليه السلام وهؤلاء الأعداء الذين لا تعلمونهم، لكن اللّه يعلمهم، وهو سبحانه لم يحجب علمه كليا عن خلقه بل ائتمن عليه من يخرجه للناس وقت الحاجة لعلمه والعمل بموجبه وهم الرسول صلى الله عليه وآله والأئمة من آل محمد.

الآن تبدو أهمية هذه الآية وما حفلت به من آيات مرت مرور الكرام على القارئ غير المتدبر في كتاب اللّه الذي يكتفي بفهم القرآن فهما ظاهريا بل يمر على بعض الأسئلة التي تطرحها بعض الآيات دون أن يكلف خاطره بمحاولة الحصول على إجابة لها.

لم يكن قتال الحركات المنحرفة التي تنتمي لظاهر الإسلام بالأمر السهل حيث حاول البعض محاولات جادة لاحتوائهم إلا أن الأمور لم تسر كما كان يتمناه المتفائلون ووصلت الأمور الآن لصدام لم يعد من الممكن اجتنابه ليهلك من هلك عن بينة ويحي من حيي عن بينة.

الخلاصة:

تحدث القرآن الكريم عن الإيمان بالمهدي المنتظر وعن موجبات ظهوره وحتمية الإعداد لهذا الظهور حديثا تفصيليا عميقا بعضه بلغة الرمز وبعضه بلغة لا يفهمها إلا أهل الباطن والعمق.

ها نحن الآن نقاتل هؤلاء الذين لم يكن أحد يعلمهم أو ينتظرهم باستثناء أهل البصائر الموالين للنبي وأهل بيته صلوات اللّه وسلامه.

المهدي والنظر والانتظار

قراءة في سورة الحديد

﴿ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُواْ بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ
مِيثَٰقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ
لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾ وَمَا
لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِى
مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ
مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُواْ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾ مَّن ذَا
ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾ يَوْمَ تَرَى
ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ
جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ
يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ
ٱرْجِعُواْ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُواْ نُورًا ۖ فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ
ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ
وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ
أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ
كَفَرُواْ ۚ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ ۖ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ ۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ
ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ

أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلُ فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ ١٦ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴾[1].

تتحدث سورة الحديد عن الميثاق الذي أخذه اللّه على أتباع النبي محمد ﷺ مؤكدة على اعتباره شرطا من شروط الإيمان ﴿ وَقَدۡ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾.

أي ميثاق هذا الذي يعد الوفاء والالتزام به شرطا لا يكتمل الإيمان إلا به؟!.

إنه الميثاق الذي أخذه اللّه على المسلمين باتباع أئمة أهل البيت عليهم السلام والتزام نهجهم (وَلَوْلا اَنْتَ يا عَلِيُّ لَمْ يُعْرَفِ الْمُؤْمِنُونَ بَعْدي).

لسنا هنا في وارد الحديث التفصيلي عن ولاية أهل البيت وطرق إثباتها فهي ثابتة لدينا ولا نشك فيها ولكننا نمهد لحديثنا عن المنتظرين لظهور نور إمامهم ليهتدوا به اهتداء مباشرا عندما يتحقق الوعد الإلهي بنصرة المؤمنين الحقيقيين، عندما (يُنَشَرُ لِواءُ النَّصْرِ ويحُفُّ بِه المؤمنون وَهو يؤم الْمَلاَ وَيمَلأ الأرْضَ عَدْلاً وَيذيق اَعْداءَه هَواناً وَعِقاباً، وَيبير الْعُتاةَ وَجَحَدَةَ الْحَقِّ وَيقَطَعْ دابِرَ الْمُتكَبِّرينَ وَيجْتَثَ اُصُولَ الظّالِمينَ)، وَنَحْنُ نَقُولُ الْحَمْدُ للّهِ رَبِّ الْعالَمينَ، ﴿ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ٥ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴾.

---

(١) سورة الحديد، الآيات: ٨-١٧.

سورة الحديد والظهور المبارك

تحدث كتاب اللّه عز وجل مرارا عن النور ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ والنور في القرآن دوما هو الهداية والإرشاد الإلهي لعباده المؤمنين.

في سورة الزمر تحدث كتاب اللّه عز وجل عن النور مبينا أنه خط الهداية والصراط المستقيم سيرا بلا اعوجاج على هدي رسول اللّه ﷺ والأئمة الأطهار من بعده.

يقول علي بن إبراهيم القمي في تفسيره: ﴿وَأَشۡرَقَتِ ٱلۡأَرۡضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ حدثنا محمد بن أبي عبداللّه عليه السلام قال: حدثنا جعفر بن محمد قال: حدثني القاسم بن الربيع قال: حدثني صباح المدائني قال: حدثنا المفضل بن عمر انه سمع أبا عبد اللّه عليه السلام يقول في قوله: «وأشرقت الارض بنور ربها» قال رب الارض يعني إمام الأرض فقلت: فاذا خرج يكون ماذا؟ قال: إذا يستغني الناس عن ضوء الشمس ونور القمر ويجتزون بنور الامام.

وقال علي بن ابراهيم في قوله تعالى: ﴿وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ وَجِاْيٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ﴾ قال الشهداء الأئمة عليهم السلام والدليل على ذلك قوله في سورة الحج «ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا انتم – يا معشر الأئمة – شهداء على الناس».

كما يورد علي بن إبراهيم في تفسير ذات السورة ﴿لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ﴾ قال الميزان الامام وقوله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ﴾ قال نصيبين من رحمته أحدهما أن لا يدخله النار والثانية ان

يدخله الجنة وقوله: ﴿ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ ﴾ يعني الايمان).

النور إذا هو تلك البصيرة والرؤية الصائبة التي تدل المؤمن وتثبته دوما على الصراط المستقيم وتقوده بثبات نحو الغاية المثلى والهدف الصحيح.

النور ملكة وبصيرة ذاتية يمنحها اللّه تبارك وتعالى لعباده المؤمنين في مسيرهم الفردي أو مسيرهم الجماعي لأنهم أمة تتبع الأئمة الذين يمتلكون الميزان الصائب والدقيق للتمييز بين الحق والباطل والخطأ والصواب ولذا لا بد أن يأتي ذلك اليوم الذي يرى فيه أهل الحق اتضاح الصورة عيانا جهارا ويكشف الغطاء ليرى المؤمنون بأم أعينهم أنهم لم يكونوا ممن ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ويرى الآخرون بأم أعينهم أنهم كانوا في غمرة ساهين ﴿ لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾.

ليس هناك مكافأة أعظم من كشف الغطاء وانبلاج النور وليس هناك يوم أعظم عند أهل الحق من استبدال قناديلهم الصغيرة التي أعانتهم على مواصلة السير وسط الظلمات الحالكة والسحب المتراكمة من ظهور النور الأصلي نور إمام الحق ليقودهم بذاته وهذا هو معنى قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ ﴾.

هذه الاية الكريمة فسرها من فسرها بأن (نورهم) هنا يقصد به نور الإيمان الذاتي الذي يشع من قلوب ووجوه المؤمنين، ولو كان هذا هو المقصود لما قال سبحانه (يسعى) لأن السعي هو فعل يصدر عن

الكائنات المتحركة والنور الذي يشع من وجوه عباد اللّه الصالحين لا يسعى ولا يتحرك.

السَّعْيُ كما يقول ابن منظور: عدْوٌ دون الشَّدِّ، سَعَى يَسْعَى سَعْياً، وسَعَى إذا مَشَى، وسَعَى إذا عَمِلَ، وسَعَى إذا قَصَد، وإذا كان بمعنى المُضِيِّ عُدِّيَ بإلى، وإذا كان بمعنى العَمَل عُدِّي باللام. والسَّعيُ: القَصْدُ، وبذلك فُسِّرَ قوله تعالى: فاسْعَوْا إلى ذِكْرِ اللّه.

وقال الزجاج: أَصلُ السَّعْيِ في كلام العرب التصرُّف في كل عَمَلٍ؛ ومنه قوله تعالى: وأَنْ ليس للإنسانِ إلاَّ ما سَعَى؛ معناه إلاَّ مَا عَمِلَ.

وقوله تعالى: فلما بَلَغَ معَه السَّعْيَ أَي أَدْرَكَ مَعَه العَمَل وقال الفراء: أَطاقَ أَنْ يُعِينَه على عَمَله، قال: وكان إسمعيلُ يومئذٍ ابن ثلاث عشْرةَ سنةً.

السعي إذا عمل وكيان يتحرك وليس صفة لصيقة بالجسد أو الوجه وهذا قوله تعالى: ﴿ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴾.

لو كان النور المقصود في هذه الآية الكريمة هو إشراقة وجوه المؤمنين لجاءت الآية (يوم ترى المؤمنين والمؤمنات نورهم يسعى) ولكنها جاءت ﴿ يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم ﴾ فأخرت كلمة النور وجاءت بعد يسعى أي أن هذا الكيان النوري الساعي منفصل عن المؤمنين والمؤمنات، متقدم عليهم ﴿ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ ﴾ آخذ بيدهم مساعدا لهم ﴿ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ ﴾ والمقصود يقينا بهذا النور هو إمامنا المهدي عجل الله تعالى فرجه وجعلنا من أنصاره وأعوانه والمستشهدين بين يديه.

لماذا فسر المفسرون هذا المشهد بأنه من مشاهد يوم القيامة؟.

السبب في ذلك هو سياق النص وليس سياق المعنى حيث جاء بعد الحديث عن النور القائد (يسعى) الحديث عن البشارة ﴿ بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾.

ولأن البشارة هي وعد مستقبلي قريبا كان أم بعيدا فالثابت أن كلمة (بشراكم اليوم) الواردة في الآية لا تتحدث عن لحظة اجتماع نور المؤمنين بنور الإمام المبين في هذه الدنيا لحظة تحقق الوعد وهي في مرحلة تسبق الحساب النهائي في الآخرة.

الحديث عن يومين:

اليوم الأول يوم يلتقي المؤمنون بإمام الحق، يوم ظهور نوره ودولته في هذه الدنيا، واليوم الثاني يوم المكافأة النهائية في الدار الآخرة ﴿ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾.

يوم عظيم هو يوم الظهور وانتصار الحق على الباطل في هذه الدنيا ويوم أعظم هو يوم الفوز النهائي بجنة عرضها السماوات والأرض.

قبل هذا لم يكن المؤمنون بالولاية يعيشون حياة رخيصة سهلة يتنقلون فيها بين الشهوات والملاذ بل كانوا في حالة جهاد وتضحية بالمال والنفس إعدادا واستعدادا ليوم اللّه يوم ظهور الحق وإعلاء كلمة اللّه.

في هذا السياق نقرأ الآية الكريمة ﴿ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ

وَقَٰتَلَۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُواْۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

فالمؤمنون بولاية أهل البيت وإمامهم المهدي لم يضيعوا أوقاتهم سدى ولم يضعوا أيديهم على خدودهم ولم يكتفوا بقراءة دعاء الندبة أو دعاء العهد ولكنهم عملوا وجاهدوا وصبروا وصابروا ورابطوا وضحوا بأنفسهم وأنفقوا أموالهم ليعدوا الأرض ويهيئوها لمجيء الإمام ليجدهم في وضع الاستعداد والجهوزية ممسكين بالمواقع الحيوية وعلى دراية كاملة بالواقع كي يتمكن الإمام من إظهار الحق واستلام القيادة المباشرة لحركة الأمة ﴿نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ﴾.

كما أن كلمة (أيمانهم) لا تعني فقط الناحية اليمنى بل هي رمز للقوة المناضلة والعزيمة الراسخة وأكثر من ذلك فهي رمز لوفائهم بعهد اللّه وميثاقه الذي واثقوا اللّه ورسوله به.

إنها (أيمانهم) رمز لتكامل الإرادة والعزم والفعل والوفاء بالعهد والثبات على الحق مهما كانت شدة وعتو العواصف والأنواء التي واجهتهم مهما طال مدى الانتظار.

المؤمنون المنتظرون الواثقون بصدق إيمانهم بإمامهم هم الذين أنفقوا من قبل الفتح وقاتلوا ومازالوا يقاتلون زودا عن حياض الدين وحريمه وهم المفضلون بقوله تعالى ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُواْۚ﴾ ورغم ذلك فسيبقى الباب مفتوحا أمام الذين أنفقوا بعد ذلك وقاتلوا ﴿وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ لأن الباب سيبقى مفتوحا أمام كل من ينضوي تحت لواء إمام الحق

عندما ينبلج الفجر وتشرق الأرض بنور سيدها وإمامها.

الفتح هنا هو يوم الظهور يوم انتصار الحق يوم تعلو رايته وتكون كلمة اللّه هي العليا وكلمة الكفار والمنافقين هي السفلى وما ذلك على اللّه بعزيز وإن رحمته بالمؤمنين أقرب إليهم من حبل الوريد ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

ولأن العمر هو أغلى وأثمن ما يملكه الإنسان وعندما ينبلج الفجر ويصبح الأمل المرجو حقيقة واقعة ويتأكد المنافقون المضللون الذين غرتهم أماني الكلام وغرور الدنيا من زيف إيمانهم يطلبون فرصة ومهلة لاقتباس العلم والدين والنور من إمام الحق. ﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُواْ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُواْ نُورًا ۖ فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ۚ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ ۖ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾.

إنها نهاية المسار ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ ۚ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُواْ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ﴾.

وفي مقابل ﴿بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾ أو ما بعد اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار فالمنافقون ﴿مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ ۖ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾.

إنه الاختصار الرائع فمن كان وليه أي إمامه الشيطان اللعين وحزبه من المفسدين فالنار هي مولاه ونهايته وحاضنته النهائية والأعمال بالنهايات والخواتيم.

لم يكن انتظار المؤمنين الموالين لأهل بيت النبوة وأئمتهم انتظارا عبثيا بل كان وما زال فعلا جهاديا.

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾[1].

وعد اللّه لا يخلف اللّه وعده.

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١١١.

المهدوية والإنسان الآتي

رجال نهاية التاريخ

يقول تعالى في محكم كتابه: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًاۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾[1].

يقول الراغب الأصفهاني في غريب القرآن: شطء الزرع: فروخ الزرع، وهو ما خرج منه وتفرع في شاطئيه أي في جانبيه، وجمعه: أشطاء قال تعالى: ﴿ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ ﴾، أي: فراخه.

ويقول سبحانه: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَاۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾[2].

الذي نعتقده أن (المعية) الواردة في آية سورة الفتح هي معية

---

(١) سورة الفتح، الاية: ٢٩.

(٢) سورة إبراهيم، الآيتان: ٢٤-٢٥.

الإيمان والأفعال والخصال ولا يمكن أن تكون قاصرة على (معية) الزمان والمكان رغم أن البعض يحاول أن يصور القضية وكأنها قاصرة على جيل الصحابة الذين عايشوا النبي الأكرم ﷺ منذ مبعثه وحتى ارتحاله عن هذه الدنيا.

الآية الكريمة لا تتحدث عن معية زمانية ومكانية ظرفية ولكنها تتحدث عن صفات وخصائص جامعة مانعة لا بد أن يتحلى بها من يستحقون شرف المعية ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ ومن ثم يخرج منها من تحلى بالصفة المضادة (أشداء على المؤمنين رحماء بالكفار). كهؤلاء الذين لم يتورعوا عن إشعال نيران الفتن بين المسلمين وتسببوا عن عمد في إزهاق أرواح الآلاف من أصحاب الدماء المعصومة التي حرمها اللّه إلا بالحق كما فعل قادة الانحراف والفتنة يوم الجمل وصفين والنهروان رغم أنهم كانوا ممن حظي بالمعية الزمانية والمكانية ويدخل في هذه المعية من لم يسعده الحظ بمعية الزمان والمكان ولكنه فاز بمعية المبدأ والروح!!.

ما نستخلصه أيضا من هذه الآية الكريمة هو ذلك التتابع والتلاحق الزمني لمن استحقوا شرف المعية المحمدية شأنهم شأن الأشجار الباسقة التي يمتد عطاؤها ويقوى ويتكاثر فتؤتي أكلها (كل حين بإذن ربها) كما في آية سورة إبراهيم إلا أن هذا العطاء المتكرر لا بد أن يصل يوما إلى التكامل وإلى القمة وإلى القيام بالمهمة الكبرى التي هُيئ لها هذا الصنف المنتقى من المؤمنين سلالة الشجرة الطاهرة الطيبة ذات الأصل الراسخ والأفرع الممتدة إلى عنان السماء.

يأتي أحد أصحاب الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام إليه بعد انتهاء

حرب الجمل قائلا: وددت أن أخي فلاناً معك شاهداً ليرى ما نصرك اللّه به على أعدائك، فيسأله الإمام: أَهَوَى أَخِيكَ مَعَنَا؟.

قال: نَعَم. قالَ: فَقَدْ شَهِدنَا، وَلَقَدْ شَهِدَنَا في عَسْكَرِنَا هذَا أَقْوَامٌ في أَصْلاَبِ الرِّجَالِ، وَأَرْحَامِ النِّسَاءِ، سَيَرْعُفُ بِهِمُ الزَّمَانُ[1]، ويَقْوَى بِهِمُ الأيمَانُ.

المعية التي ترقى إلى مرتبة الشهود الروحي وإن غاب الجسد عن المكان هي معية القلب والروح وعشق الحق وأهله رغم أن الكثير من المنافقين كانوا حاضرين بالجسد لا بالروح مع النبي الأكرم ﷺ في نفس الزمان والمكان لأن قلوبهم كانت عالقة في فخاخ الشيطان، متعلقة بوعوده وأمانيه الكاذبة ﴿ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴾[2].

الحديث إذا عن الظهور المهدوي لا ينفصل عن الحديث عن (الإنسان الآتي) أو رجال المرحلة الذين ظلوا مخبوئين مذخورين منذ أربعة عشر قرن في أصلاب الرجال وقرارات النساء في انتظار أن يرعف بهم الزمان ليقوى بهم الإيمان.

إنهم رجال ذوو مواصفات خاصة وها قد رأينا الآن بأم أعيننا طلائعهم وهم يسطرون الملاحم ويغيرون موازين القوى ويجبرون العالم على إعادة النظر في خططه واستراتيجياته.

إنهم يشكلون فريق العمل المحيط بالحجة صاحب الأمر والزمان

---

(١) أي أنهم سيظهرون فجأة كما يظهر الرعاف أي تلك الدماء التي تسيل من الأنف

(٢) سورة النساء، الآية: ١٢٠.

وهم من وصفهم الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام في كلماته النورانية التي خص بها تلميذه كميل بن زياد النخعي:

وَكَمْ ذَا وَأَيْنَ أُولئِكَ؟ أُولئِكَ وَاللَّهِ الأَقَلُّونَ عَدَداً، وَالأَعْظَمُونَ قَدْراً، يَحْفَظُ اللّهُ بِهِمْ حُجَجَهُ وَبَيِّنَاتِهِ، حَتَّى يُودِعُوهَا نُظَرَاءَهُمْ، وَيَزْرَعُوهَا فِي قُلُوبِ أَشْبَاهِهِمْ، هَجَمَ بِهِمُ الْعِلْمُ عَلَى حَقِيقَةِ الْبَصِيرَةِ، وَبَاشَرُوا رُوحَ الْيَقِينِ، وَاسْتَلاَنُوا مَا اسْتَوْعَرَهُ الْمُتْرَفُونَ، وَأَنِسُوا بِمَا اسْتَوْحَشَ مِنْهُ الْجَاهِلُونَ، وَصَحِبُوا الدُّنْيَا بِأَبْدَان أَرْوَاحُهَا مُعَلَّقَةٌ بِالْمَحَلِّ الأَعْلَى، أُولئِكَ خُلَفَاءُ اللّهِ فِي أَرْضِهِ، وَالدُّعَاةُ إِلَى دِينِهِ، آهِ آهِ شَوْقاً إِلَى رُؤْيَتِهِمْ!.

كيف تربى الإنسان الآتي أو رجال نهاية التاريخ؟!

يقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: وَكَأَنِّي بِقَائِلِكُمْ يَقُولُ: إِذَا كَانَ هذَا قُوتُ ابْنِ أَبِي طَالِب، فَقَدْ قَعَدَ بِهِ الضَّعْفُ عَنْ قِتَالِ الأَقْرَانِ وَمُنَازَلَةِ الشُّجْعَانِ. أَلاَ وَإِنَّ الشَّجَرَةَ الْبَرِّيَّةَ أَصْلَبُ عُوداً، وَالرَّوَائِعَ الْخَضِرَةَ أَرَقُّ جُلُوداً، وَالنَّابِتَاتِ العِذْيَةَ أَقْوَى وَقُوداً، وَأَبْطَأُ خُمُوداً.

امتلأت الساحة من حولنا (بدعاة) ينعقون بالباطل ويميلون مع الريح أينما مالت ويزعمون أنهم رافعوا راية الإسلام والمدافعون عنه ممن ينطبق عليهم وصف الإمام علي بن أبي طالب:

أَوْ (مَنْهُوماً بِالَّملذَّات، سَلِسَ الْانقِيَادِ للشَّهْوَات، أَوْ مُغْرَماً بِالْجَمْعِ وَالاِدِّخَار، لَيْسَا مِنْ رُعَاةِ الدِّينِ فِي شَيْء، أَقْرَبُ شَيْء شَبَهاً بِالأَنْعَامُ السَّائِمَةُ! كَذلِكَ يَمُوتُ الْعِلْمُ بِمَوْتِ حَامِلِيهِ).

ولا شك أن هذا الصنف من البشر لا قدرة له على النزال والمواجهة

فهو من الأساس لم يخلق لها وهو لم يكن يوما ما صاحب قضية وليس لديه قدرة ولا رغبة في إنصاف المظلوم من ظالمه خاصة إن كان هذا يتطلب دفع ثمن أو التضحية بالنفس أو المال أو رغد العيش وما أكثر هؤلاء ممن لا يختلف حالهم عن تماثيل الشمع والخشب المسندة الذين يحسبون كل صيحة عليهم!!.

إنهم أصحاب وظيفة دنيوية يؤدونها من خلال التشدق بالمصطلحات الدينية ويحصلون على مقابلها الدنيوي ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا﴾[1].

إنهم لم يكونوا يوما أصحاب قضية من أي نوع فما بالك إن كانت هذه القضية هي الاصطفاف خلف الإمام المهدي ومواجهة الدنيا بأسرها من أجل تحقيق العدالة الإلهية!!.

لو كان هؤلاء ممن يفكرون في أي نوع من المواجهة لكان حريا بهم أن يطالبوا بشيء من العدل والإنصاف لا أن يبيعوا دينهم بهذا الثمن البخس الذي طالما بيعت به الأديان والمبادئ ولولا هذا لتهاوت عروش الطغيان والظلم من قديم الأزل.

نحن إذا أمام حقيقة يتعين علينا أن نعرفها وننتبه لها وهي أن الإنسان الفرد هو الركيزة الأساس في صنع الواقع ورسم ملامح المجتمع وتقرير ما إذا كان الظلم أو العدل هو القانون الحاكم لهذا المجتمع أو ذاك لأن إقامة العدل تحتاج إلى تكاتف النخب خاصة

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ١٨.

تلك المشتغلة بالدين وقيامها بالتصدي للظلم والظالمين والتضحية بالمال والنفس إذا لزم الأمر من أجل تحقيق هذا الهدف.

الليبرالية وإنسان نهاية التاريخ

رغم الأهمية الكبرى للدور الذي تقوم به النظم الحاكمة في صوغ الإنسان وتشكيله إلا أن اعتماد نظرية (الإنسان الآتي) تعيد إلى الإنسان الفرد اعتباره ودوره وقدرته على صوغ النظام السياسي مقابل الرؤية الليبرالية التي ترى أن النظام (يصنع إنسانا جديدا ومتميزا) حينما يمنحه الفرصة من خلال تحقيق المساواة وحرية اختيار أي نهج يراه!!.

يتحدث فوكوياما في كتابه (نهاية التاريخ) عن (الرغبة في نيل الاعتراف والتقدير وأن هذه الرغبة تشكل جانبا هاما من الشخصية الإنسانية وقد جاء أول وصف لها في جمهورية أفلاطون عندما أشار إلى أن للروح ثلاث قوى هي الشهوة والعقل والثيموس أو الهمة والشجاعة وأن الرغبة في الاعتراف أو عزة النفس تنشأ من هذا الثيموس وهو أشبه بحس فطري بالعدالة فالناس تعتقد أن لها قدرا معينا فإن عاملهم الآخرون بصورة أقل مما يعتقدون غلب عليهم الغضب).

يتحدث فوكوياما أيضا عن نهاية لمسار التاريخ بتحقق الديموقراطية الليبرالية الرأسمالية وعن إشباع للرغبة والثيموس من خلال المؤسسات الاجتماعية والسياسية التي تحقق المساواة بين الناس وتضمن لهم الحقوق الأساسية وصولا (لحقهم) في اختيار

المثلية الجنسية وتقود في النهاية ربما للمطالبة بإلغاء التفرقة بين البشر وغير البشر حيث ينمحي التمايز بين ما هو بشري وما هو غير بشري!!.

ربما يمكننا القول أن الليبرالية في المحصلة النهائية لا تعدو كونها طريقة ومنهجا لإدارة أفراد المجتمع تقوم على منح كل فرد منهم (حقوقه المفترضة) إلا أنها في النهاية لا تسعى بالكيان الجمعي للأمة نحو تحقيق مجموعة من الأهداف الأخلاقية العليا.

الليبرالية هي طريقة في الحكم وإدارة المجتمع تزعم وتدعي أنها تمنح الإنسان حرية اختيار القيم التي يؤمن بها وهو ادعاء لا يمكن التسليم به هكذا من دون قيد أو شرط إذا أنها في النهاية تتبنى القيم السائدة أو الموروثة في مجتمع ما بعجرها وبجرها!!.

من ناحية أخرى فالرؤية الإسلامية للبناء المجتمعي تعتمد على الدور الذي اضطلعت به تلك النخب التي انحازت للقيم الإلهية انحيازا حرا بكامل إرادتها وقدمت من أجل الحفاظ على هذه القيم والمبادئ أعظم التضحيات منذ أن كان هناك (أبي ذر الغفاري وعمار بن ياسر).

ولكي تتضح الصورة أكثر نقول أن (الدولة الإسلامية التاريخية) سعت ولا زال ورثتها يسعون لتكريس وفرض مجموعة من القيم باسم الدين اختلط فيها الحق والباطل والانتهازية النفعية ببعض الشعارات الإسلامية البراقة.

ولأن الأمر كله جرى عن طريق الفرض والإكراه لا عن قناعة ولم ينجم عن حرية اختيار كان من الطبيعي ألا يصمد حاملو هذه المنظومة

طويلا في مواجهة التحديات الجسام التي اعترضتهم من الداخل أو من الخارج.

مرة أخرى نقول أن النماذج التاريخية السابقة بما فيها النموذج الليبرالي تقوم على مبدأ أن (النظام يصنع ويشكل إنسانا سواء كان إنسانا بدائيا أو إنسان نهاية التاريخ) وهو ما لا نرفضه بالكلية لكننا نضيف إليه أن الإنسان بوسعه أن يصنع نظاما ولكن هذا الإنسان وبكل تأكيد ليس إنسانا عاديا بل هو (الإنسان الآتي) أو إنسان نهاية التاريخ أو (رجال اللّه) المنضوون تحت راية صاحب الزمان والممهدون لقدومه.

لو تأملنا تاريخ الديانات السماوية لأدركنا بسهولة الدور البارز الذي حمله على عاتقه الإنسان المؤمن الزاهد المتجرد المصطف وراء الأنبياء والمرسلين والأئمة في إعادة تشكيل صورة العالم رغم أن الغرب أنفق وما زال ينفق مليارات الدولارات من أجل إشعال ثورات ليبرالية برتقالية وزرقاء وخضراء ما تلبث أن تهزم وتنتكس عند أول صدمة يتلقاها هؤلاء المدللون المترفون الراقدون بين الملذات والشهوات.

أما إذا قرأنا الروايات الواردة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام في صفات (الإنسان الآتي أو رجال اللّه) لوجدنا عجبا لم يكن أحد ليصدقه يوم أن ذكرت هذه الروايات ولكنه الآن أضحى حقيقة لا خيالا!!.

الخصال: ج ٢ ص ٥٤١ ح ١٤ ـ حدثنا محمد بن الحسن بن أحمد بن الوليد رضي اللّه عنه قال حدثنا محمد بن الحسن الصفار عن الحسن بن علي بن عبداللّه بن المغيرة الكوفي عن العباس بن

عامر القصباني، عن ربيع بن محمد المسلي، عن الحسن بن ثوير بن أبي فاختة عن أبيه، عن علي بن الحسين عليهما السلام، قال: إذا قام قائمنا، **أذهب اللّه عز وجل عن شيعتنا العاهة، وجعل قلوبهم كزبر الحديد وجعل قوة الرجل منهم قوة أربعين رجلا، ويكونون حكام الأرض وسنامها).**

ويقول الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام:... فيأمر اللّه عز وجل جبريل عليه السلام فيصيح على سور مسجد دمشق: ألا قد جاءكم الغوث ياأمة محمد، قد جاءكم الغوث يا أمة محمد، قد جاءكم الفرج، وهو المهدي عليه السلام خارج من مكة فأجيبوه. ثم قال عليه السلام: ألا أصفه لكم، ألا وإن الدهر فينا قسمت حدوده، ولنا أخذت عهوده، وإلينا ترد شهوده، ألا وإن أهل حرم اللّه عز وجل سيطلبون لنا بالفضل، من عرف عودتنا فهو مشاهدنا، ألا فهو أشبه خلق اللّه عز وجل برسول اللّه صلى الله عليه وآله واسمه على اسمه، واسم أبيه على اسم أبيه، من ولد فاطمة ابنة محمد صلى الله عليه وآله، من ولد الحسين. ألا فمن توالى غيره لعنه اللّه.

ثم قال عليه السلام: **فيجمع اللّه عز وجل أصحابه على عدد أهل بدر، وعلى عدد أصحاب طالوت، ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا، كأنهم ليوث خرجوا من غابة قلوبهم مثل زبر الحديد، لو هموا بإزالة الجبال لأزالوها عن موضعها،** الزي واحد واللباس واحد، كأنما آباؤهم أب واحد.

إنه نفس المعنى الوارد في الآية الخامسة من سورة الإسراء ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴾ ولا شك أن البأس المشار إليه في هذه

الآية الكريمة لا يقتصر على القوة الجسدية بل يتخطاه لامتلاك القوة بمعناها العصري الشامل والأهم من هذا امتلاك العزم وقوة الإرادة التي تعينهم على مواجهة التحديات الكبرى وهو ما سنشير إليه في الفقرات القادمة من هذا البحث.

شريعتي والذات المسلمة

للوهلة الأولى تبدو الرؤية الليبرالية وكأنها نظرية عابرة للحضارات والأديان حيث رأينا كيف يحرص الكثير من الكتاب والمفكرين على أن يسبقوا أسماءهم أو يلحقوها بلقب (ليبرالي) في حين أن هذه الرؤية تعيد الإنسان إلى مرحلة ما قبل التعرف إلى الدين وتجعله حرا في اختراع ما يحلو له من قيم والمهم أن تكون قيما ليبرالية وهي من ناحية أخرى تضع لنا برنامجا يتطابق مع مسار التطور الحضاري الغربي الذي لم يحقق انطلاقته إلا بعد أن قام بفك الارتباط بين التطور الحضاري والسياسي والالتزام الديني الكنسي.

البشرية كانت ولا زالت بحاجة للارتباط بمجموعة من القيم والمثل العليا التي لا يمكن مصادرتها أو حتى فرضها من مؤسسة دينية يمكن لها أن تسيس أو تنحرف وهذه هي المهمة الشاقة والعسيرة الملقاة على عاتق (رجال اللّه الأقَلُّونَ عَدَداً، وَالأعْظَمُونَ قَدْراً، يَحْفَظُ اللّهُ بِهِمْ حُجَجَهُ وَبَيِّنَاتِهِ، حَتَّى يُودِعُوهَا نُظَرَاءَهُمْ، وَيَزْرَعُوهَا فِي قُلُوبِ أَشْبَاهِهِمْ خُلَفَاءُ اللّهِ فِي أَرْضِهِ، وَالدُّعَاةُ إِلَى دِينِهِ).

إنها مهمة (العودة إلى الذات التاريخية) التي طرحها علي شريعتي في كتابه العودة إلى الذات) تلك (الذات الموجودة بالفعل في قلب

المجتمع وفي وجدانه بحيث تصبح هذه العودة منبعا للطاقة تفتت على يد مفكر وتستخرج وتحيا وتتحرك هي تلك الذات الحية وليست تلك الذات العتيقة القائمة على عظام نخرة).

(تلك الذات القائمة على أساس الإحساس العميق بالقيم الروحية والإنسانية والموجودة في نظرتنا للأمور والتي صرفنا عنها الجهل والإنقطاع عن النفس وجعلها الجذب إلى ذوات أخرى مجهولة لكنها على كل حال ذات حياة وحركة وليست كلاسيكية ميتة تتبع علم الآثار). ص٤٨.

(فالمجتمع ليس تجمعا من أفراد بل هو مركب من عناصر فردية. وهو ليس مجموعة من الأشخاص، إنه نفس «شخص» والأفراد خلاياه. الإنسان الفرد غير الخلايا التي كونته فالإنسان له حياته وماضيه وحركته وإحساساته ومميزاته التي تتمايز عن خلايا وأعضاء جسده).

(إن معرفة أي مجتمع تعني معرفة (الإنسان الأعلى) أو بتعبير أدق «ما فوق الإنسان» وما فوق الإنسان هذا يعني المجتمع).

(العوامل التي صنعت شخصية الجماعة هي الطبيعة والعرق والاقتصاد والشكل الطبقي والنظام السياسي والدين واللغة والفن وأصول الإنتاج رغم أن أي من هذه العوامل ليس له وجود منفصل ومجرد عن بقية العوامل). ص٧٩.

الإنسان وليد التاريخ

يرى شريعتي أن الإنسان هو وليد التاريخ ص١٤٣ حيث يقول:

الفرد على حد تعبير شندلر «لم يتكون في فترة عمره وحسب بل في فترة تاريخه» والعمر الحقيقي لكل إنسان هو تاريخه وليس عمره الحقيقي أي سنوات حياته والعمر الحقيقي لأي إنسان هو المدة التي يصنعه التاريخ فيها، الفترة التي يودعه فيها التاريخ تراثه ومواده وخصائصه ومن هنا فالشخصية الإنسانية لكل فرد هي مجموعة الخصائص التي استمدها من تاريخه فليس الإنسان شجرة بدأت يوم ولد بل هي شجرة مدت جذورها في أعماق التاريخ تتغذى منه دائما وحتى لحظة الموت.

الضمير التاريخي

كما يؤكد شريعتي على أن الضمير التاريخي هو خصيصة من خواص الأمم المتحضرة، والمحافظة على هذه الآثار وإحياؤها ومعرفتها يدل على الماضي المستمر والقرون والأجيال الدفينة ليس لها فحسب قيمة عاطفية أو فنية أو علمية ولكنها تهب التحقق لدوام تيار التاريخ والارتباط الثقافي والروح القومية والاتصال التاريخي هو الذي يحقق رباط الجيل الحالي بماضيه الذي تشكلت فيه شخصيته وقد قام الاستعمار بجهود علمية متصلة بعلم الاجتماع تدفع (أشباه المتحضرين) في الأمم الإسلامية لكي يعتبروا أن التقدمية والعصرية نقيض للتقاليد والتاريخ وتحضهم على إلغاء ماضيهم ومحو تاريخهم وتدفعهم لاعتبار الهروب من التاريخ دليلا على العصرية وتقدم الفكر.

من وجهة نظرنا فإن ما نطرحه عن (الإنسان الآتي) يلتقي مع ما طرحه المفكر الكبير علي شريعتي من ضرورة العودة إلى الذات

الإسلامية أو إلى منظومة القيم الإسلامية المحمدية النقية والأصيلة قبل أن يطرأ عليها الانحراف والتزوير وهي القيم التي حملها ودافع عنها رجال اللّه الأولون الذين ﴿ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيْهِۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ ﴾ شهيدا بالسيف أو شهيدا على فراشه حتى وإن مات ميتة طبيعية، لأن من (مَاتَ مِنْكُمْ عَلَى فِرَاشِهِ وَهُوَ عَلَى مَعْرِفَةِ حَقِّ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلّ وَحَقِّ رَسُولِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ صَلَوَاتُ اللّهِ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ مَاتَ شَهِيداً، وَوَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللّهِ، واسْتَوْجَبَ ثَوَابَ مَا نَوَى مِنْ صَالِحِ عَمَلِهِ، وَقَامَتِ النِّيَّةُ مَقَامَ إِصْلاَتِهِ لِسَيْفِهِ، فإِنَّ لِكُلِّ شَيْء مُدَّةً وَأَجَلاً) ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُۖ ﴾ ويترقب وعد اللّه وأجله الآتي لا ريب فيه وهو دولة الحق وظهور الإمام المهدي عجل اللّه تعالى فرجه الشريف، متمسكا بدينه الحق (الذي ارتضى لهم) لا يميل مع الهوى ولا يضل ويتوه حتى وإن تاهت الدنيا بأسرها!!.

رجال الله والتفكير الخلاق Creative Thinking

رغم كثرة النصوص القرآنية التي تحض على إعمال الفكر والنظر في السماوات والأرض ورغم بداهة العقل التي تربط بين هذا النظر وإعداد القوة اللازمة لمواجهة أعداء الأمة المتربصين بها ﴿ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾[1] إلا أن النمط الفكري السائد في الساحة الإسلامية كثيرا ما يغفل هذه الحقيقة وبفضل التزام الأطر والأنماط القديمة ولا يبذل ما يكفي من جهد لتطوير وابتكار أنماط من القوة والعلم والمعرفة واستخدامها في مواجهة أعداء الأمة الذين هم بالضرورة

(١) الأنفال ٦٠.

أعداء الإمام المهدي الذين يبذلون اقصى ما لديهم من جهد لتأخير يوم الظهور أو لمنعه نهائيا.

التفكير الخلاق لا يعني بالضرورة مخاصمة أنماط التفكير أو العمل التقليدية قدر ما يعني توسيع أطر العمل والاستفادة من المتغيرات الدولية والمحلية والعمل على اختراق ثغرات الجدر الطاغوتية والنفاذ منها وصولا لتحقيق الغاية المنشودة وهي إقامة دولة الإمام المهدي التي تملأ الأرض عدلا بعد أن ملئت ظلما وجورا.

على مدى تاريخ الجماعات الدينية والسياسية ولا نستثني منها الجماعة المهدوية نرى هذا الاشتباك بين من يريدون إبقاء قرص الشمس في حضنهم ومدارهم وبين من يرون ضرورة تطوير أطر وأساليب العمل والاستفادة من الفرص المتاحة عملا بحكمة الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام (الْفُرْصَةُ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ فَانْتَهِزُوا فُرَصَ الْخَيْرِ)، وكأن ما هو متاح من فرص ومجالات للعمل والجهاد يكفي ويفيض على خلاف الحقيقة والواقع.

لهذا السبب فنحن لا نرى فيمن لا يجدون لأنفسهم من وظيفة إلا مدح هذا الفصيل المجاهد (حيث هو يجاهد ومهما كان مستحقا للمدح) والتغني بإنجازاته وفي نفس الوقت لا نرى لهم دورا حقيقيا ولا مؤثرا في ساحاتهم كونهم حفنة من المتكاسلين المغيبين، بل ونراهم عالة وعبئا ثقيلا على المشروع المهدوي، وربما كان الأمر أسوأ من هذا!!.

التمهيد للظهور المهدوي لا يمكن أن ينهض إطلاقا من خلال اجترار أو تكرار ذات الأنماط التي مورست في السابق حتى ولو

أعطت ثمارها من قبل فليس اليوم كالأمس وليس اليوم كالغد ولا ما بعد غد.

المهدويون (لَا يَرْضَوْنَ مِنْ أَعْمَالِهِمُ الْقَلِيلَ وَلَا يَسْتَكْثِرُونَ الْكَثِيرَ فَهُمْ لِأَنْفُسِهِمْ مُتَّهِمُونَ وَمِنْ أَعْمَالِهِمْ مُشْفِقُونَ) وهم دائما يسعون لتطوير أدائهم وتحسين جودة أعمالهم لإدراكهم بعظم المسئولية الملقاة على عواتقهم وضخامة المهمة التي يتحملونها وهم يعرفون جيدا أن هكذا مهمة لا تقتصر على إدارة الواقع بل تتجاوز هذا بكثير وأن استلامهم للأمانة لن يكون لمجرد إبدائهم الاستعداد للقيام بهذا الدور بل لاكتمال جاهزيتهم وتهيئتهم النفسية والأخلاقية والعلمية لاحتمال هذه الأمانة التي تنوء بحملها الجبال.

رجال الله على الساحة

المراقب لسلسلة الأحداث والمواجهات التي شهدها وسيشهدها العالم الإسلامي على امتداد رقعته بين الحق والباطل وبين النهج المحمدي العلوي الأصيل وبين التحالف الصهيوني الصليبي الوهابي يمكن له أن يلحظ تلك الطبيعة المميزة لرجال اللّه (الزَّاهِدِينَ فِي الدُّنْيَا، الرَّاغِبِينَ فِي الْآخِرَةِ الذين اتَّخَذُوا الْأَرْضَ بِسَاطاً وَتُرَابَهَا فِرَاشاً وَمَاءَهَا طِيباً، وَالْقُرْآنَ شِعَاراً، وَالدُّعَاءَ دِثَاراً، ثُمَّ قَرَضوا الدُّنْيَا قَرْضاً عَلَى مِنْهَاجِ الْمَسِيحِ) ورغم هذه البساطة وتواضع الإمكانات فقد نجحوا في أن يفرضوا كلمتهم في الساحة الدولية وأن يهزموا أعتى القوى المتجبرة وأن يجبروها على إعادة النظر في خططها التآمرية التي انهارت وتهاوت الواحدة تلو الأخرى.

وبينما تنفق الجهات المعادية مليارات الدولارات على عملائها المكلفين بتنفيذ خططهم الإجرامية نرى أنهم عاجزون عن تحقيق أي نجاح استراتيجي يطمئنهم أو يهدئ من روعهم.

الذين تابعوا الحرب الأخيرة التي دارت عام ٢٠٠٦ بين إسرائيل ومقاتلي حزب اللّه يمكنه أن يلحظ تلك الحقيقة التي يدور هذا البحث حولها.

فمقاتلو حزب اللّه الذين يعيشون حياة البساطة والتقشف والذين اتخذوا من الأرض بساطا وترابها فراشا وماءها طيبا وجعلوا من القرآن شعارا ومن الدعاء دثارا ثم قرضوا الدنيا قرضا على منهاج المسيح واجهوا الآلة الإسرائيلية المترفة والمتغرطسة المسلحة بأحدث ما أنتجه الاستكبار العالمي من تقنية ونجحوا في هزيمتها وإجبارها على التراجع والتقهقر.

وكما تقول المصادر الغربية تحت عنوان مقاتلو حزب اللّه أذهلونا:

بينما يصارع الجيش الإسرائيلي للأسبوع الرابع على التوالي من أجل إلحاق الهزيمة بحزب اللّه قبل صدور قرار من الأمم المتحدة بوقف إطلاق النار، فإن محاربي حزب اللّه يسجلون انتصارات على الأرض ويصعقون القوات الإسرائيلية بمفاجآت لم تكن تخطر لهم على بال.

وتفيد صحيفة «نيويورك تايمز» أن حزب اللّه استطاع أن يحسن من قدرته القتالية وأن يعزز ترسانته واستراتيجياته خلال الأعوام الستة منذ الانسحاب الإسرائيلي المفاجئ من جنوب لبنان. يقول أحد الجنود الإسرائيليين العائد لتوه من لبنان: «حزب اللّه هو ميليشيا

مدربة مثل جيش ومجهزة مثل دولة، ومقاتلوه يختلفون عن مقاتلي حماس أو المقاتلين الآخرين».

فهم مدربون ومؤهلون بدرجة عالية ومزودون بدروع واقية من الرصاص ومناظير للرؤية الليلية وأنظمة جيدة للاتصالات، وأحياناً ببزات عسكرية وذخائر إسرائيلية. لقد أخذونا جميعاً على حين غرة».

إن ما أذهل الإسرائيليين أكثر من أي شيء آخر هو الاستخدام الماهر للأسلحة من قبل مقاتلي حزب اللّه، وبخاصة استخدامهم للصواريخ والدروع الموجّهة بالأسلاك والليزر والتي يبلغ مداها ميلين.

حيث يقولون إن هذه الصواريخ هي التي سببت معظم الخسائر في صفوف القوات الإسرائيلية، ويقول قادة الدبابات الإسرائيلية في الجبهة إن صواريخ حزب اللّه الروسية الصنع المضادة للدبابات والمصممة لاختراق الدروع قد أعطبت أو دمرت المركبات الإسرائيلية بما فيها أحدث دباباتها المعروفة باسم الميركافا، وذلك بنسبة إصابة محققة بلغت ٢٠٪[1].

يروي العريف الاسرائيلي افياتار شاليف لصحيفة «واشنطن بوست» اللحظة التي لمح فيها مقاتلاً من «حزب اللّه» على مسافة قريبة منه وهو يحمل صاروخاً يستعد لإطلاقه فيقول «طلبنا طوافة قتالية، دخلنا الى المنزل، اتخذنا وضعا دفاعيا وبدأنا بالصلاة.. لا يمكن لك في هذه الحالة إلا ان تتخيل بقعة ضوء حمراء تدخل من النافذة».

---

(١) http://www.almotamar.net/news/33638.htm

تعتبر القدرة القتالية لـ«حزب اللّه» من أهم المفاجآت التي «اكتشفها» العدو الاسرائيلي في لبنان، في وقت يجمع ضباطه وجنوده من الذين تمكنوا من العودة أحياء من المعارك مع رجال المقاومة، على الصعوبة والمفاجآت التي يواجهونها والإحباط الذي يشعرون به.

المئات من أفراد لواء «ناحال» عادوا الى اسرائيل منهكين. وفي انتظار عودتهم مجددا الى لبنان، يروون المصاعب التي يواجهونها مع «عدو صعب»، يقرون بأنه فاجأهم بقدراته، وفي «معركة قاسية» يؤكدون بأنها طالت اكثر مما توقعوا.

و«من موقعه في إحدى القرى اللبنانية، يسمع الجندي الون جلنيك أصوات انفجارات قذائف «حزب اللّه» تقترب منه أكثر فأكثر. تسقط إحداها على بعد أمتار منه فيلقيه ضغطها وومیضها أرضا. يزحف وهو يرتجف الى مكان آمن مطلقاً كل الشتائم التي يعرفها؛ لم يصب بأذى لكن كلامه راح يخرج مضطربا ومتلعثما».

يقول الجندي جلنيك «ادركت اننا نقاتل جيشاً حقيقياً منظماً، هؤلاء اشخاص يعلمون جيدا ماذا يفعلون».

أما الرقيب عساف فيؤكد ان القتال ضد «حزب اللّه» «محبط للغاية»، ويضيف «انها لمفاجأة في كونهم يقاتلون بهذا الشكل وما زالوا صامدين، كنت اتوقع ان ينتهي الامر خلال اسبوعين».

وفي واقعة مشابهة، يقول الجندي رون ايفان «من مسافة معينة ترى ضوءاً احمر ثم وميضاً ابيض، تسمع بعدها صوت القذائف». يضيف «يا الهي! تشعر بالهواء يتموّج من حولك كاصطدام هائل».

يقر الجنود بأن العمليات ضد «حزب اللّه» تعني مواجهة مقاتلين «مستعدين للمجابهة»، ويستخدمون القنص والقذائف.

ويقول العريف ماتان تايلر من لواء «ناحال» انه «في الكثير من الاوقات نستطيع رؤيتهم فقط عندما يريدون ان يلفتوا انظارنا ثم نجدهم يضربوننا من الخلف»، يتابع مضطربا «انه أمر مرعب، لا تشعر انك ضعيف ولكنك تشعر انك مهدد، هناك دائماً شيء مجهول».

ويضيف تايلر «لا يمكنك ان تستخف بقدرة حزب اللّه، انهم اسياد ارض المعركة، يعرفون المكان افضل منا، يعلمون الاماكن التي يمكنهم الاختباء فيها والوقت الذي يمكنهم ان يتنقلوا فيه، كما انهم يعلمون جيدا اين نحن».

اما شمويل اوين، وبراين واكسمان، ودايفد غروس، وهم ثلاثة اميركيين جاؤوا الى اسرائيل للتطوع في الجيش تعبيراً عن ولائهم للصهيونية، فيؤكدون ان المعركة ضد «حزب اللّه» تخطت كل التوقعات.

ويشير اوين الى ان الجنود الإسرائيليين كانوا في السابق يتحدثون عن الحرب ضد لبنان «على سبيل النكتة»، ويضيف «ربما توقعنا انها ستكون حرباً كبيرة، ولكن الآن، اللعنة، انها حرب غريبة كليا».

اما واكسمان، فيؤكد انه اصيب بالذهول من طريقة تحصن «العدو» وتخفيه، ويضيف «اعتقد ان الجيش الاسرائيلي تفاجأ منذ البداية، هناك خنادق لا نعرف موقعها، كما اننا لا نعلم من اين تنطلق القذائف»، ويتابع «الامر صعب للغاية، نواجه حرب عصابات يشنها اشخاص منظمون للغاية».

ولا يقتصر الحديث عن قدرة «حزب اللّه» على جنود وضباط جيش الاحتلال، اذ لا يخفي المسؤول الاسبق لقوات الامم المتحدة في جنوب لبنان، تيمور غوكسيل اعجابه بالتزام عناصر الحزب وتنظيمهم، مؤكداً انهم «لا يخافون الجيش الاسرائيلي ابداً بعدما قاتلوه لمدة ١٨ عاما». ويشير الى ان بمقدور «حزب اللّه» ان «يضايق الجيش الاسرائيلي وان يدرس عيوبه»، فالحزب بات يثق بأنه «يقاتل جيشاً عادياً لديه العديد من نقاط الضعف والحماقات».

ويصف غوكسيل مقاتلي الحزب بانهم يتمتعون بالصبر والحرص والقدرة على جمع المعلومات الاستخباراتية التي توضح لهم قوة النيران الاسرائيلية وقدرة الجيش على التحرك. ويضيف «يعلم الحزب جيداً ان المعركة غير متكافئة لكنه يعلم ايضاً انه يقاتل على ارضه والى جانب شعبه».

ويقول غوكسيل ان مقاتلي الحزب يرصدون كل التفاصيل حول عدوهم، كما انهم يقيمون عملياتهم جيداً سواء لجهة اخطائهم وردة فعل الجيش الاسرائيلي، مشيراً الى انهم قادرون على اخذ الاسرائيليين الى معركة مفتوحة واستدراجهم الى مناطق مجهزة جيداً بعيداً عن خطوط الامداد.

وفي المجال الاستخباراتي، نقلت مجلة «نيوزويك» عن ضباط اسرائيليين قولهم ان الحزب نجح ايضاً في اختراق اتصالات الجيش الاسرائيلي، في وقت اشارت فيه صحيفة «جيروزاليم بوست» الى اخفاق كبير على مستوى الاستخبارات الاسرائيلية في تحديد الاماكن التي يتواجد فيها قياديو الحزب والاهداف العسكرية، ما دفع

بجهازي الشين بيت والموساد الى تخطي المنافسة التاريخية في ما بينهم والعمل مؤخراً بشكل مشترك.

إلا ان التعليق الاكثر تعبيراً عن اخفاق اسرائيلي كبير، هو ما نقلته صحيفة «الغارديان» عن مراسليها الذين جالوا في طرقات جنوبية وصفوها بأنها «اكثر طرق العالم خطورة» اذ لم يجدوا اي اثر للجيش الاسرائيلي باستثناء ما يدل على «فشله»: الدبابات المحروقة[١].

أما عن كلفة هذا الصمود الأسطوري فتتحدث عنها نفس المصادر بالقول: أن ثمن ترسانة حزب اللّه التي تضم آلاف الصواريخ والتي أطلقت على شمال إسرائيل خلال الشهر الماضي جاء من التبرعات التي يجمعها الشيعة حول العالم، خاصة في ايران.. وأشار إلي أن المساعدات التي تصل لحزب الله من إيران تقدر بنحو ٢٥ مليون دولار شهريا، ولكن بعض التقارير أشارت إلى أن هذا المبلغ تضاعف منذ تولي الرئيس الايراني محمود أحمدي نجاد الرئاسة العام الماضي[٢].

إننا أما بزوغ طراز فريد من القوة المرتكزة أولا على القوة المعنوية، قوة العقل والإرادة والتصميم فضلا عن التسديد الإلهي الغيبي.

كم هو مثير للشفقة أن تهزم تلك القوة المادية الجبارة التي تنفق في معاركها ميارات الدولارات مقابل تلك القوة التي تتلقى دعما شهريا مقداره ٢٥ مليون دولار وحتى لو تضاعف هذا الرقم عشر مرات ليصبح ٢٥٠ مليون دولار فسيبقى الفارق شاسعا بين الفريقين

---

(١) http://www.aljaml.com/node/5234

(٢) http://www.26sep.net

مصداقا لقول اللّه تبارك وتعالى ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾[1].

فما بالك إذا كانوا يرونهم عشرة أمثالهم! أليس في ذلك عبرة لأولي الأبصار؟! أم أن العرب المعاصرين لم يعد فيهم أولي أبصار؟!.

من ناحية أخرى نقلت صحيفة السفير اللبنانية بتاريخ ٧ـ٤ـ ٢٠٠٩ نقلا عن صحيفة «واشنطن بوست» الأميركية، في تقرير على صدر صفحتها الاولى أمس: انه بالرغم من مرور حوالى ثلاث سنوات على حرب لبنان الثانية، والتي لم يشارك فيها أي جندي أميركي، فإن هذه الحرب ما زالت تثير سجالا حاميا ومتزايدا داخل وزارة الدفاع الأميركية (البنتاغون)، ومن شأن هذا الأمر أن يغير الطريقة التي تحارب بها القوات الأميركية في المستقبل.

وأشارت الصحيفة إلى أن الخبراء العسكريين الأميركيين صعقوا ازاء التدمير الذي استطاعت قوات حزب اللّه، التي تستخدم صواريخ موجهة مضادة للدبابات، إلحاقه بأرتال المدرعات الإسرائيلية. وخلافا للميليشيات التي تقاتل في العراق وأفغانستان، والتي غالبا ما تستخدم أسلوب الكر والفر، صمد مقاتلو حزب اللّه في مكانهم أمام القوات الإسرائيلية البرية في معارك دامت حتى ١٢ ساعة. كما تمكنوا من التنصت على الاتصالات الإسرائيلية وحتى أنهم أصابوا سفينة إسرائيلية بصاروخ كروز.

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٣.

وذكرت الصحيفة أن خلاصة دراسة أعدها الجيش مؤخرا، تقع في ٣٠ صفحة، وتم تحضيرها لرئاسة الأركان والمسؤولين رفيعي المستوى في البنتاغون، بحثت كيف يمكن للموازنة المخصصة للمعدات الحربية المستقبلية، والبالغة ١٥٩ مليار دولار، وهي عبارة عن شبكة من العربات وأجهزة الاستشعار، أن تستخدم لمواجهة قوات حزب اللّه بسرعة مع التقليل من عدد الضحايا الأميركيين[١].

من ناحية أخرى فإن المتابع لتلك الفزعة التي يثيرها بعض الشيوخ المرتزقة من وعاظ السلاطين حول ما يسمونه بالتبشير الشيعي والدعايات الفجة حول أرقام التمويل الموهومة يمكن له أن يلحظ نفس الحقيقة.

وبينما تحدثت الواشنطن بوست بتاريخ ١٩ أغسطس ٢٠٠٤ عن رقم يدور حول ملياري دولار سنويا تنفقها إدارة عموم الوهابية من أجل نشر هذا المذهب الذي يكفر أغلب المسلمين فالمقارنة بين هذا الرقم وحجم الإنفاق على ما يسمى بالتبشير الشيعي هي مقارنة مستحيلة ولا مبرر للخوض فيها!!.

فهؤلاء ينفقون مليارات والطرف الآخر ينفق حفنة من الدولارات!!.

ومع ذلك لا يكف أصحاب المليارات عن الصراخ والتحذير من الاختراق الشيعي الذي نجح في تحقيق كذا وكذا ووصل إلى كذا وكذا!!.

---

(١) http://www.assafir.com/Article.aspx?EditionId=1206&articleId=802&ChannelId=27719

المعنى الذي نستخلصه أن الوعد الإلهي الآتي لا ريب فيه بدولة العدل الإلهي التي سيقيمها الإمام المهدي عجل اللّه تعالى فرجه الشريف وجعلنا من أنصاره وجنده هو وعد له آليات وأدوات للتحقق والتنفيذ ومن أهمها بكل تأكيد ظهور (الإنسان الآتي) أو الإنسان الذي سيخوض معركة نهاية التاريخ بين الحق والباطل ذلك الإنسان الموصوف في هذا البحث وأن الحيل والألاعيب التي تمارسها القوى الاستكبارية محاولة إلهاء المجتمعات الإسلامية بثورة برتقالية وأخرى أرجوانية لا يجوز لها أن تلهينا عن مواصلة السير على الصراط المستقيم.

المهدي المنتظر والصراع الحضاري

مقدمة

في النصف الثاني من تسعينات القرن الماضي برز مصطلح صراع الحضارات مشيرا للاشتباك القائم بين (الحضارات) المتنوعة من خلال خطوط للتقسيم ومن ضمنها قطعا (الحضارة الإسلامية).

وقبل أن نناقش تعريف الحضارة علينا أن نواجه ما يمكن وصفه بمعضلة تزاحم المصطلحات وهي إشكالية تواجه الباحثين في الفكر الإسلامي إذ ليس هناك دائما توافق على تعريفات محددة في كثير من الأصول والفروع ومن ضمنها قطعا المسألة المهدوية ومدى ارتباطها بالحضارة وهل هي شيء مختلف تماما أم ذات الشيء أم أنهما شيئان متداخلان؟!.

المعضلة الأخرى التي تعوق حرية الباحث عامة ومن ضمنهم كاتب هذه السطور هي تلك القداسة الموهومة الممنوحة لتلك الجماعات (الإسلامية) التي أحدثت حالة صخب وفوضى باسم الإسلام أكثر مما ساهمت في الإصلاح، قبل أن يكتشف البعض وليس الكل أن هذه الجماعات ما هي إلا كائنات مستمسخة حاول البعض أن يضاهي بها الكيان الأصيل بل ويحل محله تمهيدا لإزاحته ثم إلغائه، ومن عجب أن البعض ما زال مصرا على إبقائها في إطار الحق الذي يواجه الباطل!!.

ما هي العلاقة بين المهدوية والحضارة؟!، وإذا كان مصطلح الحضارة لم يحظ بتعريف محدد وقاطع حتى هذه اللحظة، فما بالك بتصوراتنا بما سيحدثه الظهور المهدوي من انقلاب في المفاهيم الفكرية والسياسية والاجتماعية والدينية السائدة وقطعا مفاهيمنا عن الحضارة!!.

امتعض البعض عندما قرأ المسودة الأولى من هذه المقالة التأسيسية لأسباب تتعلق ربما بما قلناه عن (سيد قطب) أو نقلناه عن (علي شريعتي)، ربما لأنهم يريدون فكرا مهدويا على قياسهم وفاتهم حقيقة بالغة الأهمية والخطورة وهي أن المهدي سيعيد الأمور إلى نصابها فيعطف الهوى على الهدى بعد أن عُطف الهدى على الهوى وأن هذه الجماعات المستمسخة ومفاهيمها الأكثر مسوخية ستكون أولى ضحايا الظهور المهدوي المبارك الذي سيمحو كل الظلمات ليحل محلها النور الإلهي، نور على نور، مثلما كانت مجتمعاتنا ضحية لحركة هذه الجماعات الذين صدق فيهم قوله تعالى ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُواْ فِي ٱلْأَرْضِ قَالُوٓاْ إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْمُفْسِدُونَ وَلَٰكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴾[1] البقرة ١١ـ١٢، وقوله تعالى ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾[2].

---

(١) سورة البقرة، الآيتان: ١١-١٢.

(٢) سورة الكهف، الآيتان: ١٠٣-١٠٤.

تعريف الحضارة

لا شك أن أحد أبرز إشكاليات الحديث عن (الحضارة) سواء تعلق الأمر بصراع دائر أو بحوار محتمل أو بمصير مرتجى هو تحديد معنى الكلمة وهل هي فعلا حضارة؟!، وإذا قبلنا أنها حضارة فهل يمكن نسبة تلك الحضارة لأحد الأديان؟!.

التعريف لا بد أن يكون في البدء محايدا قبل وصفه أو تخصيصه في مرحلة تالية كأن يقال هذه (سيارة) ثم يقال بعد ذلك أنها ألمانية أو أمريكية الصنع.

كي يقال: حضارة إسلامية او مسيحية أو كونفوشيوسية فالأمر يحتاج منا أولا القبول بتعريفها كحضارة وثانيا بنسبتها لهذا الدين أو لتلك الثقافة وهو سؤال لا يقتصر على ما يراه البعض حضارة إسلامية حيث هناك الآن في الساحة عدة تيارات كلها تدعي الانتماء للإسلام حقا أو باطلا، والأمر ذاته ينطبق على ما يوصف بالحضارة المسيحية حيث هنالك تياران أساسيان هما المسيحية الشرقية والمسيحية الغربية، حيث لا يمكن لأي باحث أن يسلم أن الغرب هو الممثل الحقيقي (لحضارة مسيحية).

لا نرغب في الولولوج عميقا في متاهة تعريف الحضارة ولا بأس أن نمر على (عالم التعريفات) مرورا سريعا حيث يقول بروس مازليش في كتابه (الحضارة ومضامينها)[1] عن (تعريف الحضارة):

---

(١) الحضارة ومضامينها، تأليف بروس مازليش. المجلس الوطني الكويتي للثقافة والفنون والآداب. مايو ٢٠١٤.

قبل استخدام الإسم المجرد (حضارة) بذل اليونانيون والرومان وأوربيو العصور الوسطى جهدا لتمييز أنفسهم عن الهمجيين (barabarians) بصفات تشير إلى الكياسة (civility) وإلى المراعاة الأدبية (cultivation)[١].

لم يظهر مفهوم الحضارة مقابل كون الفرد متحضرا أو همجيا إلا أواخر القرن الثامن عشر[٢].

في عام ١٧٤٣ تحدث ميرابو عن الحضارة باعتبارها (مصطلحا قانونيا) يشير إلى مجتمع ما حيث يحل المجتمع المدني محل المجتمع العسكري، وفي غضون عقد أو يزيد اكتسح معنى الحضارة أوروبا وأصبح مألوفا في الفكر التنويري، هذا التفكير الذي أسقط الدين بشكل متزايد ليصبح معلمنا (مؤلها للعقل) كما شكل جزءا من فكرة التقدم[٣].

لماذا انتظر مفهوم الحضارة المجسد حتى عام ١٧٥٦ ليظهر؟.

تجلت جذور المفهوم مع بدء التوسع الأوروبي في القرن الخامس عشر واللقاء مع بدائيي العالم الجديد وشعوب جزر المحيط الهادي مما أدى لطرح سؤال: كيف نشأ الإنسان المتحضر ومن ثم تعريف الحضارة التي تحدد المرحلة الأخيرة من تطور البشر من الهمجية والتوحش الأصليين.

عامل آخر في تطور مفهوم الحضارة وهو (التهديد التركي) وهو

---

(١) الحضارة ومضامينها، مصدر سابق، ص٢٢.

(٢) ذات المصدر، ص٢٣.

(٣) المصدر السابق، ص٢٤.

عام ١٤٣٥ عندما سقطت القسطنطينية بيد الأتراك العثمانيين[١].

ويرى ستيفان غيغر في كتابه (أصول اللطف) أن ظهور الأخلاق سبق عصر النهضة وحدث في الواقع بين العامين ٩٣٩ و١٢١٠ ميلادية كما حدث نتيجة التعليم الذي كان ضروريا بالنسبة لمواقع الدولة الإدارية والكنسية، وضمن هذا التدريب وجد المفكرون والأدباء والفنانون طريقة لكبح عنف الحكام المحاربين، ولخص غيغر نفسه ذلك قائلا: عندما يُعلِم مجتمع ما أفراده جيدا لدرجة تكون كل المجموعات فيه قادرة على التنازل عن العنف، آنذاك يمكن الحديث عن الحضارة وليس فقط عن المجتمع[٢].

يرتبط مفهوم الحضارة أيضا بشكل متأصل بمفهوم الحداثة وما يستلزمه هذا المصطلح وأن النقاش الذي نشأ وقتها بخصوص الثقافة والحضارة كان في جزء كبير منه نقاشا حول مزايا الحداثة وهو ما شكل عودة إلى المعركة القديمة بين القدامى والمحدثين.

يقول كانط: عندما تبلغ ثقافتنا درجة عالية من الفن والعلوم فإننا نتحضر لدرجة نكون فيها مثقلين بكل أنواع اللياقة الاجتماعية والعفة. وأن فكرة الفضيلة تعد جزءا من الثقافة.

أما صامويل هنتجتون فيعرف الحضارة في كتاب (صراع الحضارات) قائلا: الحضارة هي الكيان الثقافي الأكثر اتساعا وتعرف بعناصر موضوعية مشتركة مثل اللغة والدين والعادات والمؤسسات والتماثل الذاتي بين الناس وتمثل الحضارة الأنا الكبرى التي نشعر

---

(١) الحضارة ومضامينها، مصدر سابق، ص٢٥.

(٢) بروس مازليش الحضارة ومضامينها، ص ٢٧.

داخلها وكأننا متميزين ثقافيا عن كل من يمثل الآخر[١].

التعريف الأحدث وهو الأفضل من وجهة نظر بروس مازليتش جاء من دارس إيراني يعتقد أن الحضارات الكبرى تحتوي على قسمين منفصلين الأول يتمثل في رؤية عالمية واضحة يمكن أن تكون عبارة عن مجموعة من الأنظمة الثقافية أو الأيديولوجية أو دين من الأديان في أغلب الأحوال، والقسم الثاني فيمثل نظاما سياسيا وعسكريا واقتصاديا متناسقا عادة يجسد باعتباره أمبراطورية أو نظاما تاريخيا وأدعو حضارة بتلك الصلة بين رؤية عالمية ونظام تاريخي[٢].

خلاصة!!

من وجهة نظرنا فالحضارة مُنْتَج إنساني أي لا بد له من صانع بشري، مخطِطٌ عظيم يضع خطة جبارة لنقل البشرية عمليا إلى الأمام، وهي كيان مركب من عدة عناصر أهمها نظام سياسي يسعى لهذا التأسيس، ومكلف حصريا بإعداد وتوفير المواد الأولية اللازمة لتحقيق هذا الهدف وعلى رأسها العقول البشرية القادرة على التعامل مع العلوم بشتى صنوفها وتسخيرها لخدمة الأهداف الأخلاقية والنبيلة، لا من أجل تعميم الشر والموت والدمار أو لاستعباد الآخرين ونهب ثرواتهم، ولا يفوتنا عنصر المال والثروة الذي يمكن من دمج هذه العناصر وتحقيق التفاعل المطلوب بينها تماما كما يستخدم التسخين لإنجاز تفاعل كيماوي معين يقدم للصانع المنتج المطلوب، وهناك

---

(١) صامويل هنتجتون صراع الحضارات ص ٧١، سطور للنشر ١٩٩٦.

(٢) الحضارة ومضامينها بروس مازليش المجلس الوطني الكويتي للثقافة والفنون والآداب. مايو ٢٠١٤.

العنصر الأخلاقي الذي يمنح الحضارة صفة الحضارة ويخرجها من إطار الجاهلية الهمجية، كما أن امتلاك القوة بشتى صنوفها يعد عنصرا أساسيا يمنحها القوة والمنعة في مواجهة أعداء الداخل والخارج على حد سواء.

أخيرا فإن الحضارة لا تستحق هذا الوصف إلا إذا تميزت بالجمال والكمال سواء تجلى هذا في فنون ترقى بالنفس الإنسانية أو في تنظيم تكاملي للمجتمع في نواحيه المختلفة بعيدا عن القبح والقذارة التي هي الآن جزء من المشهد العشوائي الذي يميز الكثير من المجتمعات المسماة بالإسلامية.

علي شريعتي

وحسب علي شريعتي في كتاب (العودة إلى الذات):

الحضارة هي مرحلة سامية من النضج الثقافي والمعنوي في المجتمع وتربية الروح الفردية الإنسانية وتهذيبها والتسامي بها ومن أجل تحويل نصف بدائي إلى متحضر فهذا يحتاج إلى أيديولوجية وخطط ومشروعات وعمل وتضحية وتحمل وألم وصبر ورياضة وتغيير في الأصول والمبادئ الاجتماعية وثورة فكرية وعقائدية وتغيير للقيم والمبادئ والوصول إلى رؤية كونية منفتحة أو بكلمة واحدة[1]:

الحضارة لا توجد في الاستهلاك والمظهر والكماليات بل توجد في الرؤية والفكر وعمق الإحساس والعلاقات الإنسانية والأخلاقية

---

(١) ثورة أيديولوجية، ص ١٨٦.

ومنظومة القيم وقوة الثقافة وغناها والدين والفن والاستعداد للخلق والتحليل والاختبار والقياس.

لا تحتاج العصرية إلا إلى التقليد ولكن الحضارة على عكسها تماما فهي نوع من الفوران الداخلي والتحرر من التقليد والوصول إلى حدود الخلاقية والتمييز المستقل.

التحضر ثورة في الفكر ووعي وتمييز ورؤية كونية وتحليل للحياة والمجتمع والدنيا وتقييمها وتتضح من السلوك الاجتماعي والتكتل السياسي والحياة الفردية في المجتمع. ص ١٨٧.

الحضارة تعني حراثة الأرض وتسميدها ومدها بالمياه ثم بذر البذور ورعايتها وتطعيم النبات ومقاومة الآفات ثم يأتي النمو وهو ما لا يمكن له أن يحدث بين يوم وليلة بل يحتاج إلى كدح وعمل متواصل وصبر وإرادة وذكاء واستعداد أما الحضارة الاستهلاكية فهي ليست حضارة بل سوق لا أكثر.

إن ما يجعل الأرض - حسب شريعتي- صالحة للإنبات هو الأيديولوجية، رؤية كونية متحركة وأهداف مشتركة أو ما يعبر عنه بكلمة واحدة بالإيمان وهو ما يوجد حركة وقدر ووسائل ووحدة في المجتمع ثقافة الهند الروحية العميقة والمسيحية والحضارة الإسلامية والحضارة الأوربية الحديثة كل واحدة منها كانت وليدة حركة فكرية وقومية ودينية. ١٨٩

لقد ظن البعض أن الفلسفة والثقافة والعلوم والتقنية هي التي تصنع الحضارة وهذه غفلة ذهنية عجيبة لأنهم وضعوا المعلول مكان العلة وكل هذه الأمور هي النتيجة الحتمية للحضارة الحقيقية. ص ١٩٠.

من وجهة نظرنا ليست كل الحضارات سواء خاصة من ناحية القيمة ولا يمكن أن تكون سواء فالعبرة تتعلق بمنظومة القيم العملية وقواعد السلوك التي تتبناها هذه الحضارة أو تلك خاصة في علاقاتها الدولية والداخلية وليست تلك المدونة في الدساتير والقوانين.

ما أروع تلك المبادئ المدونة في ميثاق الأمم المتحدة والإعلان العالمي لحقوق الإنسان وما أبعد البون بين هذه الوثائق وعالم الواقع وحسبنا ما تعرض له الشعب الفلسطيني من مظالم وما صدر (لصالحه) من قرارات لم تجد طريقها يوما للتنفيذ.

الفارق بين الدين والحضارة هو الفارق بين الرسول والإمام ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾[1]، فالرسول الأعظم جاء بكل المبادئ الدينية العظيمة وأودعها وصيه ووارثه وخليفته من بعده الإمام علي ومن بعده أئمة أهل البيت عليهم السلام، ومن ثم كانت مهمتهم هي تفسير وتطبيق هذه المبادئ عمليا في أرض الواقع، أي تحويل هذا الدين إلى برامج عمل تغير الواقع البشري نحو الأفضل وتقوده نحو الأمام وتنقل المجتمع الإنساني بأسره نحو التقدم والحداثة الحقيقية حيث المبادئ الأخلاقية الحاكمة للكون ثابتة لا تتغير بينما تتقدم التطبيقات لتحقق الاستفادة القصوى من هذه المبادئ.

الحضارة الإسلامية

قلنا أن الحضارة هي منتج إنساني مركب وليس وصفة جاهزة يمكن تطبيقها في أرض الواقع بمجرد قراءة (الكتالوج)، والآن يمكننا أن نضيف إلى ما سبق أن المسلمين في الغالب الأعم لم يكن يعنيهم

---

(١) سورة الرعد، الآية: ٧.

لا المصطلح ولا المضمون، فهم يلهثون خلف قوى الأمر الواقع التي تفرض إرادتها عليهم أولا ثم يحاولون بعد ذلك أن يفلسفوا وينظروا ويقعدوا لهذا الواقع، تارة باسم الفقه والآن باسم الحضارة!!.

كي تستحق حضارة ما وصفها بالإسلامية فلا بد أن يكون المحتوى الفكري والأخلاقي والقيمي مستقى من الإسلام.

أي إسلام؟!.

إسلام أهل البيت المبني على قاعدة التلازم بين القرآن الكريم والعترة النبوية الطاهرة؟!.

أم ذلك الإسلام الذي قام الأمويون بصياغته أولا في أرض الواقع من خلال أفعالهم التسلطية القبيحة وما حوته من أفعال وأفكار دموية يئن منها المسلمون قبل غيرهم؟!.

الأمر ذاته ينطبق على أتباع الديانة المسيحية الذين خرجوا عن مسارها الأصلي ولم يبق لديهم إلا أقل القليل مما يمكن نسبته للسيد المسيح عليه السلام.

سيد قطب

في العالم الإسلامي لم يستفق المفكرون من هيمنة الأمر الواقع إلا مؤخرا وبدأوا في محاولة استلحاق تصوراتهم بمفاهيم الحضارة بدلا من الاكتفاء بالسير وراء دولة السيف والغلبة ومن هؤلاء سيد قطب الذي قال ما نصه في كتابه (معالم في الطريق):

الإسلام لا يعرف إلا نوعين اثنين من المجتمعات مجتمع إسلامي ومجتمع جاهلي.. والمجتمع الإسلامي هو المجتمع الذي يطبق فيه

الإسلام عقيدة وعبادة وشريعة ونظاما وخلقا وسلوكا، أما المجتمع الجاهلي فهو المجتمع الذي لا يطبق فيه الإسلام ولا تحكمه عقيدته وتصوراته وقيمه وموازينه ونظامه وشرائعه.

والمجتمع الجاهلي قد يتمثل في صور شتى كلها جاهلية:

قد يتمثل في صورة مجتمع ينكر وجود اللّه تعالى ويفسر التاريخ تفسيرا ماديا جدليا ويطبق ما يسميه بالاشتراكية العلمية نظاما وقد يتمثل في مجتمع لا ينكر وجود اللّه تعالى ولكن يجعل له ملكوت السماوات ويعزله عن ملكوت الأرض فلا يطبق شريعته في نظام الحياة ويبيح للناس أن يعبدوا اللّه في البيع والكنائس والمساجد ولكنه يحرم عليهم أن يطالبوا بتحكيم شريعة اللّه في حياتهم..

والمجتمع الإسلامي بصفته تلك هو وحده المجتمع المتحضر والمجتمعات الجاهلية بكل صورها مجتمعات متخلفة ولا بد من إيضاح هذه الحقيقة الكبيرة.

كنت أعلنت مرة عن كتاب لي تحت الطبع بعنوان «نحو مجتمع إسلامي متحضر» ثم عدت في الإعلان التالي وحذفت كلمة متحضر مكتفيا بأن يكون عنوان البحث «نحو مجتمع إسلامي»[1].

كلمة متحضر هي «لغو»!!!

أما عن سبب اكتفاء سيد قطب بكلمة إسلامي وإسقاطه لكلمة متحضر فيكشف عنه بقوله (عندما فكرت في الكتابة عن هذا الموضوع كانت المشكلة عندي هي «تعريف الحضارة» ولم أكن قد

(١) سيد قطب، معالم في الطريق ١١٦-١١٧ ط دار الشروق.

تخلصت بعد من رواسب الثقافة الأجنبية والغربية التي كانت تغبش تصوري وتطمسه.. ثم انجلت الصورة لأرى أن المجتمع المسلم هو المجتمع المتحضر وأن كلمة المتحضر هي لغو لا يضيف شيئا جديدا وعلى العكس فإن هذه الكلمة تنقل إلى حس القارئ تلك الظلال الأجنبية الغربية التي كانت تغبش تصوري وتحرمني الرؤية الواضحة الأصيلة!! والاختلاف إذا هو على تعريف الحضارة)[1].

معضلات سيد قطب

تبدو المعضلات الفكرية التي يجابهها الإسلاميون ومن ضمنهم سيد قطب في التعامل مع الفكر والفقه والواقع بلا حل نظرا لاعتمادهم التبسيط المخل في نظرتهم إلى الدين وهي معضلة ناجمة عن رؤيتهم لتاريخ المسلمين.

لن نستفيض هنا في مناقشة سيد قطب، ويكفي أن يعتمد الرجل نظرية (الجيل القرآني الفريد) التي هي امتداد للرؤية القائلة بـ(يوتوبيا) ما بعد العصر النبوي على خلاف الواقع لندرك أن ثقافته ومن ثم فكره لا تعدو كونها ثقافة عناوين تخالف كل الحقائق والمضامين.

الأمة والحضارة

من وجهة نظرنا فلا يمكن للباحث والمفكر أن يشخص للحالة الكارثية التي تواجهها (الأمة الإسلامية) تشخيصا صحيحا بينما هو يعتقد أن الإسلام أنتج أمة إسلامية جديدة بلا سوابق ولا جرائم ولا

---

(١) سيد قطب المصدر ذاته ١١٨.

تراث جاهلي عفن بينما يحكم الواقع وقراءة مسار التاريخ أن الأمة الجديدة كي تكون جديدة كان من المحتم أن تسافر في رحلة الزمن كي تتخلص من هذه الأثقال والأوزار التي حَمَلتها معها من التاريخ القديم.

عندما تتلوث الأنهار الكبرى من المنبع مثل نهر النيل كما حدث عندما حدثت مجازر رواندا قبل عشرين عاما، فلا بد من مراعاة الزمن والمسافة التي تقطعها هذه المياه الجارية لمئات الكيلو مترات قبل أن تتخلص من أدرانها وشوائبها!!.

الكثير من الكتاب والمفكرين ومن ضمنهم علي شريعتي يضعون خطا فاصلا بين ما قبل الإسلام وما بعد الإسلام وهو ما لا نعتقد بصحته.

ومهما قيل عن حجم التغيير الذي حدث في هذه الأمة (بالمعنى العرقي) أو تلك فلا يمكننا القبول بنظرية الخط الفاصل وكأن الإسلام أنتج أمة جديدة واحدة متوحدة منقطعة العلاقة بآبائها وأجدادها بينما نؤمن نحن بأن الأمة الجديدة لم تكن سوى رسول اللّه والصفوة البشرية القليلة التي تحلقت حوله ثم حول الأئمة من بعده حيث بقيت عوامل الصراع الداخلي تفعل مفاعيلها حتى تضع الحرب أوزارها بظهور صاحب الزمان ومظهر الإيمان.

الذي نجزم به أن الأمة الإسلامية في نسختها العربية وإن أردت الدقة في نسختها الأعرابية ظلت محتفظة بتلوثات المنبع وبقي الصراع محتدما بين عوامل التلوث وما أكثرها وقوى التطهر وما أقلها وصلا إلى المرحلة الراهنة حيث تواجه الأمة خيارات مستقبلية يمكن اعتبارها محدودة ومحددة وهو ما سنبينه في فقرة قادمة.

الربط بين الحضارة والمهدوية

يمكننا إذا أن نقسم (المبنى الحضاري)، «تجاوزا» إلى قسمين.

القسم الأول يتعلق بالقيم الأخلاقية والتصورات التي تعتمدها هذه الحضارة أو تلك والقسم الثاني يتعلق بالتطبيق العملي لهذه المنظومة.

وكما ذكرنا من قبل أن الفارق بين الدين والحضارة هو الفارق بين مهمة الرسول ومهمة الإمام، ولأن الأئمة عليهم السلام لم تتح لهم فرصة التقاط الأنفاس ولا الحكم ولا تطبيق هذه المبادئ في أرض الواقع فقد أصبح العبء كله واقعا على كاهل المهدي المنتظر وسيفه البتار الذي سيطهر الأرض من هؤلاء الزواحف والقوارض التي لا هم لها إلا العض والنهش وتسميم الأجواء وتعطيل النهوض الإنساني لتحقيق أمنيته الكبرى في إقامة دولة العدل الإلهي.

الحضارة الغربية أو (المسيحية) والتي تدعي التفوق الأخلاقي المطلق وتواصل الحديث ليل نهار عن حقوق البشر بل وتعتبر نفسها القيم والوصي على الأداء القيمي والأخلاقي في العالم بأسره هي ذاتها التي قصفت اليابان بالسلاح النووي وهي ذاتها التي اجتاحت بلدان العالم الثالث واستولت على ثرواتها ومصادرها الطبيعية ولا زالت تفعل ذات الأشياء حتى الآن.

(الحضارة الإسلامية) التي أقامتها نظم التسلط التي تغلبت على الدين وتغلبت على الناس باسم الدين لم تكن أكثر من حالة علو في الأرض ﴿وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾، مستفيدة من

الإمكانات التي وفرها لها الدين الجديد سواء تلك البشرية أو العقائدية أو الجغرافية دون أي اكتراث بالقيم والمفاهيم الأصيلة التي لم يكن لأحد قدرة على تمثيلها واستيعابها سوى أهل بيت النبوة الذين جرى استبعادهم لصالح نظام تسلطي جديد أضيف للإمبراطوريات القائمة في هذا العالم لكن هذه المرة باسم الإسلام.

لا بد إذا من التمييز بين العلو في الأرض وهي حالة تمكن وقدرة على فرض الإرادة على سائر البشر وربما تسخير الطبيعة لصالح منظومة القوة الحاكمة والمهيمنة، والحضارة بمعناها الأخلاقي والإلهي التي تجعل من إقامة العدل هدفا ثابتا ليس فقط لإرضاء اللّه عز وجل وهي غاية ما بعدها غاية، بل حفظا للتوازن الكوني وإطالة لعمر المجتمع وتجنيبه الهزات والصراعات التي قد تقوده للهلاك إما عاجلا أو آجلا.

القضية إذا لا تتعلق بأي حضارة تعلي المباني وتزركش المساجد على حساب القيم والمعاني، ولا بكلمة إسلام لم يبق منه إلا الشكل دون المضمون حيث (يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يَبْقَى فِيهِمْ مِنَ الْقُرْآنِ إِلَّا رَسْمُهُ وَمِنَ الْإِسْلَامِ إِلَّا اسْمُهُ مَسَاجِدُهُمْ يَوْمَئِذٍ عَامِرَةٌ مِنَ الْبِنَاءِ خَرَابٌ مِنَ الْهُدَى سُكَّانُهَا وَعُمَّارُهَا شَرُّ أَهْلِ الْأَرْضِ مِنْهُمْ تَخْرُجُ الْفِتْنَةُ وَإِلَيْهِمْ تَأْوِي الْخَطِيئَةُ يَرُدُّونَ مَنْ شَذَّ عَنْهَا فِيهَا وَيَسُوقُونَ مَنْ تَأَخَّرَ عَنْهَا إِلَيْهَا)، كما قال ووصف أمير المؤمنين علي عليه السلام.

قبل عدة أعوام كتبت بحثا بعنوان (هل حقا أن ابن خلدون هو مؤسس نظرية العمران والأمن القومي العربي؟!) أثبت فيه أن أغلب ما ذكره ابن خلدون – وهو المستند الأهم عند كثيرين – حول الحضارة

والعمران، مقتبس بصورة حرفية من عهد الإمام علي بن أبي طالب الذي عهده لمالك الأشتر.

عند هذه النقطة تحديدا يلتقي الحديث عن الحضارة بالحديث عن الإمامة، إمامة علي بن أبي طالب الذي غل المنافقون يده عن تنزيل مفاهيم الإسلام الحقيقية في أرض الواقع وهي ذاتها إمامة المهدي المنتظر عجل اللّه تعالى فرجه الشريف.

قد يرى البعض على خلاف الواقع أننا أطلنا فقرة تعريف معنى الحضارة والسبب في ذلك أن كلمة حضارة مفهوم مركب من عدة مفاهيم ولأن مفهوم القوة كان هو السائد والمهيمن على عقول المسلمين فليس ثمة اتفاق على هذا المفهوم.

العمران = حضارة

في عهد الأشتر يقول الإمام علي عليه السلام (وَلْيَكُنْ نَظَرُكَ فِي عِمَارَةِ الْأَرْضِ أَبْلَغَ مِنْ نَظَرِكَ فِي اسْتِجْلَابِ الْخَرَاجِ لِأَنَّ ذَلِكَ لَا يُدْرَكُ إِلَّا بِالْعِمَارَةِ وَمَنْ طَلَبَ الْخَرَاجَ بِغَيْرِ عِمَارَةٍ أَخْرَبَ الْبِلَادَ وَأَهْلَكَ الْعِبَادَ وَلَمْ يَسْتَقِمْ أَمْرُهُ إِلَّا قَلِيلًا فَإِنْ شَكَوْا ثِقَلًا أَوْ عِلَّةً أَوِ انْقِطَاعَ شِرْبٍ أَوْ بَالَّةٍ أَوْ إِحَالَةَ أَرْضٍ اغْتَمَرَهَا غَرَقٌ أَوْ أَجْحَفَ بِهَا عَطَشٌ خَفَّفْتَ عَنْهُمْ بِمَا تَرْجُو أَنْ يَصْلُحَ بِهِ أَمْرُهُمْ وَلَا يَثْقُلَنَّ عَلَيْكَ شَيْءٌ خَفَّفْتَ بِهِ الْمَئُونَةَ عَنْهُمْ فَإِنَّهُ ذُخْرٌ يَعُودُونَ بِهِ عَلَيْكَ فِي عِمَارَةِ بِلَادِكَ وَتَزْيِينِ وِلَايَتِكَ مَعَ اسْتِجْلَابِكَ حُسْنَ ثَنَائِهِمْ وَتَبَجُّحِكَ بِاسْتِفَاضَةِ الْعَدْلِ فِيهِمْ مُعْتَمِداً فَضْلَ قُوَّتِهِمْ بِمَا ذَخَرْتَ عِنْدَهُمْ مِنْ إِجْمَامِكَ لَهُمْ وَ الثِّقَةَ مِنْهُمْ بِمَا عَوَّدْتَهُمْ مِنْ عَدْلِكَ عَلَيْهِمْ وَرِفْقِكَ بِهِمْ فَرُبَّمَا حَدَثَ مِنَ الْأُمُورِ مَا إِذَا عَوَّلْتَ فِيهِ

عَلَيْهِمْ مِنْ بَعْدُ احْتَمَلُوهُ طَيِّبَةً أَنْفُسُهُمْ بِهِ فَإِنَّ الْعُمْرَانَ مُحْتَمِلٌ مَا حَمَّلْتَهُ وَإِنَّمَا يُؤْتَى خَرَابُ الْأَرْضِ مِنْ إِعْوَازِ أَهْلِهَا وَإِنَّمَا يُعْوِزُ أَهْلُهَا لِإِشْرَافِ أَنْفُسِ الْوُلَاةِ عَلَى الْجَمْعِ وَسُوءِ ظَنِّهِمْ بِالْبَقَاءِ وَقِلَّةِ انْتِفَاعِهِمْ بِالْعِبَرِ).

ولأن مالك الأشتر رضوان اللّه عليه كان متوجها لحكم مصر ركزت الوصية على الأرض وعمارتها والنهوض بمجال الزراعة، الدعامة الأهم للاقتصاد المصري من وقتها وحتى الآن، ومع ذلك فالوصية لم تغفل أهمية الاهتمام بالصناعة والتجارة ناهيك عن العلم والعلماء، (وَأَكْثِرْ مُدَارَسَةَ الْعُلَمَاءِ وَمُنَاقَشَةَ الْحُكَمَاءِ فِي تَثْبِيتِ مَا صَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرُ بِلَادِكَ وَإِقَامَةِ مَا اسْتَقَامَ بِهِ النَّاسُ قَبْلَكَ).

هذه هي مفاهيم الحضارة الغائبة عن المجتمعات الإسلامية التي نعتقد أنها تتشوق لعودة جديدة للإسلام والتي ذاقت الأمرين من بطش الجبابرة والطغاة وهاهي الآن تكتوي بنار أدعياء التدين من الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا.

مضامين الحضارة في القرآن الكريم

بديهي أن كلمة حضارة لم ترد في القرآن الكريم، إلا أن الثابت لدينا أن المفاهيم السالبة للحضارة وتلك المثبتة لها متوافرة في كتاب اللّه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

نقصد بالمفاهيم السالبة تلك الآيات التي تحدثت عن امتلاك البشر منظومة أو أكثر من تلك العناصر إلا أن خللا أخلاقيا اعترى هذا المجتمع قاده نحو الهلاك بسبب ارتكاب إحدى الخطايا التي تجر الدمار.

يقول تعالى:

﴿ فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِىَ ظَالِمَةٌ فَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴾[1].

﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٢٦﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ ۖ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطَشْتُم بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٣١﴾ وَٱتَّقُوا۟ ٱلَّذِىٓ أَمَدَّكُم بِمَا تَعْلَمُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُم بِأَنْعَٰمٍ وَبَنِينَ ﴿١٣٣﴾ وَجَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٣٤﴾ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾[2].

﴿ لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا۟ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ ۖ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ ۖ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا۟ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾[3].

﴿ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوا۟ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴾[4].

---

(١) سورة الحج، الآية: ٤٥.

(٢) سورة الشعراء، الآيات: ١٢٣-١٣٥.

(٣) سورة سبأ، الآيات: ١٥-١٩.

(٤) سورة غافر، الآية: ٢١.

الآيات السابقة تشير إلى حضارات أتيح لها فرصة الوجود في هذا الكون وكان لأصحابها قدرات غير عادية في البناء مثل عاد قوم هود الذين كانوا ينحتون بيوتهم على ارتفاعات شاهقة في قمم الجبال ويوصلون إليها المياه (وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون) أو مثل أهل اليمن ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ﴾، الذين أقاموا سد مأرب لحجز مياه المطر وري البساتين والجنان التي كانت تثمر لهم أشهى الزروع والثمار ثم تلاشى كل هذا بسبب إعراضهم عن أمر اللّه وطاعته ومبارزته بالذنوب والظلم والمعاصي.

كما يشير القرآن الكريم لحضارات أخرى امتلكت عناصر القوة بشكل يفوق من جاء بعدهم ولكن أخذهم اللّه بذنوبهم وما كان لهم من اللّه من عاصم ولا واق.

امتلكت هذه الحضارات عناصر القوة والقدرة على تسخير العلم والمعرفة والسيطرة على الطبيعة وتوفير الرخاء كقوم عاد الذين بنوا ناطحات السحاب وأمدوها بما تحتاجه من وسائل الرفاه وهو ليس بالأمر الجديد في التاريخ الإنساني إلا أن أهم ما افتقدته تلك الحضارات التي غصت الأرض بآثارها الشامخة كان الارتباط والالتزام بالقيم الإلهية وعلى رأسها بالقطع قيمة العدل.

من البديهي أن إثبات وجود هذه الحضارات لا يتوقف على ذكرها في القرآن فهاهي الآثار الفرعونية موجودة في الكثير من مناطق مصر وهاهم برابرة داعش الوهابيين يدمرون آثار العراق الآشورية، أما ما ورد في القرآن فيفسر لنا سبب انهيارها وزوالها من الوجود كي تتجنب البشرية الوقوع في ذات الأخطاء.

وإذا كان بعض المفكرين الذين أشرنا إليهم سابقا يضعون مفهوم الحضارة مقابل الهمجية فنحن نعتقد أن الصواب هو ما قاله القرآن الكريم من وضعها مقابل مفهوم الجاهلية.

﴿ ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ ﴾[1].

﴿ أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾[2].

﴿ وَقَرْنَ فِى بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ ﴾[3].

﴿ إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴾[4].

ومن الواضح أن المقصود بمصطلح الجاهلية هي تلك الأوضاع التي تختلط فيها التقاليد والأعراف البالية التي لا تستند لقانون أخلاقي سماوي مع العصبيات القبلية الجاهلية التي تعلي شأن العرق أو الطائفة على قواعد السلوك الاجتماعي النابعة من رسالات السماء السامية.

الجاهلية هي المقابل للحضارة وهي أوسع من مجرد الجهل

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ١٥٤.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٥٠.

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

(٤) سورة الفتح، الآية: ٢٦.

وانعدام المعرفة فالجهل يمكن أن يكون حالة جزئية أما الجاهلية فهي منظومة (متكاملة) من الفساد والحكم يما تهوى الأنفس وغيرها من الأوضاع الشاذة التي عاشتها المجتمعات العربية وغير العربية والتي تناضل من أجل الاستمرار والبقاء حتى الآن.

الجاهلية ليست مجرد مرحلة زمنية عاشتها البشرية بل هي منهج وأسلوب في التعاطي يعتمد على العصبية للعرق أو للون أو لمذهب على حساب مبادئ العدل والإنصاف والحوار بين الناس بالتي هي أحسن.

لذا كانت هناك جاهلية أولى كما وصفها القرآن الكريم وهناك جاهليات معاصرة اقتفت أثر الجاهليات الأولى معتمدة على ذات الوسائل والأساليب بغض النظر عن نوع الزي واللباس الذي يرتديه المعاصرون وعن نوع الأسلحة التي تستخدمها الجاهلية المعاصرة حيث تستخدم الآن الطائرات والصواريخ بدلا من الرمح والسيف وتبقى الغايات والأهداف واحدة في الحالتين.

معارك التدمير الحضاري

دعهم يحرق بعضهم بعضا!!

لست من أنصار تلك الرؤية القائلة أن العالم الإسلامي مجرد ضحية سلبية لمخططات الغرب كما يروج البعض في محاولة منهم للتنصل من المسئولية عن الكوارث التي يعيشها المسلمون في العصر الحالي.

إلا أن هذا لا يعني أن يد الغرب نظيفة مما يجري في منطقتنا من

مصائب وويلات، ولذا فنحن نرى أن كشف هذا الدور ربما ساعد على إدراك حجم الخطيئة التي ارتكبها البعض عندما أدخلنا في هذا النفق المظلم، نفق الصراعات الطائفية الذي دمر ما كان لدينا من منجزات وأوقف مسيرنا نحو الأمام.

في كتابه (أين الخطأ التأثير الغربي واستجابة المسلمين) يعرض برنارد لويس رؤيته عن الصراع بين الصفويون والعثمانيون وكيف أن وقوف الغرب على التل انتظارا لنتائج المعركة وعدم تدخله لجانب الفرس في مواجهة العثمانيين الذين كانو يشكلون خطرا داهما على أوربا، وهي المعركة التي طالت حتى القرن التاسع عشر وأفضت في النهاية لأنهما لم يعودا يمثلان تهديدا لأي أحد عدا رعاياهما)، وهو عين ما يحدث الآن.

(دأب الشاه وخلفاؤه من الصفويين ولو لفترة محدودة على منازعة السلاطين العثمانيين تفوقهم السياسي وزعامتهم الدينية فقام السلطان سليم الأول بشن حملات عسكرية على الدولتي المجاورتين له فحقق نجاحا كبيرا وإن لم يكتمل ضد الشاه ونصرا شاملا ونهائيا على سلطان مصر المملوكي فاصبحت مصر والمناطق التابعة لها من الولايات العثمانية وبقيت بلاد فارس دولة منفصلة ومنافسة، بل أن بوزيق سفير الإمبراطورية الرومانية في استامبول ذهب إلى القول أن التهديد الفارسي وحده هو الذي أنقذ أوربا من الفتح العثماني الوشيك فكتب يقول (إننا نرى على الجانب التركي موارد إمبراطورية جبارة وقوة لا يشوبها وهن واعتيادا على النصر وقدرة على التحمل والجلد ووحدة وانضباطا وتقشفا ويقظة وانتباها، أما على جانبنا

فنرى فقر العامة وترف الخاصة وقوة مثلومة وروحا منكسرة ونقصا في قوة التحمل والتدريب، فالجنود عاصون والضباط مقترون وانتشر الانحلال والسكر والتبذل وأسوأ ما في الأمر أن العدو قد اعتاد النصر واعتدنا الهزيمة. هل لنا أن نشك فيما ستكون النتيجة؟ إن بلاد الفرس وحدها هي التي تتدخل لصالحنا إذ أن العدو وهو يسرع للهجوم لا بد دائما أن يحذر من ذلك الخطر المتربص بصفوفه الخلفية، لكن بلاد فارس تؤخر من وقوع المصير الذي ينتظرنا ولا تستطيع إنقاذنا فبعد أن يسوي الأتراك أمورهم مع بلاد فارس سوف ينقضون على نحورنا يساندهم جبروت الشرق كله ولا أجرؤ أن أحدد مدى عدم استعدادنا لذلك).

(ولقد سمعنا في العصر الحديث بعض المراقبين الغربيين الذين قالوا أقوالا مماثلة عن الاتحاد السوفييتي والصين وثبت خطؤهم مثلما ثبت خطأ بوزيق. لقد أثبتت الأحداث أن مخاوف بوزيق لم يكن لها ما يبررها إذ استمر القتال بين العثمانيين والفرس حتى القرن التاسع عشر وعندها لم يعودا يمثلان تهديدا لأي أحد عدا رعاياهما. أما قبل ذلك فأحيانا كان يطرح على بساط البحث إمكان عقد حلف مناهض للعثمانيين بين العالم المسيحي والفرس دون أن يؤدي ذلك إلى شيء. ففي عام ١٥٢٣ أرسل الشاه إسماعيل الصفوي الذي كان لا يزال يتألم من الهزيمة التي لحقت به خطابا للإمبراطور شارل الخامس يعرب فيه عن دهشته من أن الدول الأوربية يحارب بعضها بعضا بدلا من ضم الصفوف في وجه العثمانيين، ولم تلق تلك المناشدة أذنا صاغية ولم يرسل الإمبراطور ردا على الشاه إسماعيل حتى عام ١٥٢٩ وكان الشاه

قد توفي قبلها بخمسة أعوام؟ تجمدت حركة بلاد الفرس مؤقتا واستطاع العثمانيون بزعامة السلطان سليمان القانوني الذي حكم من (١٥٢٠ـ١٥٦٦) خلفا لسليم أن يبدأ مرحلة التوسع في أوربا بدءا من موقعة موهاك الكبرى في المجر وكانت الغلبة الحاسمة فيها للترك ففتحت الأبواب أمام أول حصار ضربوه على فيينا عام ١٥٢٩ وكان الجانب العثماني يرى أن عدم الاستيلاء على فيينا بعد ذلك الحصار لا يعد هزيمة بل تأخرا في إحراز النصر قبل أن يستمر الصراع للسيطرة على قلب أوربا)[١].

هذه الرؤية تفسر لنا موقف الغرب من الهجمة الإرهابية التي تتعرض لها منطقتنا والذي يدور بين (الحياد الظاهري) والممالأة الواقعية لهذه الجماعات وصولا لتحقيق الهدف المرسوم وهو إضعاف هؤلاء وهؤلاء وحصر نفوذهما في رعاياهما كما قال برنارد لويس.

المتابع للهجمة الضارية التي تتعرض لها المنطقة الإسلامية والتي تشكل التنظيمات الوهابية رأس حربتها يلاحظ ما يلي.

أن هذه الجماعات التدميرية تركز هجومها على الإرث الحضاري للمنطقة والذي يشكل الجزء الثابت من هذا التاريخ الموجود على الأرض.

الملاحظة التالية: أن هذه الجماعات التدميرية تكمل ما بدأه الآباء

---

(١) ص viii- ix أين الخطأ برنارد لويس (التأثير الغربي واستجابة المسلمين) ترجمة دكتور محمد عناني تقديم د. رؤوف عباس مكتبة الأسرة مصر ٢٠٠٩.

المؤسسون لهذا النهج بدءا من عمر ابن الخطاب الذي أمر بإخفاء قبر النبي دانيال والتعمية على ما وجد فيه من مخطوطات والرواية لابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿ فَقَالُواْ ٱبْنُواْ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا ۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ۚ ﴾ أي: سدوا عليهم باب كهفهم، وذروهم على حالهم ﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴾ والظاهر أن الذين قالوا ذلك هم أصحاب الكلمة والنفوذ. ولكن هل هم محمودون أم لا؟ فيه نظر؛ لأن النبي ﷺ قال: «لعن اللّه اليهود والنصارى، اتخذوا قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد» يحذر ما فعلوا وقد روينا عن عمر بن الخطاب، أنه لما وجد قبر دانيال في زمانه بالعراق أمر أن يخفى عن الناس وأن تدفن تلك الرقعة التي وجدوها عنده، فيها شيء من الملاحم وغيرها. انتهى النقل.

استمر هذا النهج التدميري الذي سنه الخليفة الثاني وتجلى بعد ذلك في أوضح صوره في التدمير الشامل الذي قام به يوسف بن أيوب الملقب بصلاح الدين الذي أنهى بصورة كاملة وجود العديد من المكتبات في مصر ومن أهمها مكتبة القصر الفاطمي التي حوت ما يربو على مليوني كتاب فضلا عن تدميره لأهرامات الجيزة حيث أزال أكثر من ثمانية عشر هرما واستخدم أحجارها في بناء القلعة المسماة باسمه حتى الآن ناهيك عن قيام الأيوبيين بتسوية أعظم مدينة في العالم كانت تقوم بإنتاج النسيج في الشمال الشرقي لمصر هي مدينة تنيس التي هي الآن مجرد أكوام تقع على الحافة الشمالية الشرقية لبحيرة المنزلة (تنيس) سابقا ثم جاءت الجماعات الطالبانية لتكمل ما بدأه الآباء الهمج البرابرة المؤسسون.

الخيارات الحضارية المستقبلية للأمة الإسلامية

في مقاله المنشور بعنوان (خمس احتمالات لمستقبل المسلمين)[١]

يطرح الدكتور سهيل عنايت الله خمس احتمالات مستقبلية يتجه نحوها المسلمون بناء على ما هو متداول من أفكار في العالم الإسلامي.

الاحتمال الأول: وهو العودة إلى ما كان عليه المسلمون الأوائل في القرن السابع الميلادي وهي عودة خارج السياق كما أنها بالنسبة إلى الكثيرين تعد تراجعا عن سياق التطور الإنساني.

الاحتمال الثاني: وهو احتمال كارثي يتمثل في انهيار العلاقات بين المسلمين والانزلاق نحو حرب مذهبية داخل الحضارة الإسلامية وبينها وبين الغرب (وهو ما يجري الآن).

الاحتمال الثالث: مسار (تقدمي) يصبح العالم الإسلامي فيه جزءا من منظومة الدول العلمانية.

الاحتمال الرابع: هو تبادل المواقع الحضارية بين الإسلام والغرب فيتقهقر العالم الغربي وينطلق العالم الإسلامي ليصبح في مقدمة ركب الحضارة الإنسانية.

أما الاحتمال الخامس والأخير: حيث يتقبل المسلمون والغرب مبدأ التعددية داخل الحضارة الواحدة وداخل النظام العالمي ويحتل

---

(١) http://www.metafuture.org/Articles/Five Futures for Muslims.pdf، ٢١ أغسطس ٢٠٠٤.

العالم الإسلامي موقعه اللائق به في المنظومة الدولية سواء من الناحية السياسية أو الحضارية.

الاحتمال الأول يقوم على تلك الفرضية القائمة على أن البشرية قد بلغت قمة كمالاتها السياسية والأخلاقية إبان فترة (الخلفاء الراشدين) وأن هذه اليوتوبيا بقيت مستمرة حتى سقوط الخلافة العثمانية بداية القرن الماضي ومن ثم وجب على كل مسلم أن يسعى لاستعادة ذلك الفردوس الضائع!!.

إنها عقيدة جاءت ومعها توابعها مثل نظرية المؤامرة الكونية على الإسلام والمسلمين كتفسير رسمي وحيد ومقبول لحركة التاريخ يمكن من خلاله شرح الأسباب التي أدت إلى خروج المسلمين من سباق الحضارة العالمي عندما فقدوا تفوقهم العسكري على منافسيهم فالعبء دوما يقع على هؤلاء المتآمرين الذين يمكن العثور عليهم أو حتى اختلاقهم إن لم يتيسر العثور عليهم بين صفحات الأحداث.

فالتشيع لأهل البيت هو من صنع اليهودي ابن السوداء وسقوط الخلافة العباسية تحت سنابك خيل التتار كان بسبب تآمر الوزير الشيعي مؤيد الدين ابن العلقمي أما سقوط الخلافة العثمانية فيسأل عنه يهود الدونمة والمهم أن المسلمين السائرين على نهج الخلفاء الراشدين والمصرين على العودة إليه لا يخطئون ولا يضلون وعلى ربهم يتوكلون وهم ورثة الأرض!!...

أما الاحتمال الثاني المتمثل في انهيار العلاقات بين المسلمين والانزلاق نحو حرب داخل الحضارة الإسلامية من ناحية وبينهم

وبين الغرب من ناحية أخرى فقد أصبح احتمالا حقيقيا خاصة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر وما تلاها من غزو العراق وأفغانستان وسقوط أعتى نظامين قاما على القمع المذهبي وهما النظام الطالباني والنظام الصدامي.

من التعددية إلى العدالة الإلهية:

مر العالم من الناحية السياسية عبر مرحلتين ولا زلنا في انتظار المرحلة الثالثة.

المرحلة الأولى: مرحلة الحكومات الإمبراطورية المطلقة الظالمة عادة والعادلة نادرا مرحلة الإمبراطوريات الفارسية والبيزنطية ويدخل فيها مرحلة الخلافة الإسلامية.

المرحلة الثانية: هي مرحلة التعددية والمشاركة الشعبية في الحكم من خلال الانتخابات وهي مرحلة حديثة نسبيا ولكنها من دون شك أقرب إلى تحقيق قيمة العدالة من المرحلة الأولى، إلا أنه لا يمكن الجزم بأن التعددية هي قرين العدالة.

المرحلة الثالثة: هي مرحلة تحقيق حلم البشرية في إقامة دولة العدل الإلهي الحقيقي وهي من وجهة نظرنا دولة المهدي المنتظر ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُواْ يَحْذَرُونَ ﴾[1].

---

(١) سورة القصص، الآيتان: ٥-٦.

المرحلة الأولى: مرحلة الدولة الأبوية الإمبراطورية التي يجري تداول الحكم فيها عبر التوارث أو الاستخلاف الشكلي، حيث لم يكن هناك مجال للمطالبة بانتخابات رئاسية أو برلمانية وكلها أمور لم تكن قد دخلت بعد في إطار التطور المعرفي الإنساني كما أن المشاركة تعتمد أولا على وجود الكيانات الاجتماعية والسياسية القادرة على تداول السلطة واستلامها من الحزب الحاكم.

نقول أن التعددية هي مرحلة انتقالية بين السلطة الأبوية التفردية ودولة العدل الإلهي إذ لا ضمان على الإطلاق أن تقوم السلطة المنتخبة ديموقراطيا بضمان العدل أو الدفاع عن حقوق الطبقات الفقيرة والمستضعفة ومن باب أولى إيصالها إلى الحكم.

للتعددية آليات لا يمتلكها الفقراء أو حتى تلك الفئات التى حرمت عمدا ومع سبق الإصرار والترصد من تلك الإمكانات التي هي حق طبيعي لها بعد أن صودرت ثرواتها وأملاكها وأعطيت من قبل من لا يملك لمن لا يستحق.

إنها ديموقراطية الأغنياء ولكنها ليست أبدا ديموقراطية الفقراء ونظرة واحدة على الطريقة التي تدار بها العملية السياسية في الولايات المتحدة الأمريكية تكشف لنا عن الدور الذي تقوم به مؤسسات التمويل في إدارة تلك العملية والدفع بالموالين لها إلى مراكز صنع القرار وبالتالي فالزعم بأن الديمقراطية تعني العدالة هو وهم كبير.

القبول بالتعددية وانتزاع المستضعفين لحق التواجد في ساحة السياسة والفكر هو مرحلة لازمة لإقامة دولة العدل التي لا يمكن أن تقوم إلا على أكتاف رجال أحرار لا يخافون في اللّه لومة لائم ولا

يبيعون رضا الخالق من أجل أن يرضى الظالمون المستئثرون بالثروة والسلطة حتى ولو كانوا يتداولونها بينهم باسم الديمقراطية!!.

الوجه الأهم والأخطر للمسألة هي تلك النظرة الاستكبارية التي يعتمدها أعداء شيعة أهل البيت عليهم السلام الذين ذاقوا حلاوة الاستئثار بالسلطة طيلة هذه القرون الخوالي والذين يرفضون الآن بإباء وتصميم أي محاولة لاستعادة هذا العدل المفقود وهم يلقون الآن بكل ثقلهم وراء الحريق المشتعل في العراق وهو ما يشخصه (ولي نصر) في مقاله المنشور في مجلة foreign affairs الأمريكية الصادرة في يوليو ٢٠٠٦ بأنه: رفض الأقلية للتنازل عن ما تعتقد أنه حقها الأبدي في الحكم والهيمنة ومن ثم فهي تسعى لإحراق الأخضر واليابس حتى لا يأتي يومهم الذي كانوا يوعودون.

البشرية عامة والأمة الإسلامية خاصة تتحرك نحو هدفها الموعود وفردوسها المفقود والذي لم يأت بعد في دولة العدل الإلهي حيث تعود الأمور إلى نصابها ويحق اللّه الحق بكلماته ولو كره الكافرون.

معالم دولة العدل والقائمون بها

الأمر عندها سيكون تصديقا لكلمات الإمام علي بن أبي طالب: عَلَى أَنَّ اللّهَ تَعَالَى سَيَجْمَعُهُمْ لِشَرِّ يَوْم لِبَنِي أُمَيَّةَ، كَمَا تَجْتَمِعُ قَزَعُ الْخَرِيفِ يُؤَلِّفُ اللّهُ بَيْنَهُمْ، ثُمَّ يَجْعَلُهُمْ رُكَاماً كَرُكَامِ السَّحَابِ، ثُمَّ يَفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَاباً... يَأَخُذُ بِهِمْ مِنْ قَوْم حُقُوقَ قَوْم، وَيُمَكِّنُ لِقَوْم فِي دِيَارِ قَوْم وَايْمُ اللّهِ لَيَذُوبَنَّ مَا فِي أَيْدِيهِمْ بَعْدَ الْعُلُوِّ وَالتَّمْكِينِ كَمَا تَذُوبُ الأَلْيَةُ عَلَى النَّارِ.

ويقول أيضا: (لتملأن الارض ظلما وجورا، حتى لا يقول أحد اللّه اللّه، يستعلن به ثم لتملأن بعد ذلك قسطا وعدلا كما ملئت ظلما وجورا).

وعن علي عليه السلام أنه قال (حتى لا يقول أحد اللّه إلا مستخفيا ثم يأتي اللّه بقوم صالحين يملؤونها قسطا وعدلا..).

ويقول أيضا (واللّه ليظهرن عليكم هؤلاء باجتماعهم على باطلهم وتخاذلكم عن حقكم، حتى يستعبدونكم كما يستعبد الرجل عبدا إذا شهد جزمه وإذا غاب سبه حتى يقوم الباكيان الباكي لدينه والباكي لدنياه وأيم اللّه لو فرقوكم تحت كل حجر لجمعكم لشر يوم لهم والذي خلق الحبة وبرأ النسمة لو لم يبق من الدنيا إلا يوم لطول اللّه ذلك اليوم حتى يملك الارض رجل مني يملؤ الارض عدلا وقسطا كما ملئت جورا وظلما)[1].

خلاصة

الذي نخلص إليه في هذا البحث أن تطور التاريخ الإنساني عامة وتاريخ المسلمين على وجه الخصوص هو حركة تقدمية تصاعدية تتجه نحو هدف أعلى وأسمى هو تحقيق العدالة بين البشر في أبعادها المختلفة إنسانيا واجتماعيا وأخلاقيا وسياسيا.

إنه تطور لن يتوقف ببلوغ العالم مرحلة القبول بالتعددية أو الليبرالية رغم أن القبول بالتعددية هي مرحلة أقرب إلى العدالة من المرحلة التسلطية سواء كانت هذه التسلطية دينية أو خلدونية عنصرية

(١) معجم أحاديث المهدي

لا غاية لها إلا الاستيلاء على الملك وتكريس إمكانات الأمة في خدمة القبيلة الأموية القرشية العباسية أو القبيلة الصعلوكية المملوكية التي حكمت مصر والكثير من بقاع العالم لمدة تزيد على ثمانية قرون فكان أن أوردت هذا العالم مورد الهلاك والبوار.

إنها حركة تقدمية لن تنتهي حتى (يأتي اللّه بقوم صالحين يملؤونها قسطا وعدلا) وليس بتأسيس نظام يسمح بتداول السلطة شكلا والاستئثار بها مضمونا لتبقى في حوزة المتغلبين من الذين يريدون علوا في الأرض وفسادا.

المهدي المنتظر والنهوض الحضاري

من البديهي أن تحقيق العدل الإلهي يرتبط ارتباطا وثيقا بنهضة حضارية وعلمية سابقة ولاحقة على هذا الظهور المبارك وأن العدل لا يمكن أن يتحقق إلا في مجتمعات الوفرة التي تستثمر الثروات الطبيعية المتوفرة في البر والبحر والتي عجز الناس عن استثمارها بسبب الفساد والاستئثار الذي عم البلاد والعباد ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[1].

مقابل هذا الفساد والإفساد البشري الذي أنتج فقرا وتخلفا وظلما واستئثارا وإفقارا للمستضعفين سواء كانوا راضين قانعين بالذل أو مغلوبين على أمرهم لا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا ﴿إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ

(١) سورة الروم، الآية: ٤١.

سَبِيلًا ﴾[١]، فإن إعادة الأمور لنصابها ورد الولاية لأصحابها وأهلها، أهل البيت الذين اذهب اللّه عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا، كفيل بأن يحيي اللّه الأرض بعد موتها ويعيد إليها بهاءها ونورها الذي غيب عنها طيلة القرون الماضية.

﴿ ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ قَدۡ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴾[٢].

روي في كمال الدين عن الإمام الحسين عليه السلام: منا إثنا عشر مهديا، أولهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وآخرهم التاسع من ولدي، وهو الامام القائم بالحق، يحيي اللّه به الارض بعد موتها ويظهر به دين الحق على الدين كله ولو كره المشركون له غيبة يرتد فيها أقوام ويثبت فيها على الدين آخرون، فيؤذون ويقال لهم: متى هذا الوعد إن كنتم صادقين، أما إن الصابر في غيبته على الاذى والتكذيب بمنزلة المجاهد بالسيف بين يدي رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم.

ومن البديهي أن مفهوم الحضارة يساوي مفهوم إحياء الأرض بعد موتها وهو ذاته مفهوم العمران الذي ركز عليه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وهو أيضا مفهوم قرآني تمتزج فيه الإرادة والقدرة الإلهية بسعي الإنسان وجهده الدؤوب لتحقيق الاستفادة القصوى من خيرات الأرض لصالح الإنسانية ولتحقيق العدالة التي هي الركن الركين لتحقيق الأمن والسلام في ربوع الدنيا.

---

(١) سورة النساء، الآية: ٩٨.

(٢) سورة الحديد، الآية: ١٧.

روي في نهج البلاغة وتحف العقول عن الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام:

ألا إن العلم الذي هبط به آدم وجميع ما فضلت به الانبياء عليهم السلام في عترة نبيكم، فأين يتاه بكم وأين تذهبون. يا معشر من نجا من أصحاب السفينة هذا مثلها فيكم، كما نجا في هاتيك من نجا فكذلك من ينجو في هذه منكم من ينجو، ويل لمن تخلف عنهم، إنهم لكم كالكهف لاصحاب الكهف، سموهم بأحسن أسمائهم، وبما سموا به في القرآن، هذا عذب فرات سائغ شرابه اشربوا وهذا ملح أجاج فاحذروا، إنهم باب حطة فادخلوا، ألا إن الابرار من عترتي وأطائب أرومتي أعلم الناس صغارا وأعلمهم وأحلمهم كبارا، من علم اللّه علمنا، ومن قول صادق سمعنا، فإن تتبعوا آثارنا تهتدوا ببصائرنا وإن تدبروا عنا يهلككم اللّه بأيدينا أو بما شاء، معنا راية الحق من تبعها لحق ومن تخلف عنها محق، وبنا ينير اللّه الزمان الكلف، وبنا يدرك اللّه ترة كل مؤمن، وبنا يفك اللّه ربقة الذل عن أعناقكم، وبنا يختم اللّه لا بكم).

وفيه (.. بنا فتح اللّه عزوجل وبنا يختم اللّه وبنا يمحو اللّه ما يشاء وبنا يدفع اللّه الزمان الكلب وبنا ينزل الغيث لا يغرنكم باللّه الغرور، لو قد قام قائمنا لانزلت السماء قطرها ولاخرجت الارض نباتها وذهبت الشحناء من قلوب العباد، واصطلحت السباع والبهائم، حتى تمشي المرأة بين العراق والشام لا تضع قدميها إلا على نبات، وعلى رأسها زنبيلها لا يهيجها سبع ولا تخافه).

الأمة الإسلامية ومعارك التدمير الحضاري

الآن تدور على ساحتنا الإسلامية عدة معارك، عنوانها الأبرز هو (معارك التدمير الحضاري) وهي خطط استلهمها واضعوها من تلك الحرب الكبرى التي شنها صلاح الدين الأيوبي بالتحالف مع السلاجقة القدامى على مركز الحضارة الإسلامي القائم في مصر قبل قرابة الألف عام.

أدرك الغرب المعادي أن سلاحه الأمضى هو تأجيج نار العداوة المذهبية ونيران الحقد الطائفي وأن استخدام هذا السلاح يمكنه من حشد آلاف من المقاتلين الذين لا هم لهم إلا تدمير كل ما تطاله أيديهم تحت شعار الانتقام للطائفة بغض النظر عن الدمار الذي سيلحقه هؤلاء بمجموع الأمة وثرواتها وتراثها الحضاري.

نرى بوضوح أصابع الموساد والمخابرات المركزية الأمريكية تخطط وتدير تلك المعركة القائمة على استنهاض غرائز الحقد والانتقام والتدمير لتبقى أمتنا داخل هذا المستنقع التدميري عاجزة عن مغادرته، مستنقع التدمير الحضاري من أجل القضاء على أي إمكانية لإعادة البناء الحضاري المرتكز على إعمال العقل والتدبر وهي كارثة ليس لها من دون اللّه كاشفة.

المهدي المنتظر والربيع العربي

يقول تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[1].

نفهم أن يقف الغرب خاصة جناحه البروتستانتي المتصهين موقف العداء من الإسلام عامة ومن المهدي المنتظر خاصة إلا أننا لا نفهم ولا نرى مبررا منطقيا لاعتماد ما يسمى بالتيار السلفي الوهابي ذات الموقف العدائي من المهدوية.

ليت الأمر اقتصر على الخلاف النظري والفكري، فها نحن نرى بأم أعيننا أن هذا التيار أصبح الآن أداة أساسية في الحروب التي يشنها الغرب المتصهين على الحراك المهدوي في المنطقة وأنه يقدم تضحيات ضخمة وهائلة من دماء المنتمين إليه دون أن يرف له جفن أو تهتز له شعرة وأن هذا التيار يدور في فلك الخطط السياسية للغرب ويسعى لتحقيق أهدافه بل لقد وصل الأمر لحد أن هذا التيار أصبح بديلا يقاتل نيابة عنهم ويغنيهم عن إرسال جنودهم لساحات المعارك ليبقى لهم القسط الأكبر من الغنم بتكاليف الحد الأدنى: إرسال الأسلحة ووسائل الاتصال والجهد الاستخباري وهي أشياء يقومون بها أصلا، حاربوا أم لم يحاربوا!!.

---

(١) سورة يونس، الآية: ٣٩.

الآفة الكبرى التي ابتلي بها عالمنا الإسلامي تتلخص في أنصاف المثقفين المفتونين بمعارفهم المبتورة والمبتسرة والذين يرددون شعارات لا يعرفون مضمونها بدقة ويعيشون في مناطق لا يريدون ولا يرغبون في مغادرتها ويكررون ما ورد عن أسلافهم دون تدبر أو تحقيق ومن بين هذه الشعارات، شعار العلمانية أو فصل السياسة عن الدين رغم أن واقع الغرب الذين يرغبون في محاكاته والنسج على منواله أبعد ما يكون عن هذا الفصل المزعوم بين السياسة والدين!!.

هل حقا يفصل الغرب بين الدين والسياسة كما يتوهم البسطاء والسذج أم أن هذا الغرب يتصرف على الساحة الدولية انطلاقا من معتقداته الدينية ومن بينها التمهيد للألفية الثانية للمسيح فضلا عن مصالحه الدنيوية المادية أي أن دينهم وتصوراتهم ومعتقداتهم هي عين سياستهم كما أن هذا لا يتناقض مع رعايتهم لمصالحهم ودولارهم ونفطهم.

لا يلزم أن يجلس البابا على عرش أمريكا البروتستانتية المعادية من الأساس للبابوية كي يقال أن الغرب يدمج الدين في السياسة لأن العبرة بالأفعال لا بالصور والأشكال كما يتوهم بعض السذج المعوَقين والمعوِقين لأي نهضة فكرية وثقافية حقيقية يمكن لها أن تنتشل عالمنا الإسلامي من حفرته التي تزداد عمقا يوما بعد يوم.

ليس هناك عالم تحركه المصالح وحسب بعيدا عن العوامل العقائدية والنفسية ولا يعني هذا بالضرورة أننا نرى الغرب بأسره عدوا كما أن هذا لا يعني عدم وجود تباين في الرؤى والأفكار بين أركان الدولة الواحدة ولا بين الدول المختلفة أو حتى بين الشعوب

والنخب السياسية الحاكمة التي تتصرف وتفكر بطريقة تختلف عن الأسلوب البسيط الذي تفكر وتتصرف به الشعوب.

العالم الإسلامي قدم خلال أغلب فترات التاريخ من خلال قياداته الفاشلة أخلاقيا وفكريا، النموذج الأفشل لدمج ما يراه دينا بما يتوهمه سياسة وهو من خلال مهاوويس الجماعات الإسلامية يهتم بعلامات وشعارات التدين بعيدا عن الاهتمام بحقيقة الدين ومضامينه الأخلاقية الراسخة حيث كان يتورط دوما في سياسات فاشلة ويتنقل بين مشاريع (جهادية) أكثر خيبة وفشلا.

نحن الآن في مواجهة مشروع غربي عدواني يبدو أكثر رقة ونعومة من مشاريع الغزو والاحتلال المباشر التي نفذها الغرب في القرون السابقة ولكنها أكثر خبثا ودهاءا واستعصاء على الفهم من الطبقة السياسية الحاكمة، أما الطبقة المثقفة التي يفترض أن تتحمل مسئولية تشكيل الوعي العام للجماهير فهي تتخبط ولا تدري من أين أو إلى أين؟!.

على مدى تلك القرون لم يحاول أغلب هؤلاء المثقفين وأصحاب الرأي التصدى لهذه المهمة أو أن يقدم قراءة لواقع الأمة التي توالت عليها المصائب والنكبات ومن ثم تلمس طرق الخروج من هذا النفق المظلم الذي طال وقوفنا فيه دون أن نرى بصيص ضوء أو نرى نهاية وشيكة لهذه العتمة الدامسة.

الغرب يتلاعب بنا تلاعبه بالكرة ونحن منقسمون تائهون حائرون لا ندري من أين أو إلى أين؟!.

وقع أغلب المثقفين في الفخ عندما رفعوا شعار (فصل الدين عن

الدولة) أو (لا دين في السياسة ولا سياسة في الدين) ومن ثم قدموا للجماعاتيين رافعي شعار (الإسلام هو الحل) خدمة مجانية كبرى عندما أظهروا أنفسهم كدعاة لتنحية الدين في حين أن رافعي شعار (الإسلام هو الحل) لا يعرفون شيئا عن الدين اللهم بعض الصور والأشكال التي لا يمت أغلبها للدين بسبب أو نسب!!.

متى كان الدين لحية وجلبابا وبعض روايات يتلقطها هؤلاء من هنا وهناك وأين هي المفاهيم الأساسية للدين كالحق والعدل التي جاء بها الأنبياء وضحى من أجلها الأئمة والمصلحون على مدى التاريخ.

الدمج بين التدين الزائف والدولة القائمة على البغي والظلم والتسلط شكل خطا ثابتا في تاريخنا المسمى بالإسلامي ضمن تحالف بين سلطة متجبرة فاسدة وحفنة من المعممين الفاسدين الذين باعوا آخرتهم بدنياهم حيث باع هؤلاء (الشيوخ) ضمائرهم لمن منحهم المال على سبيل الرشوة وبالتالي فإن مطالبة هؤلاء بالانفصال الطوعي لا يختلف عن مطالبة اللصوص بالتنازل عن سر قوتهم وإلقاء سلاحهم الذي طالما استخدموه في السلب والنهب والبحث عن مصدر للعيش الشريف!!.

لنأخذ نموذجا على هذا التحالف الخبيث بين مرتزقة الدين وبلطجية السياسة الذي يأمل دعاة الفصل بين هذا وذاك في إقناعهما بالانفصال (بالحسنى).

في أكتوبر من العام ٢٠١٠ قررت حكومة مبارك إيقاف بث الفضائيات (الدينية) لأسباب لا يعلمها إلا اللّه!!، إذ لا ضرورة لإرهاق العقل في تخمينها!!.

اختلف لصوص الدين مع لصوص الدنيا... لا على الدين بل على ثمالة من كأس الدنيا الدنية....

خرج لصوص الدين مذعورين من جحورهم، فقطع الأعناق ولا قطع الأرزاق....

توالت الاعترافات الفاضحة.

صرح الأخ حازم صلاح أبو اسماعيل بتاريخ ٢٢-١٠-٢٠١٠ بما نصه (كانت القناة تتبع تعليمات الأمن حتى الكلام في الشيعة فتمت مهاجمة الشيعة في توقيت محدد من قبل الأمن ثم تمت تهدئة الأوضاع مع ملامح التقارب أو التعامل مع إيران)[١].

أما الإخواني صفوت حجازي أمين أمناء المعبد فقال بذات العدد (قناة الناس تخضع لرقابة أمنية من جهاز أمن الدولة في مصر ولا يظهر شيخ من الشيوخ على القناة.. إلا بموافقة صريحة أو بموافقة سكوتية من الأمن)[٢].

التحالف القائم الآن بين المؤسسة الوهابية (الدينية) والدولة (العلمانية) في تركيا هو أوضح دليل على أن ما يروج له من دعوة للفصل بين الدين والسياسة في عالمنا المسمى بالإسلامي لا تعدو كونها خرافة سمجة أو خدعة الصبي عن ثدي أمه!!.

الخدعة الأخرى التي سقط فيها بعض (المهدويين) عن طيب خاطر ورضا نفس هي الترويج لما يسمى بالصحوة الإسلامية التي

---

(١) http://www.soutelomma.org/printable.aspx?NID=7050

(٢) المصدر ذاته.

جمعت واجتمع تحت رايتها الوهابي الإخواني الذي يؤمن بإمامة حسن البنا أو يؤمن بأن محمد بن عبد الوهاب هو مجدد التوحيد الإسلامي الذي تلاشى واندثر في عصور الانحطاط، كما يزعمون والشيعي المهدوي الذي يؤمن باستحالة أن (تَخْلُو الْأَرْضُ مِنْ قَائِمٍ لِلَّهِ بِحُجَّةٍ إِمَّا ظَاهِراً مَشْهُوراً وَإِمَّا خَائِفاً مَغْمُوراً لِئَلَّا تَبْطُلَ حُجَجُ اللَّهِ وَبَيِّنَاتُهُ)، ومن ثم فالتناقض بين الفريقين تناقض مطلق إذ لا يمكن الجمع بين الشرق والغرب في موضع واحد.

مصطلح الصحوة الإسلامية

في كتاب (حاضر العالم الإسلامي) الصادر أوائل القرن العشرين وضمن هوامشه التي تجاوزت الكتاب الأصلي يقول الأمير شكيب أرسلان (صاحب الحواشي):

من شأننا تتبع الأدوار المختلفة التي اجتازتها (الجامعة الإسلامية) الحديثة مبتدئين بالدور الأول الذي ظهرت فيه للعالم ظهورا بينا وهو دور الدعوة الوهابية حيث أنشأ ابن عبد الوهاب حكومته على أساس الشورى ولما استولى سعود على الأماكن المقدسة في الحجاز تصور أنها الخطوة الأولى في سبيل فتح العالم الإسلامي قاطبة فتحا إصلاحيا دينيا تتلوه وحدة سياسية عامة بين جميع ممالك الإسلام ولما سقطت الوهابية دون مبتغاها العظيم أخذ الاضطراب السياسي على أثر ذلك يشتد في العالم الإسلامي.

على مثل هذه الأسس بنى السلطان عبد الحميد الذي ارتقى العرش سنة ١٨٧٦م، مشروع الجامعة الإسلامية فقد اختط الخطط

الكبرى لتحقيق مشروعاته العظمى حيث ألغى مجلس النواب وجعل نفسه السلطان المطلق لا تعلو يده يد له الأمر والنهي وحده ولما استوثق له الأمر نحى بسياسته منحى الجامعة الإسلامية فعقد عزمه على التذرع بالخلافة لبلوغ أغراض سياسية عظيمة فأعلن للملأ أنه فوق كونه سلطانا للدولة العثمانية ورئيسها السياسي الوحيد فهو الخليفة الديني لجميع المسلمين وأخذ يستصرخ الأمم الإسلامية في شتى بقاع الأرض لتمد يد العون إليه وكان منذ عهد بعيد يدبر أمور نشر الدعوة للجامعة الإسلامية بوسائل خفية هائلة فغدت القسطنطينية مكة الثانية يلوذ بها جميع ذادة الإسلام المشتهرين بأعمال المقاومة للدول الغربية مثل جمال الدين الأفغاني وأقرانه ومنها صارت توفد الوفود وترسل الرسائل لجميع الأقطار الإسلامية حاملة رسالة الخليفة وهي الأمل المحقق في النجاة من خطر حكم الفرنجة الكافرين.

المسلمون اليوم هم في دور النهضة والانتقال والتجدد يستردون مجدهم الإسلامي الفائت ويستعيدون عزهم التليد حيث قال السير تيودور موريسون (ليس من مسلم يعتقد أن الحضارة الإسلامية فانية أو غير متجددة مترقية إنما يعتقد أن قد عرتها قهقرى قصيرة فحسب، فقصر المسلمون أمرهم على التطوح في الإشادة بمجد الجدود وتعصبوا في ذلك وغالوا غلوا شديدا، يعتقد المسلمون اليوم أن العالم الإسلامي سائر في طريق استئناف الارتقاء يأخذ عن الغرب ما يزيد في استحثاثه ويبعث فيه عزما وإقداما ونشاطا).

انتهى النقل

كتب هذا الكلام قبل قرن من الزمان حيث يبدو واضحا أن مصطلح الصحوة الإسلامية ليس جديدا وأنه استخدم منذ نشأته لوصف المشروع الوهابي، ثم استعاره السلطان العثماني المقبور عبد الحميد في محاولة لتوظيف العصبية الدينية لإنقاذ إمبراطوريته التي كان نجمها يوشك على الأفول النهائي.

الأمر ذاته ينطبق على المرحلة الراهنة التي يعيشها العالم الإسلامي حيث نجحت القوى الإمبريالية في توظيف (الصحوة الوهابية) ليس من أجل إعادة مجد الأمة أو استعادة وحدتها بل في تمزيق ما تبقى من شملها ووضعها في معسكرين متقابلين هذه المرة على خلفية مذهبية (الهلال الشيعي في مواجهة المثلث السني).

(الصحوة الإسلامية)، مصطلح غامض، حمال أوجه، استخدم في الأساس لوصف الحركة الوهابية التي حاولت اجتياح العالم الإسلامي عسكريا منذ القرن الثامن عشر وبلغت ذروتها مع تأسيس الدولة السعودية بداية القرن العشرين، برعاية بريطانية بينما أراد البعض الآخر أن يجعل منها عنوانا يجري تجميع التيارات (الإسلامية) سواء كانت شيعية مثل (حزب اللّه) في لبنان أو وهابية مثل جماعة الإخوان، تحت لوائه والنتيجة التي أسفر عنها مشروع (الجمع المستحيل) واضحة لكل من يتابع الحالة السياسية المتدهورة للعالم العربي والإسلامي.

الذين يرون أن الصحوة الإسلامية هي الوهابية عقدوا عزمهم على بلوغ غايتهم، عالم إسلامي بلا شيعة عبر شن حملات التكفير والذبح الجماعي التي لم تترك مكانا في العالم الإسلامي دون أن تصل إليه

بينما بقي الفريق الشيعي على عهده ووعده محافظا على بوصلته موجها سلاحه لأعداء الأمة الحقيقين وهم الصهاينة الغاصبين.

ولأن العارف لا يعرف -ونحن لا نشك ولا نشكك في معرفة من تبنى هذا المشروع- بل يُنبه!، فالواجب يحتم علينا أن نذكر هؤلاء السادة المحترمين أن هذا المشروع لم يزد عن كونه مقامرة بالغة الخطورة ولا جدوى حقيقية من ورائها.

مصطلح الربيع العربي

رفع مصطلح الصحوة الإسلامية مقابل مصطلح الربيع العربي.

نشأ مصطلح الصحوة الإسلامية داخل العالم الإسلامي أما مصطلح الربيع العربي فهو مصطلح غربي بامتياز جرى استخدامه أولا لوصف الحراك الشعبي المناهض للاتحاد السوفييتي السابق ومن ضمنه (ربيع براغ).

الربيع العربي إذا هو توصيف غربي للحراك الشعبي العربي الذي جرى توظيفه كغطاء لخداع الجماهير أو خطة هجوم وهمية في حين كان الهجوم الأصلي الذي رعاه الغرب وهابيا قاعديا تكفيريا وهو ما تجلى في الحالة السورية والمصرية والليبية والتونسية.

أما الصحوة الإسلامية فمصطلح يهدف لرسم خريطة طريق إسلامية المبدأ والمآلات مغايرة للربيع الآتي من الغرب!!.

أما الحقيقة فتقول: لا ربيع ولا صحوة ولا حتى أمر بين الأمرين بل نحن في أمر مريج و﴿ قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ۝٨ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ﴾، الذاريات.

الحقيقة تقول أن شعار الربيع العربي لم يكن سوى تضليل إعلامي

لمنح الحراك الوهابي الفرصة للاستحواذ على السلطة وتنفيذ الشق الأهم من المؤامرة وهي تطهير المجال الاستراتيجي المحيط بالكيان الصهيوني من الشيعة واستنزافهم عسكريا باعتبارهم رأس الحربة في مواجهة هذا الكيان.

ليس هناك دليل على أن أمتنا الإسلامية قد درست واقعها وأدركت أخطاءها واستخلصت العبر من تاريخها وانتبهت لما يتعين إصلاحه.

الذين راهنوا على جمع الأضداد في بوتقة (الصحوة) لم يفسروا لنا كيف يمكن تحويل الفكر الخوارجي إلى فكر إسلامي يؤمن بقيمة الإنسان ويحترم كرامته (ولقد كرمنا بني آدم)!!.

الذين غضبوا من العبد للّه لرفضه مبايعة جماعة الإخوان وإمامهم المزيف جهلوا أو تجاهلوا أن ذات الجماعة الإرهابية افتتحت موسم الغدر والقتل بشخصي المتواضع يوم الجمعة ٩-٩-٢٠١١ وليس بجريمة اغتيال الشيخ حسن شحاتة والتمثيل بجثته يوم الأحد ٢٣-٦-٢٠١٣ كما يتوهم البعض.

الذين يتباكون الآن ويندون بمؤتمر جاكرتا الداعي لمحاربة التشيع وملاحقة الشيعة في كل مكان، تجاهلوا أن جماعة الإرهاب، عفوا أعني جماعة الإخوان كانت تُوكل عقد هذه المؤتمرات في كافة أرجاء مصر لحلفائها السلفيين تحت عنوان (الشيعة هم العدو).

فلماذا سكت من سكت على هذه المؤتمرات ولماذا تكلم من تكلم على مؤتمر واحد؟!.

يمكننا القول أن الغرب عندما وصف الأحداث التي عاشتها منطقتنا بالربيع العربي كان متسقا مع أهدافه في إسقاط النظم العربية

المتكلسة التي باتت تشكل عبئا ثقيلا عليه وعلى سياساته في المنطقة حيث ترافق هذا مع الدفع بقطاع عريض من الشباب الذي تربى في أجواء (السلام العربي الإسرائيلي) نحو الواجهة ولو مرحليا، في حين أن الذين راهنوا على جمع المتناقضات تحت راية الصحوة الإسلامية كانوا يحاولون إنقاذ ما يمكن إنقاذه كيفما اتفق!!.

القول بأن المهدوية والمهدي الآتي لا يمكن لها أن تنهض إلا على أكتاف المؤمنين بالإمامة والمخلصين لها والمترقبين دعوة إمام الحق هو مبدأ حاكم على أي تصور سياسي عقائدي يرصد الواقع ويفتح طريق المستقبل أمام المؤمنين بولاية أهل البيت عليهم السلام.

إنها بديهية جرى تجاهلها والقفز عليها من أجل تحقيق هدف مستحيل، لو تحقق سيزيدنا بعدا عن هدفنا الأصيل وهو إقامة دولة العدل الإلهي تحت قيادة المهدي المنتظر، عجل اللّه فرجه وجعلنا من أتباعه وجنده والمستشهدين بين يديه.

خلاصة أولية

يعيش أغلب المسلمين حالة من الحيرة بين الاتجاهات المختلفة، فمنهم من يصدق حكاية الفصل بين الدين والدولة ودافعه لهذا التوجه هو فقر وتواضع أداء (الإسلاميين) وتخبطهم، ومنهم من يرى أن الحل يكمن في تلك التي يسمونها بالصحوة الإسلامية رغم التباعد الهائل بين من يرى أن الصحوة هي الوهابية وبين من يؤمن ويجزم بحتمية الالتزام بمبدأ ولاية أهل البيت وهؤلاء وحدهم هم المعدون والمنتظرون لظهور الإمام المهدي عليه السلام.

الربيع العربي كغطاء للقضاء على الشيعة

الجماهير التي خرجت إلى الشوارع نهاية عام ٢٠١٠ في تونس وبداية ٢٠١١ في مصر لم تخرج استجابة لنداء الإدارة الأمركية أو لتنقلب على نظم تتحلى بالصدق والنزاهة والعدالة بل على نظم بلغت حدودا غير مسبوقة في الظلم والفساد والإجرام والتماهي مع رغبات الاستكبار العالمي وقاعدته المتقدمة في المنطقة إسرائيل.

عندما خرجت الجماهير غير المنظمة لم تكن تعرف ما هي الخطوة التالية ومن الطبيعي أن تستثمر القوى سابقة التنظيم والإعداد والتجهيز هذه الفرصة لصالحها كما حدث في مصر وليبيا ثم سوريا بعد ذلك.

الإعداد لاستثمار هذا اليوم لم يكن يحتاج لعبقرية ولا لتنبؤات نوستر آداموس لأن الغضبة الجماهيرية كانت آتية حتما والحمير وحدهم ونعني الطبقة الحاكمة في عالمنا الإسلامي هي التي تجاهلت هذه الحتمية واعتبرت أن بقاء الحال هو أمر مضمون ومؤكد.

أخرجت الإدارة الأمريكية وحلفاؤها الفرنسيين وأزلامهم الأتراك والسعوديين أوراقها وتحديدا رجالات الجماعات الوهابية التكفيرية الذين جرى إعدادهم وتسمينهم ليوم (الذبح الأعظم) وشحذت سلاحها وأشعلت المعركة الكبرى في بلاد الشام.

انطلقت عمليات الذبح والقتل في سوريا بعد سنين سبقت من ذات الممارسات في العراق في مواصلة لبرنامج القضاء على الشيعة في المنطقة وربما في العالم بأسره في مرحلة لاحقة.

لا نؤمن بمنطق الصدف التي تحرك هذا النوع من الأحداث، بل

نعتقد جازمين بوجود تخطيط محكم جرى الإعداد له طويلا مقابل حالة الدعة والغفلة التي أدمنها من يعتقدون أنهم المهدويون فكانوا كمن وصفهم الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام (أَيُّهَا النَّاسُ غَيْرُ الْمَغْفُولِ عَنْهُمْ وَ التَّارِكُونَ الْمَأْخُوذُ مِنْهُمْ)!!.

في خطابه الذي ألقاه بمناسبة يوم الجريح بتاريخ ١٤ يونيو ٢٠١٣ وضع السيد حسن نصر اللّه الأمين العام لحزب اللّه النقاط على الحروف قائلا: يوجد هناك مشهد في سوريا يوجد عشرات الآلاف يمكن أن يصلوا إلى ١٠٠ ألف أو أكثر من الذين جاؤوا أو جيء بهم من كل أنحاء العالم، وهناك الآن من يريد أن يقنعنا انه يوجد دول عربية ودول في العالم الإسلامي ولا يوجد فيها انتخابات ولا يوجد فيها ديمقراطية ولا يوجد فيها دستور أصلاً، ولا عندها مؤسسات حكم، تقوم بإرسال أبناء بلدها وتعطيهم الأموال وتقدم لهم التسهيلات والضمانات إلى سوريا من أجل الانتخابات الديمقراطية والإصلاح، حسناً، نظرنا نحن إلى الموضوع ووجدنا أنه وبعد مضي ما يقارب العامين أو ما يزيد على العامين يوجد أناس مصرون ومكملون في هذه المعركة حتى لو أدى ذلك لتدمير سوريا وذبح الشعب السوري، المهم أن يسقط هذا النظام وأن يتغير موقع سوريا السياسي والإقليمي، والنظام المراد له أن يأتي ليس نظاماً سياسياً بل البديل هو الفوضى وحكم هذه الجماعات التي تنحر وتذبح وتقتل وو الخ.... حسناً، أمام هذا الواقع هناك حرب كونية.

أنا في ٢٥ أيار قلت بوضوح: نحن ذاهبون إلى مكان نعرف كل تبعاته ومستعدون أن نتحمل كل تبعاته. يعني أريد توضيح هذه

النقطة قليلاً: نحن نواجه مشروعاً آتياً ليهدد المنطقة ومنها لبنان والعيش بلبنان والناس بلبنان، كل الناس في لبنان، اذهبوا واسألوا في سوريا، اسألوا السنة الذين ليس معهم، اسألوا المسيحيين، اسألوا الدروز والشيعة والعلوية والاسماعيلية والأباضية والزيدية، سلوهم كلهم، هل لهم مكان في مستقبل سوريا مع فتاوى التكفير وممارسات القتل الموجودة وبدأت من السنة الذين ليس معهم، اسألوا سماحة الشيخ البوطي والمصلين في مسجد الايمان، اسألوا العلماء السوريين الذين قتلوا بسبب موقفهم السياسي أو بسبب عدم تأييدهم الجماعات المسلحة، عندما تريد أن تواجه هذا المشروع تقدم تضحيات لمواجهة هذا المشروع وإسقاط هذا المشروع، سواءً كانت هذه التضحيات شهداء أو جرحى أو صواريخ سقطت على رؤوسنا بالبقاع أو بالضاحية أو قتل منا أناس مظلومون أو بسبب موقفنا وموقف المواجهة ظُلم ناس في هذه الدولة الخليجية أو تلك الدولة العربية. انتهى النقل.

أنا اقول لكم إن إسقاط هذا المشروع الخطير جداً جداً على أوطاننا وعلى مقدساتنا وعلى شعوبنا هو أضخم بكثير من أي تضحيات يمكن أن تقدم. فيجب أن نتحمل هذه التضحيات ونتحمل هذه التبعات، واذا ظن أحد أن وضعنا على لوائح الإرهاب وأن تهديدنا باللبنانيين وأن الاعتداء على أي شكل من أشكال الاعتداء في الداخل والخارج يمكن أن يغير من موقفنا هو مشتبه، وأنا اقول لكم مثلما حكيت عن الشتم والسب، فهو يزيدنا قناعة بأن موقفنا صح، مسارنا صح، رؤيتنا صح، موقعنا صح، ويستحق التضحية.

إذا لقد لخص سماحة السيد/ حسن نصر اللّه الرؤية التي طرحناها من موقع المسؤول العارف والقادر على البوح بما تتحفظ عن ذكره وسائلنا الإعلامية التابعة لجبهة المقاومة المستهدفة بهذا المشروع الجهنمي صاحبة المصيبة والأولى بالبكاء عليها وهي في ذات الوقت طليعة الممهدين لصاحب الأمر والزمان أرواحنا لمقدمه الفداء.

كنا نتمنى أيضا على المهمومين بالتمهيد للظهور المهدوي أن يقرنوا هذا الجهاد والتضحيات الغالية التي قدمها هؤلاء الفرسان ببذل كل ما يمكنهم من جهد لتوعية المسلمين المخدوعين بالمشروع السفياني الصهيو وهابي وتعريفهم بخطورة وضلال الوهابية وحيلها القذرة المنحطة التي انطلت على آلاف الشباب فصدقوا أن الأمر يتعلق بدعوة لإعادة التوحيد الصحيح كما يزعم ويدعي هؤلاء القتلة المجرمون بدلا من تركهم فريسة للتضليل.

الربيع العربي في نسخته الغربية هو مشروع للقضاء على الشيعة وإعادة رسم خريطة المنطقة بصورة تضمن أمن إسرائيل حتى قيام الساعة من خلال التحالف بين الصهيونية وتوأمها الوهابي الذي أريد له أن يشكل حزاما أمنيا يحيط بإسرائيل وضمن أمنها.

الربيع العربي في نسخته الغربية مشروع يتكون من طبقتين، طبقة خارجية ليبرالية متأمركة تدعي الليبرالية وليس لها من قيم الحرية سوى حرية الصهاينة المطلقة في قمع العرب والمسلمين، وأخرى داخلية وهابية إرهابية قاعدية تشكل الحشوة الناسفة والمحتوى الأصلي الحقيقي الذي سعى الغرب لفرضه علينا.

لم يكن غريبا ولا مدعاة للدهشة اللهم إلا عند البسطاء الذين

يتعاطون مع الأشكال دون انتباه للمضامين أن تقف الحركات التي رعتها الخارجية الأمريكية في مصر والتي تتحدث عن الليبرالية وتمارس سلوكا أخلاقيا انفتاحيا في موقع الدفاع عن جماعة الإخوان وأن تساندها مساندة مطلقة في رحلة صعودها نحو السلطة أو تسعى جاهدة للدفاع عنها ومنع سقوطها!!.

الحزام الأمني الذي خطط دهاقنة الغرب لإقامته ضمانا لأمن إسرائيل لم يكن هذه المرة حزاما محليا مثل حزام أنطوان لحد بل حزاما استراتيجيا يتكون من تحالف وهابي واسع جرى تهيئته للقيام بهذه المهمة طيلة العقود الماضية وربما (على الأرجح) طيلة القرون الماضية مذ شق المشروع الوهابي طريقه إلى أرض الواقع.

وباستثناء الملك الأردني عبد اللّه فالقوى التي ملأت الدنيا ضجيجا بسبب ما سمي (بالهلال الشيعي) لزمت الصمت تجاه مشروع (الهلال السني) الذي لم يكن يعني تسليم السلطة لمسلمين من (أهل السنة) كون هذا حقيقة واقعة، بل تسليم السلطة لجماعات الإرهاب الوهابي الإخواني والقاعدي كي يقوموا بمحاربة الشيعة خاصة المتواجدين منهم في محيط الكيان الصهيوني.

حرب يمكن لها أن تستمر ألف عام امتدادا للخلاف المذهبي الذي استمر ١٤٠٠ عام حتى الآن تصبح فيها إسرائيل ليس فقط كيانا يبحث عن أمنه بل قوة كبرى مهيمنة تغير وجه العالم لصالحها، وليس فقط وجه المنطقة.

وحدهم السذج والبلهاء هم الذين سقطوا في هذه الحفرة في حين تنبه ملك الأردن لخطورة هذا الاستدراج المميت، ليس حبا

ولا رحمة بالشيعة بل لإدراكه لحقيقة هذه الحفرة من النار المموهة بالحلوى والمن والسلوى.

في ديسمبر ٢٠١٢ أعلن الملك الأردني عن رفضه البات للتورط في أي نزاع سني شيعي مبينا أن موقفه السلبي من «الهلال السني» يوضح أن تعرّضه سابقاً، لما سمّاه «الهلال الشيعي»، لم يكن عدائياً وإنما هو دليل على رفضه للمحاور المذهبية جميعاً[١].

التلكؤ الأردني في دعم مشروع (الهلال السني) يأتي أيضا من إدراك الملك الأردني سليل الأسرة الهاشمية التي طردها الوهابيون من الحجاز والذي يعرف جيدا أن اكتمال الطوق الوهابي حول إسرائيل يعني نهاية عرشه حيث الوهابية من الشمال والجنوب!!.

بعد أن سقط الحكم الإخواني في مصر بداية يوليو ٢٠١٣ بدا واضحا أن عقد (الهلال الوهابي الإخواني) وليس السني بدأ في الانفراط، كتب اللواء المصري المتقاعد محمد الغباشي مقالا في جريدة الأهرام المصرية تحت عنوان (أمريكا تقفز من الهلال السني للمثلث الشيعي) أكد فيه على ذات المعنى قائلا: (إن ثورة٣٠ يونيو في مصر والخارجية الروسية والإيرانية نجحت في الاطاحة بالنفوذ الأمريكي الذي يودع الشرق الأوسط وأن هذا يدل علي تفكك التوازنات الأمريكية القائمة علي محور الهلال السني مقابل محور المثلث الشيعي حيث إن هذا الاتفاق تم في اطار توتر العلاقات العربية الأمريكية مع مصر من جانب علي خلفية ثورة٣٠ يونيو التي مزقت الأجندة الأمريكية في المنطقة ومع الخليج من جانب آخر علي

---

(١) http://www.alahednews.com.lb/essaydetails.php?eid=68675&cid=9

خلفية التراجع عن الضربة العسكرية علي سوريا والتسامح الأمريكي مع الموقف الإيراني الذي سبق الاتفاق)[١].

سقط المشروع الصهيو وهابي أو المشروع السفياني تحت وطأة ضربات المجاهدين المهدويين الذين نجزم أن أغلبهم كان يؤدون واجبهم ويضحون بأنفسهم دون أن يكون لديهم أدنى اطلاع بهذه الحقائق التي يشيب لها الولدان.

ما زال بعض الشيعة يعول على قراءته للروايات التي تبشر وتلك التي تؤشر لعلامات الظهور آملين أن (يظهر سفياني جديد) غير هذا الذي ظهر وأشبع الناس قتلا وسفكا للدماء وعاث في الأرض فسادا فأكثر فيها الفساد والخراب!!.

فات هؤلاء السادة أن (السيف أصدق أنباء من الكتب)، وأن سواعد الرجال وحدها هي من يمكنها أن تفل الحديد وهكذا تحققت النبوءة.

خلاصة

لا يمكن فصل أحداث الربيع العربي التي ألهبت المنطقة خلال الأعوام الثلاثة الماضية عن المشاريع الصهيو أمريكية الساعية لوأد البيئة الحاضنة للمهدي المنتظر وإشغالها بحرب استنزاف مذهبية يمكن لها أن تستمر مئات السنين.

حاول الغرب الاستفادة من أوراقه المخزونة وتحديدا الجماعات

---

(١) http://www.ahram.org.eg/NewsPrint/248102.aspx

الوهابية القاعدية توجيه ضربة استباقية للحراك المهدوي وقواعده المنتشرة في بلاد الشام قبل أن يقوى عود هذا الحراك ويشتد وكان عليه أن يتعظ من تجربته الفاشلة في حرب يوليو ٢٠٠٦ وكانت النتيجة هو خسارته لحربه الأخيرة وتحول موازين القوى العالمية لغير صالحه وهو تحول مرشح للتسارع خلال السنوات القادمة.

وإذا كان التحالف الثلاثي الأمريكي الصهيوني الوهابي قد خسر معركة الأرض فستبقى معركة الثقافة والوعي والفكر متصلة وممتدة ﴿ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَٰدِ وَلَٰكِن لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾[1].

(١) سورة الأنفال، الآية: ٤٢.

المهدوية والحركات الإسلامية

مقدمة لازمة

نكتب هذه السطور يوم الأحد ١٣ مارس ٢٠١١ بعد أن نعق ناعق وزعق زاعق بالإفك والباطل.

من قديم الزمان يظهر بين الفينة والأخرى دجالون مرتزقة يدعون الإمامة ولو استطاعو لادعوا النبوة ولو واتتهم الفرصة لادعوا الألوهية وطلبوا من الناس أن يخروا لهم ساجدين.

يقول الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: (ثلاثة لا ينظر اللّه إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم: من زعم أنه إمام وليس بإمام، ومن زعم في أمام حق أنه ليس بإمام وهو إمام، ومن زعم أن لهما في الإسلام نصيبا).

أحد هؤلاء الدجالين ممن ينطبق عليه الرواية السابقة هذا الذي يدعي أنه الإمام اليماني، في حين أن أئمة أهل البيت عليهم السلام وبإجماع المسلمين سنة وشيعة هم اثنا عشر لا أكثر ولا أقل آخرهم الإمام الحجة المنتظر محمد بن الحسن العسكري.

(اليماني) من الأصل ليس إماما بل هو أحد الممهدين الكبار لصاحب الأمر والزمان وهو قائد سياسي وكلمة اليماني من وجهة

نظر العلماء المحققين هو رمز أو إشارة لهذا القائد الكبير.

أن يطلع علينا أحد دجاجلة آخر الزمان زاعما أنه اليماني وهو إنسان جاهل لا يحكم من اللغة العربية جملة واحدة كما أنه نكرة مجهول يتلقى الأموال من أجهزة المخابرات لا لشيء إلآ لتخريب الساحة وإقناع بعض البسطاء بأنه إمام في حين أنه لا في العير ولا في النفير فتلك هي الطامة الكبرى.

ندعو هؤلاء البسطاء الذين جرى إقناعهم بالسير وراء هذا الدجال بمراجعة أنفسهم وضمائرهم والانشغال بما يصلح أحوال المسلمين لأن من شذ عن جماعة المؤمنين شذ إلى النار.

نص البحث الأصلي:

شكلت (الفكرة المهدوية) مكونا هاما من المكونات الفكرية للحركات الإسلامية القديمة والمعاصرة بغض النظر عن صحة الرؤية التي يعتمدها هؤلاء عن المهدوية من عدمها.

التصورات التي يتبناها البعض عن الإسلام ليست بالضرورة نابعة من الكتاب والسنة، خاصة عندما لا يعلق في أذهان الناس بمن فيهم من يعدهم البعض قادة الإصلاح من التصور الأصلي إلا خيالات أو ذرات هائمة من الحقيقة.

المهدوية عند أصحابها عقيدة قديمة قدم التاريخ الإسلامي وهي ذروة عملية من التغيير والإصلاح التكاملي الذي احتاج قرونا من الزمان وربما يحتاج قرونا إضافية، وهي عند غيرهم نزوة طارئة وشهوة زعامة تهبط على عقل صاحبها كما تهبط أمطار الصيف من سماء زرقاء صافية!!.

المهدوية عند المدعين إما أن ترتدي لبوس المهدي شخصا ودورا أو تكتفي بانتحال دور المخلص المنتظر الذي تشتاق إليه البشرية ليملأ الأرض عدلا بعد أن ملئت ظلما وجورا والذي جاء ليطبق الشريعة الإسلامية ويخلص الناس من الانحرافات العقائدية ربما ليوقعهم في المزيد منها أو ليزيد أزماتهم تعقيدا ويضيع من بين أيديهم حلولا واقعية ربما كانت لتخفف بعضا من آلامهم ريثما يظهر المخلص الحقيقي الموعود!!.

المهدوية ليست مجرد بدعة شيعية وإلا فليشرح لنا القوم معنى (الأسماء والصفات) التي يسبغونها من دون ضابط ولا رابط على بعض القادة، فهم إما مجدد للقرن أو إمام ملهم أو أعجوبة الزمان أو إمام العصر الذي من أطاعه فقد أطاع اللّه ومن عصاه فقد عصى اللّه ورسوله!!.

الحديث عن المهدوية وعلاقتها بالحركات الإسلامية المعاصرة لا ينبغي أن يقتصر على تلك الحركات التي تصدى لقيادتها من انتحلوا صفة (الإمام المهدي المنتظر) لحما ودما بل يمتد إلى غيرها من الحركات التي زعم قادتها أو زعم لهم صفات قيادية ومهام كونية جامعة من ذلك النوع الذي يختص به الإمام المهدي وهو الإمام الثاني عشر من أئمة أهل البيت.

يعرض العلامة المفكر آية اللّه مرتضى المطهري في كتابه القيم عن الحركات الإسلامية أسباب أفول الفكر الإصلاحي في العالم العربي بقوله:

لو كان هناك أفراد يمكن أن نعدهم أبطالا للحركة الإصلاحية في

العالم العربي، فإنهم لا يتعدون ثلاثة، هم من حيث الأهمية: السيد جمال الدين الأفغاني والشيخ عبده والكواكبي.

وهنا تطرح عدة أسئلة: لماذا لم تقم تلك الشخصيات التي ادعت الإصلاح في العالم العربي، بعمل متكامل وصحيح؟.

ولماذا سقطت جاذبية الحركة الإصلاحية الإسلامية من البلدان الإسلامية؟ ولماذا حصلت الحركات القومية والعربية من أمثال البعث والناصرية، أو الحركات الاشتراكية والماركسية على جاذبية الكثيرين من الشباب العربي؟.

السبب الرئيسي الذي جعل الحركة الإسلامية التي بدأها السيد جمال الدين تفقد أهميتها وحرارتها، هو تحولها إلى حركة سلفية تحصر (الرجوع إلى الإسلام الأصيل) بـ(الرجوع إلى الحنبلية) ثم تغيرت بعد ذلك الروح الثورية من النضال ضد الاستعمار والاستبداد إلى النضال ضد العقائد التي تخالف معتقدات الحنابلة. أ.هـ

إن من أعجب العجب أن تلك الحركات ذات المرجعية السلفية، حاولت وما زالت تحاول أن تقدم قادتها في صورة (أئمة مهديين) بدلا من الاكتفاء بوضعهم في إطار واقعي كأصحاب (مشروع إصلاحي) يصيب أو يخطئ ويتعثر تارة وينهض تارة أخرى.

الإخوان المسلمون مثلا يرون أن مؤسس الجماعة هو (أعجوبة هذا الزمن، ورائدا من رواد الخير والحرية والفضل.. عاش للإسلام، واستشهد في سبيل الإسلام رافعًا لرايته رافعًا لهذا الحق، مربيًا لهذه الأجيال....).

يكتب أحدهم في ذكرى مقتل مؤسس الإخوان: (في هذه الأيام تحلُّ علينا مئوية الشيخ البنا الرجل العملاق مجدد القرن العشرين بغير منازع، صاحب الفهم العميق والتصوُّر المحيط والإدراك الشامل لحقائق الإسلام وأحكامه والداعية صاحب البيان الرائع والبلاغة الآسرة واللفظ الساحر والحكمة العميقة، والتنظيم الدقيق، والصفات الكثيرة المتنوعة، التي تستحيل (لاحظ وتأمل!) أن توجد في رجل أو تُجمَع في إنسان، ومع هذا عاش الرجل يجالد الفساد في التصور، والانحراف في الفهم، ويصارع الأباطيل، عسى أن يهدي اللّهُ الضالَّ، ويصلح الفاسد، ويبصِّر الأعمى، ولكن الفساد كان عميقًا والظلام داجيًا؛ بحيث إذا أخرج الإنسان يده لم يكد يراها، والكيد إبليسيًّا وشيطانيًّا شياطين الإنس والجن يوحي بعضهم إلى بعض، ولكن الرجل صارعهم فصرعهم ونازلهم فهزمهم).

إنها مهدوية بلا مهدي وحسب كتاب الجماعة وشعرائها أن ينسبوا لزعيمها وقائدها كل أو بعض صفات الإمام المهدي فتتدفق الجموع لتعطي بيعتها لإمام (أحيا كل موات في ضمائرنا) فكان كل المسلمين (إخوانا) وكان أن أصبح الإنسان إنسانا، شئنا أم أبينا!!.

الأمر ليس كما يتصور البعض مجرد جنوح خطابي للمبالغة والتهويل بل هو جنوح نفسي للبحث عن إمام قائد مخلص يرتمي الأتباع في أحضانه فيأخذهم إلى سماوات الخيال العلا لا لشيء سوى امتلاكه هو الآخر للسان خطابي جموح يمتلك الجرأة على إطلاق التهديدات وبذل الوعود غير العقلانية بغير ضابط ولا رابط.

ولك أن تلاحظ أن الرجل أضحى (إماما) في حين أن مربط الفرس

وموضع الإنكار على الشيعة هو في اعتقادهم بالنص على إمامة أهل البيت!!

مهدوية بمهدي!!

تحدثنا سابقا كيف أن الكثير من الحركات الإسلامية كانت مهدوية بلا مهدي أي أنها تمنح قائد الحركة ومؤسسها أغلب خصائص المهدي المنتظر دون أن تمنحه اللقب بينما قام البعض بجرأة يحسد عليها بمنح (القائد) المكانة واللقب بلا تردد ولا مداراة.

تحت عنوان (كيف صار مهديا) يقول الدكتور عبد الودود شلبي[1]:

أقبل اليوم الموعود ليعلن محمد أحمد أنه المهدي المنتظر وإمام الزمان الذي تجب طاعته على كل البشر وكان هذا في غرة شعبان سنة ١٢٩٨ الموافق ٢٩ يونيو ١٨٨١ حيث جاء في بيان إعلان مهدويته (وحيث أن الأمر للّه والمهدية المنتظرة أرادها اللّه واختارها للعبد الفقير محمد بن السيد عبد اللّه فيجب التسليم والانقياد لأمر اللّه ورسوله.. وبعد هذا البيان فالمؤمن يؤمن ويصدق لأن المؤمنين هم الذين يؤمنون بالغيب ولا ينتظرون لأخبار أخر فمن انتظر بعد ذلك فقد استوجب العقوبة لأنه ﷺ قال من شك في مهديته فقد كفر باللّه ورسوله).

ثم يقول الدكتور شلبي: وماذا ينقص محمد أحمد حتى يكون مهديا؟! إنه عالم وصالح وشريف النسب، كما أنه أفرق الثنايا على خده خال وبينه وبين رسول اللّه شبه في الاسم وشبه في اليتم...

---

(١) الأصول الفكرية لحركة المهدي السوداني ودعوته، د عبد الودود شلبي دار المعارف مصر ١٩٧٩.

أدبيات المهدي السوداني

يعرض لنا الدكتور شلبي بعضا من أدبيات المهدي السوداني:

(من العبد المفتقر إلى اللّه محمد المهدي بن عبد اللّه إلى أحبابه في اللّه المؤمنين باللّه وكتابه، أما بعد: فلا يخفى تغير الزمن وترك السنن ولا يرضي ذلك ذوو الإيمان والفطن بل أحق أن يترك لذلك الأوطار والوطن لإقامة الدين والسنن.. ثم أحبابي كما أراد اللّه في أزله وقضائه تفضل على العبد الذليل بالخلافة الكبرى من اللّه ورسوله وأخبرني سيد الوجود ﷺ بأني المهدي المنتظر وخلفني عليه الصلاة والسلام بالجلوس على كرسيه مرارا بحضرة الخلفاء الأربعة والأقطاب والخضر عليه السلام وأيدني بالملائكة المقربين وبالأولياء الأحياء والميتين من لدن آدم إلى زماننا هذا وكذلك بالمؤمنين من الجن والإنس وفي ساحة الحرب يحضر معهم سيد الوجود ﷺ بذاته الكريمة وكذلك الخلفاء الأربعة والأقطاب والخضر عليه السلام وأعطاني سيف النصر من حضرته ص وأعلمت أنه لا ينصر عليّ معه أحد ولو كان الثقلين الجن والإنس. ثم اخبرني سيد الوجود بأن اللّه جعل لي علامة أخرى تخرج راية من نور وتكون معي في حالة الحرب يحملها عزرائيل عليه السلام فيثبت بها أصحابي وينزل الرعب في قلوب أعدائي فلا يلقاني أحد بعداوة إلا خذله اللّه. وحيث أن الأمر للّه والمهدية أرادها اللّه لعبده الحقير الذليل محمد المهدي بن عبد اللّه فيجب التصديق بذلك لإرادة اللّه وقد أجمع الخلف والسلف على تفويض العلم للّه فعلمه سبحانه لا يتقيد بضبط القوانين ولا بعلوم المتفننين بل يمحو اللّه ما يشاء ويثبت وعنده علم الكتاب. **هذا وقد أخبرني سيد الوجود**

بأن من شك في مهديتك فقد كفر باللّه ورسوله كررها ثلاث مرات، وجميع ما أخبرتكم به من خلافتي على المهدية فقد أخبرني به سيد الوجود يقظة في حال الصحة خاليا من الموانع الشرعية، لا بنوم ولا بجذب ولا سكر ولا جنون بل متصفا بصفات العقل، أقفو أثر رسول اللّه ص بالأمر فيما أمر به والنهي عما نهى عنه.

وإني لا أعلم بهذا الأمر حتى هجم علي من اللّه ورسوله من غير استحقاق لي بذلك، فأمره مطاع وهو يفعل ما يشاء ويختار وحكم نبيه كحكمه ولما تكاثرت منه البشائر والأوامر لي في هذا المعنى امتثلت قياما بأمر اللّه وقد كنت قبل ذلك ساعيا في إحياء الدين وتقويم السنة ولا حول ولا قوة إلا باللّه العلي العظيم.

ولما حصل يا أحبابي من اللّه ورسوله أمر الخلافة الكبرى أمرني سيد الوجود ص بالهجرة إلى «ماسة» بجبل قدير وأمرني أن أكاتب جميع المكلفين أمرا عاما فكاتبنا بذلك الأمراء ومشايخ الدين فأنكر الأشقياء وصدق الصديقون الذين لا يبالون بما لقوه في اللّه من المكروه وما فاتهم من المحبوب المشتهى بل ناظرون إلى وعده سبحانه وتعالى بقوله ﴿ تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾[1] والهجرة المذكورة بالدين واجبة كتابا وسنة، قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾[2] وقال ﷺ: من فر بدينه من أرض إلى أرض استوجب

(١) سورة القصص، الآية: ٨٣.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٢٤.

الجنة.. إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث، فإذا فهمتم ذلك فقد أمرنا جميع المكلفين بالهجرة إلينا لأجل الجهاد في سبيل اللّه وإلى أقرب بلد منكم لقوله تعالى ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلْكُفَّارِ﴾ فمن تخلف عن ذلك دخل في وعيد قوله تعالى ﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ ﴾ الآية.. وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ﴾ فإذا فهمتم ذلك فهلموا للجهاد في سبيله ولا تخافوا من أحد غير اللّه لأن الخوف من غير اللّه يعدم الإيمان باللّه والعياذ باللّه من أجل ذلك قال اللّه تعالى ﴿ فَلَا تَخْشَوُاْ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ ﴾ فمن كان مهتما بإيمانه حريصا على أمر ربه أجاب الدعوة واجتمع مع من ينصر دينه. وليكن معلومكم: أني من نسل رسول اللّه فأبي حسني من جهة أبيه وأمه وأمي كذلك من جهة أمها وأبوها عباس والعلم للّه إن لي نسبة إلى الحسين وهذه المعاني الحسان تكفي لمن أدركه اللّه بالإيمان فلا عبرة لمن يراها ولم يصدق بها.

حضرة نبوية؟!

ومن البشائر التي حصلت لنا أنه حصلت لي حضرة نبوية حضرها الفقيه عيسى فيأتي النبي ويجلس معه ويقول للأخ المذكور شيخك هو المهدي فيقول الفقيه عيسى إني مؤمن بذلك فيقول من لم يصدق بمهديته فقد كفر باللّه ورسوله قالها ثلاث مرات، ثم يقول له الأخ المذكور: يا سيدي يا رسول اللّه: الناس من العلماء يستهزئون بنا والخشية من الترك فيقول إن قوي يقينكم إن أشرتم بأدنى قشة تنقضي حوائجكم....

يتعين علينا أن نتأمل في هذا الخطاب (المهدوي) خاصة عندما يكشف لنا المهدي السوداني أنه لم يكن يطمع في هذا المنصب الرفيع فضلا عن أنه لم يكن يعرف أنه المهدي المنتظر ولا أنه صاحب الزمان لولا أن رسول اللّه ﷺ رجاه وألح عليه في القيام بهذه المهمة كما أنه لم يكن يرى نفسه أهلا لهذا المقام ولكنه اضطر للقبول بهذا المنصب!! بعد كثرة الإلحاح والرجاء خشية أن يخرب العالم ويفسد الدين لو لم يقبل القيام بهذه المهمة!! حيث يقول: (وإني لا أعلم بهذا الأمر حتى هجم علي من اللّه ورسوله من غير استحقاق لي بذلك، فأمره مطاع وهو يفعل ما يشاء ويختار وحكم نبيه كحكمه ولما تكاثرت منه البشائر والأوامر لي في هذا المعنى امتثلت قياما بأمر اللّه وقد كنت قبل ذلك ساعيا في إحياء الدين وتقويم السنة ولا حول ولا قوة إلا باللّه العلي العظيم).

ولأنه قبل إلحاح رسول اللّه ﷺ ورجائه!! صار مهديا بل وأصبح (معلوما من الدين بالضرورة) بعد أن لم يكن معلوما حتى لنفسه!.

لذا فقد أوجبت عليه الديباجة السابقة أن يعلن للدنيا بأسرها أن من شك في مهديته فقد كفر باللّه ورسوله خاصة، أن رسول اللّه أخبره بذلك شفاهة ويقظة لا نوما ولا سكرا!!

ومن ثم فلا حاجة لإقامة دليل أو برهان أو شهادة على صحة ما ادعاه هذا المهدي المزعوم من وجود اتصال مباشر بينه وبين رسول اللّه ﷺ.

مهدي وهابي!!

يقول الدكتور عبد الودود شلبي في كتابه: عندما نعود إلى البيانات والمنشورات التي أصدرها المهدي نرى مطابقة أقواله وأحكامه لهذا الفكر السلفي ومنابعه حيث يقول: (لا تستغيثوا بأحد دون اللّه ولو كان نبيا رسولا أو ملكا فجميع الأنبياء دعوا إلى وحدانية اللّه فلا تتوهموا وتنسبوا إلى رجل صالح شيئا أو تطلبوا منه شيئا فإن ما سوى اللّه يقطع النظر عن اللّه تعالى، قال تعالى ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾ وقال تعالى ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾).

ويضيف الدكتور شلبي (وفي هذا المنشور تجسيد آخر لتعاليم ابن تيميه وابن عبد الوهاب فيما يأتي: أولا: منع الاستغاثة بغير اللّه ولو كان نبيا أو ملكا، ثانيا: ألا ينسبوا أو يتوهموا أو يطلبوا من رجل صالح شيئا، ثالثا: اعتبار أي عمل من هذه الأعمال شركا، إنها نفس الآراء والأحكام التي أصدرها بن عبد الوهاب وابن تيميه وتكاد الألفاظ والعبارات أن تكون واحدة على نحو ما بينا في المقدمة).

ويذكر الدكتور شلبي أن التعايشي (خليفة المهدي) أعلن إلغاء المذاهب والطرق الصوفية حتى لا يبقى إلا الدين الخالص.

(التعايشي) والبحث عن مهدي!!

الدور الذي لعبه عبد اللّه التعايشي (خليفة المهدي) ووارث دولته بعد موته يحتاج أيضا إلى وقفة تأمل إذ أن هذا النوع من الرجال هو آفة من آفات الحركة الإصلاحية بل آفة من آفات هذا الدين فهو قد

جمع بين خصلتين من أسوأ الصفات فهو من ناحية لا يبالي بما أفسد أو خرب وهو من ناحية أخرى ممن (يَطْلُبُ اَلدُّنْيَا بِعَمَلِ اَلْآخِرَةِ وَلاَ يَطْلُبُ اَلْآخِرَةَ بِعَمَلِ اَلدُّنْيَا) كما قال الإمام علي بن أبي طالب.

كان هذا التعايشي كما يذكر الدكتور شلبي تواقا إلى النفوذ والسلطة وقد بذل والده عناية خاصة في تعليم أبنائه ولكنه وجد عناء معه إذ اشتهر بانصرافه عن علوم الدين وحفظ القرآن فكان أن انشغل بهذا النوع من المغامرات والبطولات فانضم للرزيقات في حربهم مع الزبير رحمة باشا ووقع أسيرا في يديه فأمر بقتله لولا أن تشفع فيه الفقهاء ورجال الدين فأرسل إلى الزبير باشا رحمة، أنه حلم حلما رأى فيه أنه المهدي المنتظر وأنه أي عبد اللّه التعايشي سيكون وزيره فزجره الرجل وأمره بألا يعود إلى هذا الدجل الرخيص!!.

ثم ذهب إلى الشيخ محمد شريف نور الدائم شيخ الطريقة السمانية وقال له: أنت المهدي المنتظر! أي أن الرجل كان يبحث عن مهدي منتظر ليكون مستشاره ووزيره (ووصيه ووارثه من بعده!!) وقد رفض الشيخ محمد شريف هذه اللعبة ثم قال له: إن كنت تبحث عمن يقول ذلك فعليك بتلميذي السابق محمد أحمد الذي كان في ذلك الوقت يقيم قبة على قبر شيخه القرشي وكان الشيخ القرشي قد أعلن أن من يختن أولاده ويبني قبة على ضريحه سيكون هو المهدي وبينما هو على هذا الحال إذ وفد عليه التعايشي وخر ساجدا بين قدميه يتمرغ ويبكي وحين سأله محمد أحمد عن سبب ذلك قال: كان لي أب صالح من أهل الكشف وقد أخبرني قبل وفاتي أنني سأقابل المهدي وأكون وزيره فلما حضرت إليك رأيت فيك العلامات التي أخبرني

بها والدي فابتهج قلبي لرؤية مهدي اللّه وخليفة رسوله.

ثم يقول الدكتور شلبي: لقد كان التعايشي هو الذي دفع محمد أحمد للمسارعة بإعلان دعوته ولو تأخر عشر سنوات (في إبلاغه بهذا الكشف الهام والخطير!!) لتأخرت الدعوة عشر سنوات وقد حفظ محمد أحمد للتعايشي هذه اليد وجعله الوارث لدعوته وخلافته من بعده وهدد كل من يتناول أعماله وتصرفاته بالنقد (لأن جميع أعماله وأحكامه محمولة على الصواب ولأنه أوتي الحكمة وفصل الخطاب ولو كان حكمه على قتل نفس منكم أو سلب أموالكم ومن تكلم في حقه ولو بالكلام النفسي فقد خسر الدنيا والآخرة ويخشى عليه من الموت على سوء الخاتمة...).

انتهى الأمر بمهدي السودان المزعوم كما هو معلوم ولسنا في حاجة لسرد واستقصاء وقائع وأحداث التاريخ فهاهم أحفاده الآن في السودان يتحدثون عن الديموقراطية والليبرالية ولم يبق من ذكريات هذا المزعوم إلا بعض الألقاب والذكريات.

خلفاء المهدي

قام مهدي السودان بتعيين (خلفاء) ولكنهم ليسوا خلفاء له، بل كانوا خلفاء قادة الحكم الإسلامي الأوائل فالمهدي هو خليفة رسول اللّه أما عبد اللّه بن محمد (التعايشي) فكان خليفة أبي بكر أو (خليفة الصديق)، أما علي محمد حلو فكان (خليفة عمر بن الخطاب) ومنح قريب المهدي محمد شريف بن حامد منصب (خليفة علي) نسيب النبي وابن عمه (خليفة الكرار) وبقي مكان واحد ظل شاغرا هو

منصب (الخليفة الثالث عثمان بن عفان)، وبعد أن استولى المهدي على الأبيض دعا محمد بن المهدي بن السنوسي زعيم الطائفة السنوسية في جغبوب لقبول منصب الخليفة الثالث ولكنه لم يتسلم ردا على خطابه ولم يتم ملء ذلك المنصب (فظل شاغرا إلى الآن!!).

أما كيف ملأ (المهدي) هذه المناصب فيحكي «هولت» نقلا عن محمد أحمد (ثم حصلت حضرة عظيمة عين فيها النبي ﷺ خلفاء أصحابه من أصحابي فأجلس أحد أصحابي على كرسي أبي بكر الصديق وأحدهم على كرسي عمر وأوقف بكرسي عثمان وقال هذا الكرسي لابن السنوسي إلى أن يأتيكم بقرب أو طول وأجلس أحد أصحابي على كرسي علي بن أبي طالب رضوان اللّه عليهم أجمعين وما زالت روحانيتك معنا في بعض الحضرات مع بضع أصحابي الذين هم خلفاء رسول اللّه ﷺ)[1].

إنها نفس الشعارات التي رفعتها وما زالت ترفعها أغلب الحركات الإسلامية عن مقاومة الظلم والفساد ومحاربة الشرك وانحراف العقيدة الذي ملأ أطباق السماوات والأرض فضلا عن تعطيل الحكم بما أنزل اللّه من دون أن يحاول أي من هؤلاء أن يحدد لنا متى ظهر هذا الفساد أو متى انتهى العمل بأحكام الشريعة الإسلامية ناهيك عن استبدال ظلم بظلم وقتلة ومصاصي دماء بقتلة آخرين ومصاصي دماء آخرين وكل ما هنالك أن الظلم الجديد يحمل راية الإسلام والتجديد أو راية المهدي السوداني أو خليفته التعايشي!!.

---

(١) ب. م. هولت دولة المهدي في السودان عهد الخليفة عبد اللّه. دار الجيل بيروت ط فبراير ١٩٨٢.

المهدي المنتظر: حدث داخل السياق

لسنا في وارد عرض الأدلة والبراهين المتعلقة بإثبات حقيقة المهدي المنتظر فهو شخص معلوم لأنصاره ومنتظريه والأمر يتعلق بمنهجية أهل البيت عليهم السلام التي هي امتداد للمنهج الإسلامي الذي جاء به رسولنا الأكرم محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

الأهم من هذا أن ظهور المهدي هو حدث كوني كبير يجري داخل سياق منهجي وتاريخي وفي إطار صراع طويل وممتد بين النهج الرسالي ونهج الانحراف عن جادة الصراط.

فالظلم باسم الإسلام لم يبدأ عشية الاحتلال التركي أو المصري للسودان ولا عشية سقوط الخلافة العثمانية ولكنه بدأ منذ الانحراف الأموي وكان كل ما جرى من ظلم بعد ذلك فرعا على هذا الظلم الأصلي.

من هذه الناحية لن يكون ظهور المهدي ليجتث الظلم من أصله لا من فرعه مفاجأة للمسلمين الواعين من حيث طبيعة الصراع، ربما باستثناء التوقيت.

لن يكون ولا يمكن أن يكون هناك مهدي حنبلي ولا مهدي يعمل برأي من عنده إذ كيف يكون المهدي تابعا لغيره؟!.

المهدي إمام من أئمة أهل البيت يأتمر بأمر الله ويعمل بوصية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

المهدي الحقيقي (يَعْطِفُ الْهَوَى عَلَى الْهُدَى وَيَعْطِفُ الرَّأْيَ عَلَى الْقُرْآنِ) ومن ثم فمواقفه وأحكامه تأتي مطابقة لأمهات الأحكام

القرآنية الجامعة لكل خير والمانعة لكل شر أما المزيفون فيستخرجون من كتاب اللّه ومن سنة سيد الهدى محمد صلى اللّه عليه ما يبررون به أهواءهم للناس ولو لم يجدوا من النصوص الشرعية الثابتة ما يروجون به بضاعتهم لجئوا إلى الادعاء بوجود الإلهام والرؤى النبوية المكذوبة والكرامات المزيفة ومخاطبة الخضر لهم ومحاضر اجتماعات الأقطاب ولو لم يقدروا على شيء من هذا لجئوا إلى أبواقهم الدعائية المزيفة كهذا التعايشي الذي عاش يبحث عن مهدي يكون وزيره ومستشاره وخليفته من بعده.

المهدوية الحقيقية مبدأها رسول اللّه صلى وهي متصلة به ومن ثم فهي واصلة باللّه عز وجل وهي الحبل والسَّبَبُ المُتَّصِلُ بَيْنَ الأَرْضِ وَالسَّماء.

دعاء الندبة

يعطينا دعاء الندبة وهو المناجاة التي يبثها الشيعة المتألمون لغيبة إمامهم، المنتظرون لظهور أمره وقيادته المباشرة لمسيرة جهادهم من أجل إعلاء كلمة اللّه، تصورا شاملا عن رؤيتهم للصراع الدائر بين الحق والباطل، بين العدالة والظلم، تصورا منهجيا واضحا لطبيعة الصراع وجذور الظلم الحقيقية التي يتعين التصدي لها ومعالجتها بدلا من الاكتفاء بمواجهة الآثار والنتائج التي تستفز أصحاب الرؤى القاصرة فيستفرغون جهدهم وجهد أتباعهم في مواجهتها حتى ولو رفعت هذه المواجهة شعار المهدوية الكاملة أو تلك الناقصة فتكون النتيجة دوما هي الفشل مهما حققت هذه الحركات من نجاحات وانتصارات أولية على خصومها.

لسنا بحاجة إلى سرد كامل الدعاء وسنقتصر على ما يفيدنا في بيان أن التصور الأصلي للمهدوية هو سياق متكامل يقوم على قاعدة المبتدأ والخبر.

هذه هي المهدوية الحقيقية التي يعرفها المؤمنون بها ويعملون في إطارها ويمهدون من خلالها لظهور خليفة رسول اللّه الحقيقي والأئمة من بعده، صالِحٌ بَعْدَ صالِحٍ وَصادِقٌ بَعْدَ صادِقٍ! فهم السَّبِيلُ بَعْدَ السَّبِيلِ والخِيَرَةُ بَعْدَ الخِيَرَةِ وهم الشُّمُوسُ الطَّالِعَةُ والأَقْمارُ المُنِيرَةُ والأَنْجُمُ الزّاهِرَةُ وهم أَعْلامُ الدِّينِ وَقَواعِدُ العِلْمِ وهم الأئمة الذين يهدون بأمرنا فاستحقوا بذلك لقب المهدي المنتظر الذي يملأ الأرض عدلا بعدما ملئت ظلما وجورا.

المهدوية هي حدث داخل السياق وليست خارجه وهي ليست انقلابا عسكريا ولا عملا تآمريا لأنها تمثل امتدادا لرسالة الإسلام وتصحيحا لمسار الأمة الإسلامية وتصويبا لما اختلف فيه من مفاهيم وقيم العدالة والحرية والحكومة الصالحة.

إنها أيضا ليست مشروعا إيرانيا تهدف من خلاله إيران الفارسية للهيمنة على العرب والمسلمين كما يتوهم البعض بل هي مشروع حضاري إسلامي جامع لا يجعل لعربي على عجمي ولا لأبيض على أسود فضل إلا بالتقوى والتنافس في العمل الصالح والتضحية من أجل مجموع الأمة وليس لصالح فئة دون الأخرى.

من الضروري أيضا أن نوضح أن تصحيح المفاهيم المتعلقة بالمهدوية يقطع السبيل على منتحلي الصفة الذين عانت منهم أمتنا مرارا وتكرارا ممن تحدثنا عن نماذج منهم سابقا وتفتح الباب أمام

الإصلاح السياسي والأخلاقي والحضاري والاقتصادي في أرض الواقع بعيدا عن أحلام وأوهام أدعياء المهدية الذين وعدونا من قبل بالمن والسلوى وسماء تمطر عسلا وذهبا وفضة فإذا بها تهطل علينا وعليهم أحكاما عرفية ومحاكم عسكرية!!.

ورحم اللّه امرئ عرف قدر نفسه!!.

بين الوهابية والمهدوية

قبل أكثر من قرنين من الزمان ظهر التيار الوهابي وقدم نفسه كتيار إصلاحي يزعم أنه يسعى لتصحيح ما علق بالدين من بدع وخرافات أعادت المسلمين إلى حظيرة الشرك والوثنية التي خرجوا منها عندما دخلوا في عقيدة التوحيد.

للوهلة الأولى يبدو أن المسألة تندرج في إطار الجدل الفكري وأن الحجة لا تقارع إلا بالحجة إلا أن المتابع لسياق الأحداث التي تلت الظهور الوهابي وأوصلتنا إلى الواقع الراهن كشفت عن نقاط ضعف كبرى في البنية الأساسية للأمة الإسلامية وأن شتى صنوف الترميم والإصلاح الجزئي غير قادرة على إخراج الأمة من الحفرة التي وقعت فيها وأن السبيل الوحيد للخلاص من هذا المأزق هو الإصلاح الشامل ولا شيء سوى الإصلاح الشامل.

بغض النظر عما ينسب إلى هذا التيار من تهم تتعلق بارتباطه بدوائر الاستخبارات العالمية وأنه جزء من مؤامرة شاملة على العالم الإسلامي إلا أن الضرورة تملي على الباحث تأمل الأوضاع التي منحت هذا التيار ولا زالت تمنحه حتى هذه اللحظة فرصة الانتشار والتمدد.

في مذكراته الشهيرة يصف المستر همفر أوضاع الشيعة في القرن

الثامن عشر والتي أسهمت في تقديم المشروع الوهابي للمسلمين باعتباره الطريق الوحيد للخلاص.

يقول همفر:

ذهبت إلى النجف في زي تاجر من (أذربيجان)، والتقيت برجال الدين وأخذت أحضر مجالسهم وأعجبت بهم أيما إعجاب لصفاء روحهم وغزارة علمهم وشدة تقواهم لكني وجدتهم قد مر عليهم الزمن ولا يفكرون في تجديد أمرهم.

فقد كانوا على شدة عدائهم للسلطة في تركيا (لا لأنهم شيعة وهي سنية) بل لضغط السلطة على حرياتهم ضغطا كبيرا لا يفكرون في منازلتها وفي التخلص منها، كما أنهم كانوا قد حصروا أنفسهم في علوم الدين مثل قساوستنا في عصر الجمود، وقد تركوا علوم الدنيا إلا بمقدار قليل.

كذلك وجدتهم لا يفكرون في ما يجرى حولهم في العالم.

قلت في نفسي مساكين هؤلاء، فإنهم في سبات عميق حيث الدنيا في يقظة، وسيأتي يوم يجرفهم السيل، وقد حاولت مرار استنهاضهم لمحاربة الخلافة فلم أجد فيهم أذنا صاغية. كان بعضهم يسخر مني وكأني أقول له أهدم الكون، فقد كانوا ينظرون إلى الخلافة كأنها مارد لا يمكن أن يهزم إلا إذا ظهر (ولي الأمر). وولي الأمر عندهم هو إمامهم الثاني عشر من ذرية الرسول، غاب عن الابصار عام ٢٥٥ هجرى، أي بعد ظهور رسولهم بـ(٢٥٥) سنة، وهو حي إلى اليوم ثم يظهر ليملأ الأرض عدلا بعد أن مليء جورا. وإني أتعجب كيف يعتقد أناس أفاضل بهذه العقيدة الخرافية. إنها مثل عقيدة الخرافيين

من المسيحيين بأنه سيعود المسيح من عليائه ليملأ الدنيا عدلا.

قلت لأحدهم: أليس الواجب أن تغيروا الظلم كما غير رسول الإسلام؟

قال: الرسول كان يسنده الله ولذا تمكن.

قلت: في القرآن الحكيم ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ﴾ فأنتم أيضا يسندكم اللّه إن قمتم بالسيف في وجه طغيان الخليفة.

قال: أنت تاجر وهذه المواضيع علمية يقصر فهمك عن ملاحقتها.

راجعت الوزارة لأخذ الأوامر بشأن المستقبل، وكان باستقبالي السكرتير بطلعته الوسيمة، وقال لي لقد أمرني الوزير شخصيا كما خولتني اللجنة الخاصة بشؤون المستعمرات أن أطلعك على سرين هامين جدا، وذلك لكي تستفيد منهما في المستقبل، ولا يطلع على هذين السرين إلا قلائل من الذين يعتمد عليهم. ثم أخذ بيدي وأدخلني إحدى غرف الوزارة، ورأيت فيها عجبا، فهناك مائدة مستديرة حولها عشرة رجال (أحدهم) في زى السلطان العثماني وهو يتكلم التركية والانجليزية، (والثاني) في زي شيخ الإسلام في الاستانة، (والثالث) في زي الملك الفارسي (والرابع) في زى عالم البلاط الشيعي (والخامس) في زي عالم التقليد للشيعة في النجف. وهؤلاء يتكلمون باللغتين الفارسية والإنكليزية. وعند كل واحد من هؤلاء الخمسة كاتب من الكتاب يكتب مايقول، كما أنه هو بنفسه الطريق إلى أحد الخمسة حيث يزوده بالمعلومات التي تجمعها العملاء حول هؤلاء الخمسة من الأستانة وفارس والنجف.

قال السكرتير: إن هؤلاء الخمسة يماثلون الأصليين، صنعناهم على أمثلتهم لنرى كيف يفكر هؤلاء ولذا فإننا نزودهم بالمعلومات التي تصلنا من الاستانة وطهران والنجف، وهؤلاء يجعلون أنفسهم بمنزلة الخمسة الأصليين ثم يجيبوننا عن كل ما نسألهم. وقد لاحظنا أن نتائج تفكير هؤلاء الخمسة تطابق سبعين في المئة تفكير أولئك الأصليين. وقال السكرتير: إن شئت جرّب الأمر فإنك قابلت عالم النجف.

قلت حسنا حيث كنت قد سألت بعض المسائل عن مرجع التقليد في النجف. تقدمت إلى البدل وقلت له: مولانا هل يجوز لنا نحن الشيعة أن نحارب الحكومة لأنها حكومة سنية شديدة التعصب؟.

تروى البدل قليلا وقال: لا يجوز لنا محاربتهم لأنهم سنة فإن المسلمين أخوة، ولكن يجوز لنا محاربتهم لأنهم يضطهدون الأمة، وذلك من باب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، حتى يرفعوا أيديهم عن إضطهادنا، وحينذاك نتركهم وشأنهم.

قلت له: مولانا أليست النظافة من الإيمان؟ فلماذا رأيت قذارة الصحن الشريف والشوارع والأزقة؟ حتى أني رأيت القذارة في المدارس العلمية أيضا.

قال: النظافة لا شك أنها من الإيمان، ولكن ماذا نصنع بقلة المياه وعدم اهتمام الحكومة بالنظافة؟.

كانت المفاجأة في أجوبة البدل أنها كلها كانت مطابقة لأجوبة العالم المرجع في النجف بدون زيادة او نقيصة، لكن كانت إضافة جملة (وعدم إهتمام الحكومة بالنظافة) في الجواب الثالث زيادة من

البدل، حيث لم يذكرها الأصيل، وقد دهشتُ أيما دهشة لهذا البديل المطابق للأصل، فقد أجابني المرجع في النجف حيث سألته عن هذه الأسئلة بنفس هذه الاجوبة، وكان البدل يتكلم باللغة الفارسية كما كان المرجع في النجف يتكلم باللغة الفارسية أيضا.

سيأتي يوم يجرفهم السيل!!

لن نخوض فيما كان يتعين على الأقدمين أو ما يتعين على المعاصرين فعله لكسر حالة الركود التي يعاني منها الجمهور الشيعي الذي عانى وما زال يعاني من الظلم والقهر والاضطهاد والشيء المؤكد أنه كان هناك ما يمكن فعله مثل تنظيف المراقد الطاهرة لأئمة أهل البيت عليهم السلام والاهتمام بتعليم وتثقيف أبناء الشيعة ومتابعة ما يجري في العالم من أحداث وتطورات علمية لم يبذل البعض جهدا كافيا في ملاحقتها اعتمادا على عقيدة الانتظار السلبي للمهدي المنتظر عجل اللّه تعالى فرجه وجعلنا من أنصاره وجنده.

لا بد أن تستوقفنا أيضا نبوءة همفر إزاء مستقبل الشيعة التي تحققت بعد ذلك (وسيأتي يوم يجرفهم السيل)!!.

لماذا؟!.

في الوقت الذي كانت بريطانيا العظمى تخطط لعالم إسلامي يتصدره التيار الوهابي كما هو الحال الآن كان مراجع الشيعة غير منتبهين للخطط والمؤامرات التي تحاك لهم مكتفين ببعض الثوابت مثل إيمانهم بالوحدة الإسلامية وعدم رغبتهم في الخروج على الدولة العثمانية التي سامتهم الخسف والهوان وقد تجلى هذا واضحا في

ترحيبهم بالأسرة الهاشمية التي حكمت العراق بعد ذلك بمباركتهم استمرارا في اعتماد نظرية (نصف العمى ولا العمى كله)!!.

كان هناك خلل جسيم وربما ما زال هناك خلل ولأننا لا نقدم قراءة نقدية للحالة الشيعية فسنتوقف عند هذه النقطة.

قاد هذا الخلل ومعه الثغرات الأخرى التي عانت منها بقية مكونات العالم الإسلامي إلى الحالة الراهنة التي نعيشها الآن.

مثال ذلك: الخلل والضعف الذي تعاني منه التيارات الصوفية وانحسار نفوذها لصالح التيار الوهابي رغم أن البعض يراهن عليها من أجل تصحيح المسار الانتحاري الذي تقود الوهابية المسلمين باتجاهه.

يتحدثون الآن عن نظرية الفوضى الخلاقة رغم أن هذه النظرية لم تظهر مع بداية القرن الحادي والعشرين بل كان الظهور الوهابي في بدايات القرن الثامن عشر واحدا من التجليات المبكرة لهذه النظرية.

الفوضى الخلاقة أو غير الخلاقة يقابلها المهدوية التي ينتظم من خلالها العالم الإسلامي تحت قيادة واحدة لا يمكن لها بحكم العقل والمنطق أن تدير تفاصيل الحياة اليومية للعالم الإسلامي بل تضع الخطوط العامة لإدارة هذه الكتل السياسية والاجتماعية الهائلة وتضمن توجهها نحو أهداف رفيعة وسامية عكس التيار الوهابي في تجلياته المختلفة (حركات، أحزاب، جماعات) تنشر وتعمم القتل والخراب ولا تكترث بإعادة بناء العالم الإسلامي أو محاولة رص صفوفه ولملمة ما بعثرته المؤامرات والفساد والأهواء.

الآن يصر البعض على رفع شعارات الوحدة الإسلامية والتقريب بين المذاهب الإسلامية وتطبيقها بنفس الطرق التقليدية التي أثبتت عدم نجاعتها في السابق وكشفت عن ثغرات قاتلة أوصلت العالم الإسلامي كله والشيعة في المقدمة إلى الأوضاع الراهنة.

يراهن البعض على التحالف مع قوى التعقل والاعتدال في العالم الإسلامي في حين أثبتت هذه القوى عجزها عن الدفاع حتى عن نفسها في مواجهة قوى التطرف والإرهاب وبالتالي فالأمر كله لا يعدو كونه صفقة خاسرة.

لا يعني كلامنا هذا التخلي عن تلك المبادئ بل يعني تثبيت الأهداف وتغيير الوسائل في مواجهة واقع أكثر تغيرا.

حروب الجغرافيا السياسية

قبل خمس سنوات من الآن ذهب النظام الصدامي غير مأسوف عليه وفور سقوطه بدأت سلسلة من الحروب المتزامنة المترابطة حتى وإن بدا للمراقب السطحي غير ذلك.

في العراق الجريح تدور حربان:

الأولى بين القاعدة الوهابية من ناحية وشيعة العراق من ناحية أخرى.

والثانية بين (المقاومة العراقية) من ناحية والمحتل الأمريكي من ناحية أخرى.

النظرية التي أملت على المرجعيات الشيعية في السابق التزام

الصبر إزاء مظالم الدولة العثمانية ربما كانت السبب وراء تعجل بعض التيارات الشيعية بدء المقاومة ضد الاحتلال الأمريكي ظنا من هؤلاء أن هذا سيخفف من حملة التشهير التي يشنها بعض العرب عليهم والتي تتهمهم بالعمالة والتواطؤ مع الاحتلال.

لا أعتقد أن عاقلا يمكن له أن يصدق أن الجرائم التي ارتكبها تنظيم القاعدة الإرهابي ضد شيعة العراق خاصة جريمة نسف ضريحي الهادي والعسكري قد جرت من دون دعم ومباركة النظام العربي العنصري المعادي للشيعة والتشيع حتى الثمالة أو أن هذا النظام هو نظام تحرري معاد للهيمنة الأمريكية على العالم الإسلامي.

النظام العربي الذي يمارس التشهير ضد شيعة العراق متهما إياهم بالعمالة والتواطؤ مع الولايات المتحدة هو نفسه الذي يتحالف مع أمريكا لمحاصرة المقاومة الإسلامية اللبنانية والقضاء عليها رغم عدائها الذي لا يلين لإسرائيل ورغم تناقضها الحاد مع السياسة الأمريكية في المنطقة.

ورغم التناقض الواضح بين الحجة التي يدلي بها العرب ضد شيعة العراق وتلك التي يدلون بها ضد شيعة لبنان فالخط الاستراتيجي واحد في الحالتين وهو إقصاء الشيعة ومنع ما يسمونه بالهلال الشيعي من الاكتمال والتحول إلى بدر يضيئ سماء المنطقة والعالم بأسره.

كما أنه لا يمكن تفسير حملة الإبادة الجماعية التي يتعرض لها شيعة العراق بمجرد (التعاون مع الاحتلال) وإلا لتعرضت الشعوب التي جاء قادتها بالجيوش الأمريكية من أجل إخراج صدام حسين من

الكويت والتي تستضيف القواعد العسكرية الأمريكية على أرضها لحملة مشابهة.

ينطبق الأمر نفسه على عملية نسف ضريحي الإمامين الهادي والعسكري!!.

الدافع الأهم من وجهة نظرنا هو اقتلاع أهم معالم الوجود الشيعي من هذه البلدان وهو هدف يندرج في إطار تغيير أسس الجغرافيا السياسية للعراق وللمنطقة بأسرها.

يجري هذا في حين ما زال البعض يسعى للحصول على شهادة حسن سير وسلوك من هذا النظام المتعفن أخلاقيا وسياسيا.

الذين حاربوا الشيعة والتشيع لأهل البيت عليهم السلام طوال هذا التاريخ لم يقصروا حربهم يوما على حروب الأفكار والعقيدة بل كانوا دوما يرفقونها بعمليات الإزالة والتدمير والمحو لكي لا يبقى للشيعة أثر على الأرض يقول: كان هنا شيعة يوم ما!!.

هذا ما فعله يوسف بن أيوب التكريتي الذي محا كل معالم الحضارة الفاطمية بدءا من المكتبة ومراكز الأبحاث وما فعله المنصور العباسي حينما أمر بهدم بيوت واقتلاع نخيل كل من ساند محمد بن عبد اللّه بن الحسن (النفس الزكية) وهو ما نفس فعله الوهابيون أحفاد الشجرة الخبيثة الملعونة في القرآن عندما نسفوا ضريح العسكريين عليهما السلام.

أليست هذه هي حروب الجغرافيا السياسية؟!.

الأزمة الراهنة التي يعيشها العالم الإسلامي والتي تتجلى في عمليات الحشد والتهييج ضد ما يسمى بالخطر الإيراني الشيعي

تكشف عن أزمة أعمق بدأت مع سقوط الخلافة العثمانية وحالة الفراغ السياسي والنفسي التي أعقبتها رغم أن نجوم التحشيد المعادي للشيعة (وهابيون وبعض القوميين) لعبوا دورا هاما في إنهاء الخلافة التركية السُنية التي شكلت مظلة حمت وجودهم العقائدي من الضياع لعدة قرون.

الآن يخشى القوم على أنفسهم من الضياع النهائي مع تصاعد القوة الإيرانية ومن ثم فهم يرون أنفسهم بين خيارين: إما الرضوخ لهذه القوة المتصاعدة أو الاستعانة بالحليف الأمريكي الذي يأتي دوما ومعه الإسرائيلي.

هل تفلح هذه الخطط والمؤامرات في تأخير الأجل المحتوم؟!.

لا أظن..

لنقرأ ما قالته وزيرة الخارجية الأمريكية السابقة مادلين أولبرايت عن واحدة من تلك المغامرات غير المحسوبة: في ١٩٨٢ هاجمت إسرائيل لبنان لطرد منظمة التحرير الفلسطينية وإقامة حكومة في بيروت توقّع معها معاهدة سلام، وتصبح - وفقاً لتعبير شارون - «جزءاً من العالم الحرّ». ولهذه الغاية تحالفت اسرائيل مع ميليشيا مسيحية نظمها مؤسسها على غرار شبيبة هتلر النازية. كان الغزو وحشياً، فقتل آلاف من المدنيين اللبنانيين وجرح عشرات الآلاف أو أجبروا على النزوح. وبعد فترة من القتال الشديد، نجحت إسرائيل في إخراج قيادة منظمة التحرير لكنّها فشلت في تحويل السياسة اللبنانية التي أصبحت أشدّ تعقيداً ما دفع إلى نشر قوات متعدّدة الجنسية تضمّ قوات أميركية. وفي إحدى المراحل، فوّض الرئيس

ريغان السفن الحربية الأميركية قصف مواقع المسلمين دعماً للجيش الوطني اللبناني العاجز. وأظهرت وسائل الإعلام في العالم العربي قذائف كتب عليها «صنع في أميركا» تقتل المسلمين، لمصلحة الحكومة المسيحية المتحالفة مع إسرائيل الغازية. وفي مراحل لاحقة، تولّى الجنود الإسرائيليون الحراسة فيما تسلّلت ميليشيا مسيحية إلى مخيّمين للاجئين في بيروت وارتكبت مجزرة في حقّ المدنيين الفلسطينيين واللبنانيين.

وكإثبات آخر على أنّ النوايا نادراً ما تتوافق مع النتائج في الشرق الأوسط استحدث الإسرائيليون عدوّاً جديداً دونما حاجة على حدودهم الشمالية. لم يكن اللبنانيون الشيعة، الذين لم يكونوا على وفاق مع منظمة التحرير عموماً، الهدف المقصود للغزو الإسرائيلي. مع ذلك، أصبحوا ضحية العنف لأنّهم يعيشون في مسار الغزو ويفتقرون إلى الموارد اللازمة للفرار. وتفجّر الغضب الشيعي في حركة سياسية فتية، «حزب اللّه»، أنشأت ميليشيا لمقاومة الاحتلال الإسرائيلي اللاحق. كان «حزب اللّه» مخلصاً ومنضبطاً، وذا روابط وثيقة بأتباع طائفته في إيران، فنظّم صفوفه لتقديم الخدمات الاجتماعية **ومنح صوتاً للشيعة الذين كانوا عالقين منذ مدة طويلة في أسفل درجات السياسة والمجتمع اللبناني**. وعندما انسحبت القوات الإسرائيلية طوعا (؟!) عام ٢٠٠٠، ادّعى الحزب الفضل في إجبارها على الخروج[١].

لم يكن أحد يأبه للشيعة العالقين في أسفل درجات السياسة والمجتمع اللبناني!!!.

---

(١) http://www.daralhayat.com/special/story.html

شكرا أولبرايت على هذه الصراحة التي لا نجد مثلها في أعلى مراتب سلم النفاق المسمى بالنظام السياسي العربي!!.

ابن تيميه ومجزرة كسروان

قبل أكثر من سبعمائة عام شن العبيد المماليك بمباركة ودعم ابن تيميه واحدة من حملات الإبادة والتدمير الجماعي على الشيعة في كسروان وعليك أن تلاحظ منهجية تدمير المكان بعد تدمير الإنسان وهو نفس المنهج الذي اتبعه الوهابيون وحلفاؤهم السعوديون إزاء الأماكن المقدسة في مكة والمدينة.

يذكر المقريزي في كتاب السلوك ما يلي: وفي سنة ٧٠٤ هـ: توجه شيخ الإسلام تقي الدين **أحمد بن تيمية** في ذي الحجة من دمشق ومعه الأمير بهاء الدين قراقوش المنصوري إلى أهل جبل كسروان يدعوهم إلى الطاعة فلم يجيبوا. فجمعت العساكر لقتالهم. وفي المحرم ٧٠٥هـ: سار الأمير جمال الدين أقوش الأفرم نائب الشام من دمشق في عساكرها لقتال أهل جبال كسروان ونادى بالمدينة: من تأخر من الأجناد والرجالة شنق. فاجتمع له نحو خمسين ألف راجل وزحف بهم لمهاجمة أهل تلك الجبال ونازلهم وخرب ضياعهم وقطع كرومهم ومزقهم بعدما قاتلهم أحد عشر يوماً وملك الجبل عنوة ووضع فيهم السيف وأسر ستمائة رجل وغنمت العساكر منهم مالاً عظيماً وعاد إلى دمشق في رابع عشر صفر[1].

---

(١) السلوك في أخبار الدول والملوك ج٢ المقريزي.
http://www.al-eman.com/Islamlib/viewchp.asp

أما عن مبررات شيخ الإرهاب (الذي يصر البعض على وصفه برمز التسامح) التي دعته للتحريض على شن حملة إبادة طائفية فيمكن التعرف إليه من خلال الرسالة التي أرسلها لسيده المملوك (الناصر قلاوون) والتي قال فيها:

أما بعد، فقد صدق اللّه وعده ونصر عبده وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده، وأنعم اللّه على السلطان وعلى المؤمنين في دولته نعما لم تعهد في القرون الخالية، وجدد الإسلام في أيامه تجديدا بانت فضيلته على الدول الماضية، وتحقق في ولايته ما كان يقصده أكابر الأئمة العادلين، من جهاد أعداء اللّه المارقين من الدين، وهم صنفان: أهل الفجور والطغيان، وذوو الغيّ والعدوان، الخارجون عن شرائع الإيمان، طلبا للعلو في الإحن والفساد، وتركا لسبيل الهدى والرشاد، وهؤلاء هم التتار ونحوهم من كل خارج عن شرائع الإسلام. وان تمسك بالشهادتين.

والصنف الثاني: أهل البدع المارقون، وذوو الضلال المنافقون الخارجون عن السنة والجماعة، المفارقون للشرعة والطاعة، مثل هؤلاء الذين غزوا بأمر السلطان من أهل الجبيل والجرد وكسروان. فإن ما منّ اللّه به من الفتح والنصر على هؤلاء الطغام، هو من عظائم الأمور التي أنعم اللّه بها على السلطان وأهل الإسلام. وذلك لأن هؤلاء وجنسهم من أكابر المفسدين، في أمر الدنيا والدين، فإن اعتقادهم أن أبا بكر وعمر وعثمان، وأهل بدر وبيعة الرضوان، وجمهور المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان. وأئمة الإسلام وعلماءهم أهل المذاهب الأربعة وغيرهم. ومشايخ الإسلام

وعبادهم، وملوك الإسلام وأجنادهم، وعوام المسلمين وأفرادهم كل هؤلاء عندهم كفار مرتدون أكفر من اليهود والنصارى لأنهم مرتدون عندهم والمرتد شرّ من الكافر الأصلي، لأن عندهم أن كل من لم يوافقهم على ضلالهم فهو مرتد ومن استحل الفقاع فهو عندهم كافر. ومن مسح الخفين فهو عندهم كافر. ومن حرم المتعة فهو عندهم كافر. ومن أحب أبا بكر أو عمر أو عثمان أو ترضى عنهم أو عن جماهير الصحابة فهو كافر. ومن لم يؤمن بمنتظرهم فهو كافر. بل عندهم من قال: «اللّه يرى في الآخرة» فهو كافر. ومن قال: «أن اللّه تكلم بالقرآن حقيقة» فهو كافر ومن قال «أن اللّه فوق السماوات» فهو كافر ومن آمن بالقضاء والقدر وقال: «أن اللّه يهدي من يشاء ويضل من يشاء وأن اللّه يقلب قلوب عباده. وأن اللّه خالق كل شيء» فهو عندهم كافر. وعندهم أن من آمن بحقيقة أسماء اللّه وصفاته التي أخبر اللّه بها في كتابه، وعلى لسان رسوله، فهو عندهم كافر. وهذا هو المذهب الذي تلقنه لهم أئمتهم مثل «بني العود» فإنهم شيوخ أهل هذا الجبل. وقد حصل بأيدي المسلمين عدة من كتبهم تصنيف «ابن العود» وغيره. وفيها هذا وأعظم منه. وهم اعترفوا لنا بأنهم الذين علموهم وأمروهم. لكنهم مع هذا يظهرون التقية والنفاق، ويتقربون ببذل الأموال إلى من يقبلهم منهم، وهكذا كان عادة هؤلاء الجبلية، فإنما أقاموا بجبلهم لما كانوا يظهرونه من النفاق.

فأعان اللّه ويسر بحسن نية السلطان، وهمته في إقامة شرائع الإسلام، وعنايته وجهاده المارقين أن غزوا غزوة شرعية كما أمر اللّه ورسوله بعد أن كشفت أموالهم، وأزيلت شبهتهم، وبذل لهم من العدل والإنصاف ما لم يكونوا يطمعون به. ولم نجد في جبلهم

مصحفا، ولا فيهم قارئ للقرآن وإنما عندهم عقايدهم التي خالفوا فيها الكتاب والسنة، واستحلوا بها دماء المسلمين فإذا كان علي ابن أبي طالب قد أباح لعسكره أن ينهبوا ما في عسكر الخوارج مع أنه قتلهم جميعا، كان هؤلاء أحق بأخذ أموالهم، وليس هؤلاء بمنزلة المتأولين الذين نادى فيهم علي بن أبي طالب يوم الجمل أنه لا يقتل مدبرهم، ولا يجهز على جريحهم، ولا يغنم لهم مال، ولا يسبي لهم ذريّة لأن مثل أولئك لهم تأويل سائغ، وهؤلاء ليس لهم تأويل سايغ، ومثل أولئك إنما يكون خارجا عن طاعة الإمام، وهؤلاء خرجوا عن شريعة اللّه وسنته، وهم شر من التتار من وجوه متعدد **وقد اتفق العلماء على جواز قطع الشجر وتخريب العامر عند الحاجة إليه، فليس ذلك بأولى من قتل النفوس. وما أمكن غير ذلك، فإن القوم لم يحصوا كلهم من الأماكن التي اختفوا فيها ويئسوا من المقام في الجبل إلا حين قطعت الأشجار، وإلا كانوا يختفون حيث لا يمكن العلم بهم وما أمكن أن يسكن الجبل غيرهم.**

فالحمد للّه الذي يسر بهذا الفتح في دولة السلطان، وبهمته وعزمه وأمره، وإخلاء منهم، وأيضا فإنه بهذا قد انكسر من أهل البدع والنفاق بالشام ومصر والحجاز واليمن والعراق، ما يرفع اللّه به درجات السلطان، ويعز به أهل الإيمان.

إنها إذا سياسة قطع الأشجار وتخريب العامر وقتل النفوس وهدم الأضرحة الطاهرة لئلا يجد الشيعة مكانا يؤويهم أو يختبئون فيه ولو كان تحت الشجر أو الحجر.

هذا هو منطق ابن تيميه الأب المؤسس للوهابية التخريبية.

خلق تيار معاكس للمهدوية

التأمل في مذكرات المستر همفر يلاحظ أن الرجل لم يكن باحثا عن أي مخرب للإسلام وحسب بل كان يبحث عن مخرب من نوع معين فى مكان معين.

نجحت الاستخبارات الشيطانية البريطانية في اختراع بعض التيارات التخريبية مثل البهائية والقاديانية ولكنها لم تمنح أيا من هؤلاء دولة عاصمتها مكة والمدينة المنورة مهد الإسلام وحاضنته.

الهدف في تقديرنا لم يكن قاصرا على المزايا السلبية التخريبية للوهابية بل يتعداه إلى خلق تيار معاد للحركة المهدوية التي تهدف إلى توحيد الأمة ورص صفوفها.

لم تكن الاستخبارات البريطانية جاهلة بالمهدوية والدليل على ذلك ما قاله همفر في مذكراته (كان الشيعة ينظرون إلى الخلافة كأنها مارد لا يمكن أن يهزم إلا إذا ظهر (ولي الأمر). وولي الأمر عندهم هو إمامهم الثاني عشر من ذرية الرسول، الذي غاب عن الابصار عام ٢٥٥ هجرى، أي بعد ظهور رسولهم (٢٥٥) سنة، وهو حي إلى اليوم ثم يظهر ليملأ عدلا بعد أن مليء جورا).

كما أن هذه الاستخبارات كانت قد أعدت (مرجعا) بشحمه ولحمه ومعارفه ووضعته في مقر القيادة مما ساعدهم على وضع الخطط المضادة وهو ما يشبه الآن (نموذج الحاسوب computer model) الذي تستخدمه أجهزة المخابرات في التنبؤ بسلوكيات الخصم.

ورغم أن المستر همفر وصف المهدوية بالعقيدة الخرافية ثم عاد

وأكمل الوصف بأنها تماثل عقيدة المسيحيين الذين يؤمنون بعودة المسيح من عليائه ليملأ الدنيا عدلا ولا شك أن عقيدة عودة المسيح من وجهة نظر المسيحيين أكثر من كونها مجرد خرافة يعتنقها البعض فالمسيح عندهم تجسد للإله الخالق ومن ثم فالأمر جدي وليس مجرد هزل كما هو شأن المهدوية عند كثير من جهال المسلمين.

الأوراق كلها لم تكن عند المستر همفر بل كانت عند قيادته التي عرف عنها أنها تتعامل مع كل الاحتمالات ولا تستخف بأي منها ولذا فمن الواضح أنها أعدت العدة لقطع دابر هذا الاحتمال أو تجهيز الأعداء الطبيعيين وهم الوهابيون الامتداد التاريخي للخوارج الأقدمين.

كانت المخابرات البريطانية إذا تبحث عن بديل مزيف يمحو الأصل ويبقي صورة الإسلام ويشكل عدوا طبيعيا للإمام المهدي فكان أن وجدت في الوهابية ضالتها المنشودة.

الآن يتحدثون عن تصحيح (صورة الإسلام) في أعين الغرب وليس الدفاع عن حقيقته وجوهره بين أتباعه لأن هذا هو كل ما يعنيهم من أجل الاستمرار في مهمتهم التخريبية التي اضطلعوا بها أو كلفهم بها أولئك الذين اصطنعوهم وفرضوهم على المسلمين الذين كانوا وما زالوا ضحايا أكبر عملية تزييف للوعي في التاريخ الإنساني.

يقول الإمام علي بن أبي طالب في خطبته الطالوتية:

أَيُّهَا الأُمَّةُ الَّتِي خُدِعَتْ فَانْخَدَعَتْ، وَعَرَفَتْ خَدِيعَةَ مَنْ خَدَعَهَا، فَأَصَرَّتْ عَلَى مَا عَرَفَتْ، وَاتَّبَعَتْ أَهْوَاءَهَا، وَضَرَبَتْ فِي عَشْوَاءِ غَوَايَتِهَا، وَقَدِ اسْتَبَانَ لَهَا الْحَقُّ فَصَدَّتْ عَنْهُ، وَالطَّرِيقُ الْوَاضِحُ فَتَنَكَّبَتْهُ،

أَمَا وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ، لَوِ اقْتَبَسْتُمُ الْعِلْمَ مِنْ مَعْدِنِهِ، وَشَرِبْتُمُ الْمَاءَ بِعُذُوبَتِهِ، وَادَّخَرْتُمُ الْخَيْرَ مِنْ مَوْضِعِهِ، وَأَخَذْتُمُ الطَّرِيقَ مِنْ وَاضِحِهِ، وَسَلَكْتُمْ مِنَ الْحَقِّ نَهْجَهُ، لَنَهَجَتْ بِكُمُ السُّبُلُ. وَبَدَتْ لَكُمُ الأَعْلامُ، وَأَضَاءَ لَكُمُ الإِسْلامُ، فَأَكَلْتُمْ رَغَداً، وَمَا عَالَ فِيكُمْ عَائِلٌ، وَلا ظُلِمَ مِنْكُمْ مُسْلِمٌ وَلا مُعَاهَدٌ، وَلَكِنْ سَلَكْتُمْ سَبِيلَ الظَّلامِ، فَأَظْلَمَتْ عَلَيْكُمْ دُنْيَاكُمْ بِرُحْبِهَا، وَسُدَّتْ عَلَيْكُمْ أَبْوَابُ الْعِلْمِ، فَقُلْتُمْ بِأَهْوَائِكُمْ، وَاخْتَلَفْتُمْ فِي دِينِكُمْ، فَأَفْتَيْتُمْ فِي دِينِ اللهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ، وَاتَّبَعْتُمُ الْغُوَاةَ فَأَغْوَتْكُمْ، وَتَرَكْتُمُ الأَئِمَّةَ فَتَرَكُوكُمْ، فَأَصْبَحْتُمْ تَحْكُمُونَ بِأَهْوَائِكُمْ ...

إنه إذا السراب الذي اختاره المسلمون بملء إرادتهم عندما أعرضوا عن طريق الهداية وسبيل الرشاد الذي اختاره اللّه وسنه رسول اللّه لهم اتباعا لأئمة أهل البيت بدلا من التعبد بالأهواء والأخذ بالآراء المضللة التي هي من دون أدنى شك السير وراء الدجال.

البديل المزيف للإسلام الذي اختارته الأمة التي خدعت فانخدعت هو الدجال الذي حذر رسول اللّه ﷺ الأمة منه ومن يومها والمسلمون يعيشون ضحية للنصب والدجل والاحتيال الذي يصعب عليهم الفكاك منه ما لم يتمكنوا من تصحيح الوعي العام ليصبح قادرا على التمييز بين الخبيث والطيب بدلا من خداعهم بالصور والأشكال.

إن هذه الفرضية تدعمها عدد من الروايات التنبؤية التي تحدثت عن صدام محتوم بين صاحب الزمان وأتباع الدجال خوارج آخر الزمان:

١ - عن علي بن أبي عليه السلام (يسير الصديق الأكبر براية الهدى

والسيف ذو الفقار والمخصرة حتى ينزل أرض الهجرة مرتين وهي الكوفة فيهدم مسجدها ويبنيه على بنائه الأول ويهدم ما دونه من دور الجبابرة ويسير إلى البصرة حتى يشرف على بحرها ومعه التابوت وعصا موسى فيعزم عليه عزمة فيزفر زفرة بالبصرة فتصير بحرا لجيا فيغرقها لا يبقى فيها غير مسجدها كجؤجؤ السفينة على ظهر الماء ثم يسير إلى حرور ثم يحرقها ويسير من باب بني أسد حتى يزفر زفرة في ثقيف وهم زرع فرعون ثم يسير إلى مصر فيعلو منبره ويخطب الناس فتستبشر الأرض بالعدل وتعطي السماء قطرها والشجر ثمرها والأرض نباتها وتتزين لأهلها وتأمن الوحوش حتى ترتعي في طرف الأرض كأنعامهم وقذف في قلوب المؤمنين العلم فلا يحتاج مؤمن إلى ما عند أخيه من العلم)[1].

٢ ـ عن علي بن أبي طالب عليه السلام (ثم ركب ومر بهم وهم صرعى فقال لقد صرعكم من غركم قيل ومن غرهم قال الشيطان وأنفس السوء فقال أصحابه قد قطع اللّه دابرهم إلى آخر الدهر فقال كلا والذي نفسي بيده إنهم لفي أصلاب الرجال وأرحام النساء لا تخرج خارجة إلا خرجت بعدها مثلها حتى تخرج خارجة بين الفرات ودجلة مع رجل يقال له الأشمط يخرج إليه رجل منا أهل البيت فيقتله ولا تخرج بعدها خارجة إلى يوم القيامة)[2].

---

(١) معجم أحاديث المهدي عليه السلام، ج٥ ص ٨٢.

(٢) معجم أحاديث المهدي عليه السلام، ج٣، ص ١١٦.

٣ ـ عن الإمام الصادق عليه السلام أول خارجة خرجت على موسى بن عمران بمرج دابق وهو بالشام وخرجت على المسيح بحران وخرجت على أمير المؤمنين عليه السلام بالنهروان وتخرج على القائم بالدسكرة دسكرة الملك)[1].

٤ ـ روى أحمد في مسنده قال: حدثنا عبد الصمد ويونس قالا ثنا حماد يعني ابن سلمة عن الأزرق بن قيس أن شريك بن شهاب قال يونس الحارثي وهذا حديث عبد الصمد قال ليت أني رأيت رجلا من أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم يحدثني عن الخوارج قال فلقيت أبا برزة في نفر من أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم فقلت حدثني شيئا سمعته من رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم في الخوارج قال أحدثكم بشيء قد سمعته أذناي ورأته عيناي أتي رسول اللّه صلى الله عليه وآله وسلم بدنانير فقسمها وثم رجل مطموم الشعر آدم أو أسود بين عينيه أثر السجود عليه ثوبان أبيضان فجعل يأتيه من قبل يمينه ويتعرض له فلم يعطه شيئا قال يا محمد ما عدلت اليوم في القسمة فغضب غضبا شديدا ثم قال واللّه لا تجدون بعدي أحدا أعدل عليكم مني ثلاث مرات ثم قال يخرج من قبل المشرق رجال كان هذا منهم هديهم هكذا يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ثم لا يرجعون فيه سيماهم التحليق لا يزالون يخرجون حتى يخرج آخرهم مع الدجال فإذا لقيتموهم فاقتلوهم فهم شر الخلق والخليقة.

---

(١) معجم أحاديث المهدي عليه السلام، ج٤، ص٣٤.

٥ ـ عن أبي ذر الغفاري قال: قال رسول اللّه ﷺ: (مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح، من ركب فيها نجا، ومن تخلف عنها غرق ومن قاتلنا في آخر الزمان فكأنما قاتل مع الدجال)[1].

وقع المسلمون إذا في حبائل الدجل الديني والسياسي المتمثل في الوهابية المتحالفة مع قوى الاستكبار العالمي الراغبة في محو أي وجود فعلي لإسلام أهل بيت النبوة من على ظهر الأرض فضلا عن إقصاء الشيعة وإبقائهم دوما في أسفل درجات السلم الاجتماعي.

إنه تحالف يهدف إلى إزالة معالم الحضارة الإسلامية من فوق الأرض ويستخدم سياسة التدمير الممنهج لهذه المعالم خاصة تلك التي تنتمي لمدرسة أهل البيت عليهم السلام.

الذين يقع عليهم عبء مواجهة هذا النهج التدميري وتمهيد الأرض لاستقبال المهدي المنتظر يتعين عليهم تثبيت وجودهم السياسي والحضاري على هذه الأرض لتكون حاضنة ومهدا للممهدين ولقائد البشرية الموعود.

يتوجب على الشيعة الحفاظ على مكتسبات الجغرافيا السياسية وعدم التفريط فيها تحت أي ظرف من الظروف كونها ضرورة من ضرورات التمهيد للظهور المبارك لئلا يبقى الشيعة مخيرين بين الحصار داخل الجيتو الشيعي أو التفرق في البلدان حفاظا على مجرد الوجود والبقاء.

على القيادات السياسية الشيعية أن تتحلى بالمرونة وأن تتحرر

---

(١) معجم أحاديث المهدي عليه السلام، ج٢.

من تلك العقد الحاكمة للقرار الشيعي خلال القرون الماضية خاصة تلك التي أعطت نتائج سلبية في عالم السياسة وأضرت بمصالح المستضعفين أبلغ الضرر.

يقول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب: إِذَا اسْتَوْلَى الصَّلاَحُ عَلَى الزَّمَانِ وَأَهْلِهِ ثُمَّ أَسَاءَ رَجُلٌ الظَّنَّ بِرَجُل لَمْ تَظْهَرْ مِنْهُ خزْيَةٌ فَقَدْ ظَلَمَ! وَإِذَا اسْتَوْلَى الْفَسَادُ عَلَى الزَّمَانِ وأَهْلِهِ فَأَحْسَنَ رَجُلٌ الظَّنَّ بِرَجُل فَقَدْ غَرَّرَ![1].

المعنى أن التضحية بالمصالح السياسية للشيعة المضطهدين على محراب ما يسمونه بالوحدة الإسلامية والقومية العربية كان نوعا من التغرير والغرر ممن يؤتمن على مصالح الضعفاء والجياع واليتامى والأرامل وفاء لحفنة من المفسدين المخادعين.

الأسوأ من هذا أن هذه السياسة شجعت المسيئين على التمادي في عدوانهم وإساءتهم واعتبار ذلك الحيف والجور والصلف شأنا طبيعيا وحقا مشروعا لهم لا يمكن التمرد عليه.

(وَلاَ يَكُونَنَّ الْـمُحْسِنُ وَالْمُسِيءُ عِنْدَكَ بِمَنْزِلَة سَوَاء، فَإِنَّ فِي ذلِكَ تَزْهِيداً لِاهْلِ الاْحْسَانِ فِي الاْحْسَانِ، وتَدْرِيباً لِاهْلِ الاْسَاءَةِ عَلَى الاْسَاءَةِ)[2].

---

(١) نهج البلاغة. حكمة ١٠٩.

(٢) نهج البلاغة ،عهد الأشتر، رسالة ٥٣.

المهدوية وحراكنا الثقافي

في العام ١٩٧٦ وضع الباحث البريطاني (ريتشارد دوكينز) نظرية ومصطلح «الميمي» أي (وحدة المعلومات الثقافية) حيث يرى دوكينز أن نظرية تشارلز دارون في تطور الأنواع والاصطفاء الطبيعي ليست قاصرة على الأحياء البيولوجية بل ان الأفكار والمعتقدات تخضع في تطورها لعملية تطور وارتقاء باعتماد فكرة التنوع والاصطفاء والانتخاب الطبيعي والتنافس وتطوير الأنواع.. وبحسب دوكينز فان الأفكار والمعتقدات والفنون وطرق اللباس وانشاء الأبنية والتصميم العمراني كلها مثل الكائنات الحية يمكن أن تنقرض أو تنمو وتتطور وتنجو وتحيا.. أي قد تتعرض لطفرات اما نحو الأسوأ او نحو الأفضل.. وفيما تكون الطفرات في عالم الأحياء في المورثات (الجينات) نتيجة تعرض لحدث بيولوجي أو كيميائي كبير، فان الطفرات على الأفكار والعقائد تنتج عند التعرض لأحداث اجتماعية وسياسية كبيرة. فإما أن تنجو الأفكار وتنهض وتقفز نحو مرحلة جديدة ولون جديد وفروع فكرية جديدة أو تعاني النكوص والتراجع والاندحار مخلية السبيل لأفكار أخرى مغايرة..انه قانون الانتخاب الطبيعي واصطفاء الأفكار الميمي.

في كل خلية بيولوجية حية هناك برنامج وراثي يشرف على الانتحار الذاتي للخلية عند مرحلة عمرية معينة.. يشبه هذا البرنامج

الديناميت أوالقنبلة الموقوتة البيولوجية فتنطلق بسببه عملية الشيخوخة البشرية أو تصفرّ أوراق الشجر في الخريف وتسقط وكذا الثقافات التي تخضع لنفس مصير البيولوجيا الخلوية أي أن في كل فكرة اجتماعية أو دين أو عقيدة أو ايديولوجيا، هناك قنبلة موقوتة ولغم تتسبب ملامسته بانفجار الفكرة والعقيدة مالم يتمكن العقلاء والمفكرون من ابطال مفعول القنبلة الايديولوجية فتزدهر الحياة في العقيدة أو الدين أو الفكرة..وهكذا تتوالى الثقافات وتتنوع وتتهجن.. أو تنقرض.

من وجهة نظرنا فالفارق الجوهري بين التطور أو الإضمحلال البيولوجي وتطور الثقافات واصطفاء الأفكار أن الأول تلعب فيه الإرادة الإنسانية دورا محدودا أما في عالم الأفكار فالدور الذي تلعبه الإرادة الإنسانية في تنامي فكر معين أو انهياره وتداعيه جوهري وحيوي.

أيضا وخلافا لنظرية التطور والاصطفاء الطبيعي فنحن نعتقد بوجود القدرة الإلهية الخلاقة التي تلعب دورا رئيسا في توجيه مسارات التطور الفكري وتدفع بعض القوى نحو الانتحار والتفكك إما بسبب وجود عوامل التدمير الذاتي داخلها والتي تدفع هذه القوى دفعا في مسار انتحاري تصادمي يبدد شملها ويفتتها سواء سعت نحو هذا المسار بإرادتها أو جرى استدراجها بقوى خارجة عن إرادتها.

القدرة الإلهية يعبر عنها الآية الكريمة ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴾[1]، وقوله تعالى ﴿ قُلْ

(١) سورة الأنبياء، الآية: ١٨.

إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾ قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴾[1].

أما عن الحتمية التي تقود البعض في مسار نهايته التدمير الذاتي فيكشف عنها وصف الإمام علي بن أبي طالب للخوارج (كَلاَّ وَاللّه، إِنَّهُمْ نُطَفٌ فِي أَصْلاَبِ الرِّجَالِ، وَقَرَارَاتِ النِّسَاءِ، كُلَّمَا نَجَمَ مِنْهُمْ قَرْنٌ قُطِعَ، حَتَّى يَكُونَ آخِرُهُمْ لُصُوصاً سَلاَّبِينَ).

إنه قانون الدفع الإلهي ﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴾.

المهدوية والصراع الثقافي

في المقابل فإن الحركة المهدوية هي حركة سير تكاملي تقود البشرية بأسرها نحو الرقي والتقدم المعرفي والأخلاقي متكئة على الدعم والترشيد الإلهي حيث تتفاعل عوامل الاصطفاء داخلها مع عوامل الارتقاء خارجها لأن ما كان مرفوضا ومستهجنا من قبل القوى الاجتماعية المتنوعة يصبح مقبولا ومفهوما مع تواصل الترقي العقلي بالاستفادة من التجارب المتنوعة التي عركت العقل البشري ومنحته قدرة على الفهم والتقبل لم تكن متاحة في مراحل سابقة من التاريخ.

الآن تدور في عالمنا معارك فكرية كبرى تارة ضمن ما يفترض أنه منظومة حضارية واحدة تارة بين المكونات الثقافية الكبرى وتارة أخرى داخل هذه المكونات ناهيك عن الصراع بين المنظومات

---

(١) سورة سبأ، الآيتان: ٤٨-٤٩.

الحضارية الرئيسية في العالم ومثال ذلك الصراع بين العالم الإسلامي والحضارة الغربية المهيمنة على قسم كبير من العالم.

الآن هناك جدل بين المنظومتين الكبيرتين في عالمنا الإسلامي (الشيعة والسنة)، إلا أن الصخب الدائر بين الفريقين لا ينفي أن ثمة جدل وصدام أخطر وأهم داخل المنظومة السنية يمكن أن يحدد مصير هذه الكتلة البشرية الضخمة خلال العقود أو القرون القادمة.

لا شك أن الضفة الشيعية من العالم الإسلامي أصبحت أفضل أداءا من ذي قبل إلا أن تطور الأداء الشيعي الثقافي يبقى بطيئا وضعيفا ولا يتواءم مع احتياجات المرحلة ولا يقابل الهجمة الشرسة المضادة التي تصر على محو التشيع من الوجود ومن باب أولى ترى في انتظار الإمام المهدي نوعا من الخرافة.

الأداء الشيعي الثقافي يبقى خجولا ومتواضعا وفي بعض الأحيان يسعى البعض لتعويقه من الداخل ظنا من البعض أن الرهان على ما يسمى بالتقريب يفي بالغرض، في حين أثبتت التجارب أن المعاندين لا يضعون سقفا لطموحاتهم وأن التقريبيين هنا وهناك لا يحتلون مساحة كافية من الساحة وأن دورهم في التصدي للهجوم التكفيري كان دورا باهتا وهزيلا هذا لو سلمنا أن لهم دور.

يعرف القاصي والداني أن الهجمات التي شنت خلال الأعوام الماضية على ما يسمى بالتبشير الشيعي لم تكن مرتبطة ارتباطا حقيقيا بحراك شيعي من أي نوع بل بأجندات استخبارية تحركها أصابع وطنية أو إقليمية ودليل ذلك أن الحملات الكبرى قد توقفت وتراجعت قليلا برحيل الديكتاتور المخلوع ثم عادت أشد ضرواة مع مشروع

إزالة سوريا بالصورة التي نعرفها من الخارطة الدولية وتحويلها إلى كيان وهابي مسخ وهو المشروع الذي شارك فيه بجد ونشاط كل الجماعات الوهابية بدءا من الإخوان والقاعدة وأخيرا داعش الأكثر توحشا وهمجية.

كيف يمكن لنا أن نزعم أننا نمهد للمهدي أمره وظهوره ودولته دون تعريف الرأي العام بالمهدوية ودون نشر الكتاب الذي يعرف الناس بمبدأ ولاية أهل البيت وبفضلهم اعتمادا على هؤلاء القاعدين التقريبيين غير أولي الضرر والذين رأيناهم في الناحية الأخرى عندما حمي الوطيس وعلا رهج الحملة المضادة التي قادها وباركها الشيخ القرضاوي بالتعاون والتنسيق مع الأجهزة الاستخبارية؟!.

في تلك الفترة لم نكن نتعرض للهجوم من قبل أجهزة المخلوع فقط بل كان هناك من يرى في نشاطنا الثقافي التعريفي كارثة على التشيع ينبغي إيقافها والحجر علينا وأن الرأي العام سيثور وينقلب علينا وللأسف فإن صاحب هذا الرأي كان من المتنفذين في ساحة العمل الثقافي الشيعي.

مشروع إعادة تدوير الخلافة العثمانية

في المقابل فالمنظومة السنية تتجاهل المهدوية وتحلم بالعودة مرة أخرى إلى (خلافة على منهاج النبوة) ولذا فهي تسعى جاهدة لتحقيق هذا الحلم من خلال ما يسمى بالحركات والجماعات الإسلامية ومن ضمنها جماعة الإخوان التي أعلنت عقب فوزها في الانتخابات النيابية الأخيرة أنها أصبحت قاب قوسين أو أدنى من تحقيق هذا الحلم.

فقد نشرت جريدة المصري اليوم بتاريخ ٣٠/ ١٢/ ٢٠١١ تصريحات على لسان مرشد الإخوان قال فيها: «إن الجماعة أصبحت قريبة من تحقيق غايتها العظمى التى حددها مؤسسها حسن البنا، بإقامة نظام حكم عادل رشيد بكل مؤسساته ومقوماته، يتضمن حكومة ثم خلافة راشدة وأستاذية العالم». وأضاف «بديع» فى رسالته الأسبوعية (حينما بدأت دعوة الإخوان تحاول إرشاد الأمة وإيقاظها من جديد، لتردها إلى مكانتها ورسالتها بعد طول تأخر وركود، حدد الإمام (البنا) فى رسالة المؤتمر السادس غايتين لجماعته: الأولى قريبة تظهر ثمرتها من أول يوم ينضم فيه الفرد إلى الجماعة، والثانية بعيدة لابد فيها من توظيف الأحداث وانتظار الزمن وحسن الإعداد وسبق التكوين، وتشمل الإصلاح الشامل الكامل لكل شؤون الحياة).

وتابع بديع: «لقد حدد الإمام (البنا) لتلك الغاية العظمى أهدافاً مرحلية ووسائل تفصيلية، تبدأ بإصلاح الفرد ثم بناء الأسرة ثم إقامة المجتمع ثم الحكومة فالخلافة الراشدة فأستاذية العالم. وربط بديع بين الغاية العظمى وثورات الربيع العربى، قائلاً: «فى هذا الربيع العربى كان إصرار الشعوب الثائرة على أهداف محددة واضحة، تجتمع عليها ولا تتنازل عنها، سبباً رئيسياً فى تحقيق هذه الأهداف برحيل الأنظمة الجائرة والتخلص من كل منظومة الفساد التى جثمت على بلادنا فأفسدتها وأخرتها ونهبت مواردها وأعاقت تقدمها، لكننا اليوم أصبحنا قريبين من تحقيق غاية عظمى بإقامة نظام حكم عادل رشيد بكل مؤسساته واتهم مرشد الجماعة «المناوئين والمعاندين» بمحاولة تعطيلهم وشغلهم بمعارك جانبية، بدعاوى براقة لتمزيق

صفوف الأمة وذلك لتعطيل المسيرة وإجهاض الثورة وشغل الجماعة عن غاياتها العظمى وأهدافها المحددة[١]. انتهى.

من البديهي أن وهم إعادة الخلافة الأموية أو العباسية وربما التركية الأردوجانية يستند إلى فكر وثقافة ولكنها بكل تأكيد ثقافة تقوم على اجترار واجتزاء نصوص تراثية لم يجر التحقق من صحتها ولا أسانيدها ومن باب أولى مدى مطابقتها للواقع والسياق التاريخي لأسطورة الخلافة التي ماتت وشبعت موتا منذ أكثر من ألف عام ربما بعد مائة عام من بدء الخلافة العباسية.

الركض وراء وهم إعادة الخلافة يتناقض من وجهة نظر هؤلاء مع المساعي الرامية للتقريب المذهبي بل ويتناقض مع مسعى توحيد الأمة الإسلامية من أجل تحقيق هدف واحد حتى ولو كان هذا الهدف هو مواجهة العدو الصهيوني الغاصب للقدس.

وبينما يصر فريق الممانعة والمقاومة الذي شاءت الأقدار أن تكون قيادته ذات توجه موال لخط أهل البيت لكنها لم تغلق الباب أمام الآخرين للانضمام بل سعت لذلك وقدمت الدعم اللا مشروط لكافة قوى المقاومة دون شروط مذهبية يرى فريق الخلافة أن الفرصة سانحة لترتيب البيت بل وعلاقاته الدولية بصورة تتواءم مع هذا المشروع ثم البحث بعد ذلك عن حل لقضية فلسطين وسائر القضايا الكبرى للأمة حتى ولو كان هذا الحل على موائد الميسر الدولية.

من وجهة نظرنا فهذا هو التفسير الوحيد لانكفاء حركة حماس من

---

(١) http://www.almasry-alyoum.com

دمشق وهو التفسير الوحيد للموقف البارد الذي تتخذه قيادة الإخوان من الجمهورية الإسلامية ومن حزب اللّه.

نظرية الصلح الآمن مع الغرب وإسرائيل

لا عجب إذا أن يتبنى بعض (الإسلاميون) أو كلهم نظرية (الصلح الآمن مع الروم) في مواجهة (عدو واحد مشترك) هو الشيعة باعتبار أن هذا هو السبيل الوحيد لاستعادة الخلافة الراشدة.

يقول واضع النظرية (ابن عبد اللّه وهو اسم مستعار بالطبع ولعله ابن سبأ المعاصر!!) المنشورة على منتدى جماعة الإخوان في مصر:

في المرتكز الثاني لنظرية حلول عصر الصلح الآمن الإسلامي الغربي الذي يبحث في الثورات العربية والذي نشرناه قبل أشهر حددنا قناعات أربعة ترسخت بعد انتصار الثورة في تونس ومصر خصوصا تلك المتعلقة بأهمية التيارات الإسلامية في إنجاح الثورات وقدرتها على إدارة الثورة واتساع قاعدتها الشعبية وأنها ليست بالبعبع الذي كان يخوف به الحكام الجبريون أجزاء من شعوبهم ويخوف بهم الغرب من نجاح الثورات التي ستؤدي الى سيطرة الإسلاميين. ولذا أفردنا مرتكزا كان تسلسله الثامن بين مرتكزات النظرية ثبتنا فيه وأقررنا أن الشعوب الثائرة سائرة بإتجاه أن يكون للإسلام المعتدل الدور الكبير في قيادتها وذكرنا أسماء بعينها تطابقت الوقائع مع ما تحقق فكانت جزء من الأسماء القائدة فقد ذكرنا راشدالغنوشي وذكرنا توكل كرمان وذكرنا عصام العريان وهاهي الشعوب تختارهم وهاهو الغرب يقبلهم بل يكرمهم في بعض الأحيان ويحتفي بهم فللّه

الحمد من قبل ومن بعد. يبقى على هذه الحركات الحاكمة الآن أن تكون عند مستوى مسئولياتها وتعطي مثالا حسنا لخيار القوي الأمين. خلال نشر النظرية قبل أشهر كان الكثير يشكك في قدرة الإسلاميين للوصول للحكم من قبل منافسيهم. فضلا عن تشكيك البعض حتى من الإسلاميين أنفسهم أن الغرب لن يسمح بذلك أو أنه سيضع العراقيل لوصولهم للحكم لكن ما ذكرناه حينها كان مبشرا وكان يقينا نحمله يتماشى مع السياق العام للنظرية بزوال الحكم الجبري وعودة العدل للأرض ونهاية للتسلط الصفوي على بعض أراضي المسلمين وحاجة الغرب للمسلمين في هذه المرحلة. وقد تم هذا والحمد للّه ونحن نرى وصول الإسلاميين في تونس بقيادة النهضة ووصول الإسلاميين في المغرب بقيادة العدالة والتنمية وكذلك وصول واكتساح الحرية والعدالة للحكم في انتخابات مصر[1].

تستند النظرية الخرافة لما رواه (الشافعي السلمي) في كتاب (عقد الدرر في أخبار المهدي المنتظر) ونصه:

وعن ذي مخبر، رجل من أصحاب النبي ﷺ، وهو ابن أخي النجاشي، أنه سمع رسول اللّه ﷺ، يقول: «تصالحون الروم صلحاً آمناً، حتى تغزون أنتم وهم عدوا من ورائهم، فتنصرون وتغنمون وتنصرفون، حتى تنزلوا بمرج ذي تلول، فيقول قائل من الروم: غلب الصليب، ويقول قاتل من المسلمين: بل اللّه غالب. فيتداولانها بينهم، فيثور المسلم إلى صليبهم فيقتلونه، ويثور المسلمون إلى أسلحتهم فيقتتلون، فيكرم اللّه عز وجل تلك العصابة من المسلمين

(١) http://www.ikhwan.net/forum/showthread.

بالشهادة، فتقول الروم لصاحب الروم: كفيناك حد العرب، فيغدرون، ويجتمعون للملحمة، فيأتونكم تحت ثمانين غاية، تحت كل غاية اثنا عشر ألفاً».

أخرجه الإمام الحافظ أبو عبد اللّه الحاكم، في مستدركه.

وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه.

وأخرجه الإمام أبو داود، في سننه.

وأخرجه الحافظ أبو بكر البيهقي، في البعث والنشور.

ورواه الإمام أبو عبد اللّه نعيم بن حماد، في كتاب الفتن.

بين المهدوية والخلافة

المنهج الخطة الزمان المكان والقائد الرمز

لا يحتاج المرء لبذل جهد خارق لإدراك الفارق الجوهري بين مشروعين، المهدوي والخليفيتي الذي يتبلور الآن في مشروع الصلح الشامل مع الغرب (الروم) وأدواته في المنطقة ومن ضمنها من دون أدنى شك (إسرائيل).

ينطلق (الإسلاميون) في مشروعهم هذا من خطة براجماتية لا نرى لها ارتباطا بهذا الخط التنبؤي أو السياق المهدوي الذي وردت فيه الرواية إلا أن الدور الذي يقوم به أنصار نظرية الصلح الآمن مع أمريكا التي يظنونها (الروم) والذين يرون أن حاجة الغرب إليهم لمواجهة إيران والشيعة يعد حاسما في تحقيقهم للانتصار على أعدائهم المشتركين مع الغرب والصهاينة.

ورغم أن كلمة (الروم) لا تعني أمريكا أو الغرب بأي حال بلْ تعني (بلاد الأناضول) أو تركيا فإن الحاجة لتبرير وتقديم نظرية تسوق الأمة نحو حتفها باسم الدين أملت هذه القفزة على الحقيقة والواقع واللغة والسياق.

وبينما يشهد التاريخ أن مشروع الخلافة جرب بالفعل في أرض الواقع ليس لقرن واحد بل لمدة أربعة عشر قرن من الزمان وكانت أهم سماته التخبط والانتقال العشوائي من مرحلة لأخرى دون منار هدى ولا علم يرى باستثناء القوة القاهرة التي مكنت البعض من تنصيب خليفة يرمز إلى فكرة يراها القوم ثابتة وهي أن ولاية الأمر ليست ولا يمكن أن تكون لآل محمد.

ولأن ولاية الأمر لا يمكن أن تكون لآل محمد فلا مانع عندهم أن تكون لمن غلب وركب وسماه الناس أميرا للمؤمنين ولا مانع أيضا من التحالف مع الصهاينة والأمريكان من أجل مواجهة (الاحتلال الصفوي لبلاد المسلمين) وتحديدا بلاد الإخوان المسلمين!!.

أمويون عباسيون سلاجقة.....

لا يهم فالفتاوى جاهزة لتبرير وتمرير تداول سلطة تعتمد على شرعية دينية زائفة أما السلطة الزمنية فهي للسلاجقة تارة والعبيد المماليك تارة أخرى.

أخيرا وفي أوائل القرن الميلادي العشرين سقطت تلك الغلالة الشرعية الزائفة وبدلا من أن يثوب القوم إلى رشدهم إذا بهم يعاودون الكرة بحثا عن غلالة شرعية أكثر زيفا والمثير للسخرية أن عملية

البحث تجري هذه المرة بالتعاون والتنسيق مع جون ماكين وجون كيري وجيمي كارتر وبإرشاد مباشر من جيفري فيلتمان رضي اللّه عنه وأرضاه!!.

كيف صدق هؤلاء الحمقى أن الغرب الذي حارب كل الإمبراطوريات المنافسة ليبقى متربعا وحده على عرش العالم يمكن له أن يساعدهم في إنجاز حلمهم الوهم ليوجد لنفسه منافسا مهيمنا على منابع النفط والطاقة وخطوط المواصلات الرئيسية في العالم والأهم من هذا أن هذا المنافس المحتمل يدعي لنفسه أستاذية الدنيا؟!.

الأهم من هذا أن هذا (الصلح الآمن) بين (الإسلام المعتدل) والغرب قد جرب منذ قرون ثم جرب وجرب ولم يخرج المعتدلون من هذا التحالف بغير الخيبة والخذلان المبين.

لم يقصر الغرب (الروم) في جر (طغاة العرب) لمقاتلة (عدو واحد) (مدغدغا عقولهم التي لا تختلف عن عقول الضفادع) كلما احتاج لمقاتلين مرتزقة يحاربون نيابة عنه سواء لمحاربة الروم (الترك العثمانيين) أو لمحاربة (الروس) والآن لمحاربة الشيعة وإيران وفي كل مرة لم يكن يحتاج لأكثر من الإشادة باعتدالهم وعقلهم وحكمة شيوخ القبائل ليسوق الآلاف لحتفهم أو لمعتقلاتهم!!.

إنها إذا (أحلام وعقول الضفادع) التي لا تحتاج لأكثر من بركة ضحلة من المياه تمارس القفز والنقيق فيها وتزعم أن العالم بأسره يشيد بصفائها وعذوبة مائها الرقراق خاصة عمهم جيمي كارتر الذي جاء بنفسه إلى مصر وتأكد من حب الشعب لهم!!.

على الناحية الأخرى نرى أن الخط المهدوي يستند إلى دعائم فكرية وتاريخية راسخة ليس فيها مجال للتخبط والتخمين أو الرهان على فرص انتهازية من ذلك النوع الذي أتاحه ما يسمى بالربيع العربي بعد أن قرر الأمريكان إعادة استخدام نفس القوى التي استخدمها من قبل في هدم الإمبراطورية العثمانية ثم أعاد توظيفها في هدم الإمبراطورية السوفييتية دون أن يمنحهم أي مكافأة على ما قدموه من خدمات بل أبقاهم دوما في حالة ترقب وانتظار لما يجود به عليهم الغرب المسيطر على شئون العالم ﴿ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴾.

منذ البدء كان لشيعة أهل البيت موقفهم الثابت انتظارا للمهدي من آل محمد وما يرتبه هذا الموقف من رؤية للأحداث التي مر بها عالمنا الإسلامي وهو موقف لم يكن يحتاج لربيع عربي ولا خريف أمريكي بل هو موقف مشيد على دعائم راسخة واضحة منذ البدء.

يروي ابن أبي الحديد في شرح النهج قال أبو الفرج الأصفهاني: عن سفيان بن أبي ليلى، قال: أتيت الحسن بن علي حين بايع معاوية، فوجدته بفناء داره، وعنده رهط، فقلت: السلام عليك يا مذل المؤمنين قال وعليك السلام ياسفيان ونزلت فعقلت راحلتي ثم أتيته فجلست إليه فقال: كيف قلت يا سفيان؟ قلت: السلام عليك يا مذل المؤمنين! فقال: لم جرى هذا منك إلينا؟ قلت: أنت واللّه بأبي وأمي أذللت رقابنا حيث أعطيت هذا الطاغية البيعة، وسلمت الامر إلى اللعين ابن آكلة الاكباد، ومعك مائة ألف كلهم يموت دونك، فقد جمع اللّه عليك أمر الناس. فقال: ياسفيان، إنا أهل

بيت إذا علمنا الحق تمسكنا به، وإني سمعت عليا يقول: سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: «لا تذهب الليالي والايام حتى يجتمع أمر هذه الامة على رجل واسع السرم ضخم البلعوم، يأكل ولا يشبع لا ينظر اللّه إليه ولا يموت حتى لا يكون له في السماء عاذر ولا في الارض ناصر» وأنه لمعاوية وإني عرفت أن اللّه بالغ أمره. ثم أذن المؤذن، فقمنا على حالب نحلب ناقته، فتناول الاناء، فشرب قائما، ثم سقاني، وخرجنا نمشي إلى المسجد، فقال لي: ما جاء بك يا سفيان؟ قلت حبكم والذى بعث محمدا بالهدى ودين الحق! قال: فابشر يا سفيان، فانى سمعت عليا يقول: سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: يرد علي الحوض أهل بيتي ومن أحبهم من أمتى كهاتين -يعنى السبابتين أو كهاتين يعنى السبابة والوسطى- إحداهما تفضل على الاخرى أبشر يا سفيان، فإن الدنيا تسع البر والفاجر، حتى يبعث اللّه إمام الحق من آل محمد ﷺ.

قرون طويلة من الانتظار عاشها المؤمنون بولاية آل محمد وتعاقب فيها أجيال انتظارا لليوم الموعود وفي تلك الفترة تواصل التطور الفكري نحو الأمام وتواصلت عملية الاصطفاء على مستوى الفكر وعلى مستوى حملة الفكر فالبشرية حتما تتجه نحو النضوج وتتسع آفاقها العقلية ويتحسن أداؤها العقلي حتى ولو كان هذا التطور بطيئا ويحتاج إلى صبر ورسوخ الجبال.

الإيمان بولاية أهل بيت النبوة والالتزام بنهجهم ليس بالأمر اليسير (إِنَّ أَمْرَنا صَعْبٌ مُسْتَصْعَبٌ لاَ يَحْتَمِلُهُ إِلاَّ عَبْدٌ مُؤْمِنٌ امْتَحَنَ اللّهُ قَلْبَهُ لِلإِيمَانِ، وَلاَ يَعِي حَدِيثَنَا إِلاَّ صُدُورٌ أَمِينَةٌ، وَأَحْلاَمٌ رَزِينَةٌ) فما بالك

بالسعي الدءوب إقامة دولتهم دولة الحق التي تملأ الأرض عدلا بعد أن ملئت ظلما وجورا.

منذ قرابة أربعة عشر قرن تأوه الإمام علي بن أبي طالب شوقا لرؤية رجال اللّه حملة الجبال لا لأن أحدا منهم لم يكن موجودا آنئذ فهم دوما موجودون ولكن ربما كان عددهم لا يكفي للقيام بالمهمة كاملة كما أن الظروف المحيطة لم تكن لتساعدهم على أداء دورهم في تغيير العالم بأسره.

تأوه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب حسرة وشوقا لرؤية هذه النخبة المصطفاة من رجال اللّه رجال العلم والإيمان والجهاد الزاهدين في الدنيا (الأَقَلُّونَ عَدَداً، وَالأَعْظَمُونَ قَدْراً، يَحْفَظُ اللّهُ بِهِمْ حُجَجَهُ وَبَيِّنَاتِهِ، حَتَّى يُودِعُوهَا نُظَرَاءَهُمْ، وَيَزْرَعُوهَا فِي قُلُوبِ أَشْبَاهِهِمْ، هَجَمَ بِهِمُ الْعِلْمُ عَلَى حَقِيقَةِ الْبَصِيرَةِ، وَبَاشَرُوا رُوحَ الْيَقِينِ، وَاسْتَلاَنُوا مَا اسْتَوْعَرَهُ الْمُتْرَفُونَ، وَأَنِسُوا بِمَا اسْتَوْحَشَ مِنْهُ الْجَاهِلُونَ وَصَحِبُوا الدُّنْيَا بِأَبْدَان أَرْوَاحُهَا مُعَلَّقَةٌ بِالْمَحَلِّ الأَعْلَى أُولئِكَ خُلَفَاءُ اللّهِ فِي أَرْضِهِ، وَالدُّعَاةُ إِلَى دِينِهِ، آهِ آهِ شَوْقاً إِلَى رُؤْيَتِهِمْ).

إنه الانتخاب الإلهي للصفوة المعدة القادرة على قهر الصعاب متسلحة بروح اليقين ممن لم تقتصر معارفهم على ظواهر العلم وقشوره وزينته فكان أن أدركوا حقيقة البصيرة وكان أن استلانوا ما استوعره المترفون وأنسوا بما استوحش منه الجاهلون فترجم هذا العلم سلوكا وزهدا ومواقف رسالية تميز بين الحق والباطل والصواب والخطأ وكان أن نجاهم اللّه من الفخاخ والحفر التي نصبها المحتالون الكبار.

لم يكن هذا التطور والاصطفاء ليحصل بين عشية وضحاها ولا في قرن واحد من الزمان بل استغرق قرونا وحقبا من الزمان تقلب فيه القادة الأدعياء الجاهلون وقلبوا معهم أمتهم من كارثة إلى كارثة ومن خسران إلى دمار و﴿ بَدَّلُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّواْ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴾.

منذ أربعة عشر قرن وعملية الاصطفاء الفكري والذاتي يتواصل تهيئة للمجتمع بأسره وتهيئة للنخبة المختارة للاضطلاع بدورها وصولا لليوم الموعود.

يروي النعماني في كتاب (الغيبة) عن أبي عبد اللّه:

«أما لو كملت العدة الموصوفة ثلاثمائة وبضعة عشر كان الذي تريدون، ولكن شيعتنا من لا يعدو صوته سمعه ولا شحناؤه بدنه، ولا يمدح بنا معلنا، ولا يخاصم بنا قاليا، ولا يجالس لنا عايبا، ولا يحدث لنا ثالبا، ولا يحب لنا مبغضا، ولا يبغض لنا محبا، فقلت فكيف أصنع بهذه الشيعة المختلفة الذين يقولون إنهم يتشيعون؟ فقال: فيهم التمييز وفيهم التمحيص، وفيهم التبديل، يأتي عليهم سنون تفنيهم، وسيف يقتلهم، واختلاف يبددهم، إنما شيعتنا من لا يهر هرير الكلب، ولا يطمع طمع الغراب، ولا يسأل الناس بكفه وإن مات جوعا، قلت جعلت فداك فأين أطلب هؤلاء الموصوفين بهذه الصفة؟ فقال: أطلبهم في أطراف الارض، أولئك الخفيض عيشهم، المنتقلة دارهم، الذين إن شهدوا لم يعرفوا وإن غابوا لم يفتقدوا، وإن مرضوا لم يعادوا، وإن خطبوا لم يزوجوا، وإن ماتوا لم يشهدوا أولئك الذين في أموالهم يتواسون وفي قبورهم يتزاورون، ولا تختلف أهواؤهم، وإن اختلفت بهم البلدان «

وفي رواية أخرى يؤكد الإمام الصادق جعفر بن محمد على مفهوم السير نحو التكامل فيقول سلام اللّه عليه لبعض أصحابه:

(كلا، إنكم مؤمنون ولكن لا تكملون إيمانكم حتى يخرج قائمنا فعندها يجمع اللّه أحلامكم فتكونون مؤمنين كاملين، ولو لم يكن في الارض مؤمنين كاملين إذا لرفعنا اللّه إليه وأنكرتم وأنكرتكم الارض وأنكرتم وأنكرتكم السماء بل والذي نفسي بيده إن في الارض في أطرافها مؤمنين ما قدر الدنيا كلها عندهم تعدل جناح بعوضة).

ولا شك أن كلمة الإمام (يجمع اللّه أحلامكم فتكونون مؤمنين كاملين) تكشف عن أهمية التطور الفكري والعقلي لأصحاب الإمام وتهيئة المناخ الإجتماعي لاستقبال المخلص المنتظر.

أخيراً نقول:

أن تطور حركة التمهيد والممهدين نحو التكامل والاصطفاء الفكري هو حقيقة وضرورة يقع واجب القيام بها على أصحاب القرار في عالمنا الإسلامي وأن العمل الثقافي والفكري التعريفي ضرورة لازمة للتمهيد لا يجوز التقاعس عنها ولا التلهي بها بمشاريع بديلة قد يرى البعض ضرورتها ولكننا لا نرى أولويتها.

التحليل السياسي لعلامات الظهور

فرغت من كتابة هذا البحث يناير ٢٠١٧ وكان من المفترض أن أقوم بقراءته في مؤتمر المهدوية أوائل مايو السابق ولكنا لم نتمكن من السفر لحضور المؤتمر.

بعض ما فيه تحقق حرفيا (بعيدا عن أسماء الأشخاص والمدن) ومن ضمنها ذلك الانشقاق الخطير في المعسكر السفياني مما يستدعي إلقاء مزيد من الضوء على المسألة برمتها في بحث قادم.

البحث:

كثير هي الكتابات التي تناولت علامات الظهور اعتمادا على الروايات الواردة عن النبي المصطفى وآل بيته الأطهار صلوات اللّه وسلامه عليهم مع التعسف في الربط بين الروايات والوقائع الجارية وأيضا مع السياق القرآني لقراءة التاريخ.

في الخطبة التي ألقاها سماحة السيد حسن نصر اللّه في تأبين العلامة الشيخ عبد الناصر الجبري بتاريخ ٢٧ ديسمبر ٢٠١٦ أكد أن (المستقبل في المنطقة هو للمقاومة ومحورها، وهذا كلام يترجم بالدم والتضحيات).

في المقابل خرج من الغرب كثير من التحليلات مؤكدة أن هزيمة حلب هي الأسوأ التي تلقتها أمريكا وأزلامها منذ حرب فييتنام.

المعنى أن زمانا كان فيه الغرب المعادي لأي نهوض إسلامي هو المقرر الأوحد لمن يبقى ومن يرحل من النظم الحاكمة قد مضى وأن زمانا تمتلك فيه الأمة قرارها وإرادتها يوشك على البزوغ.

أيضا نلاحظ الخلط بين علامات الظهور وحركة التمهيد التي يشارك فيها أعداد جمة من المؤمنين بالمهدي وليس بضعة أشخاص مهما كان قدرهم وجلالهم.

العلامة نقطة محددة ترشد السائرين على الدرب لا تختلف عن لوحات الإرشاد الموضوعة على الطرق، تكمن أهميتها في أنها تشير إلى نهاية مرحلة وبداية أخرى لكنها لا تنشيء توجها ولا تحدد مسارا، فالاختيار يحدده الإنسان عند بدء المسير لا عند نقطة الانعطاف.

المسار المهدوي لا يختلف عن مسار موسى عليه السلام الذي أمره ربه أن يتجه شرقا أما العلامة الفارقة فظهرت عندما أشرف موسى ومن معه على البحر الأحمر ونترك السرد لكتاب اللّه.

﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِىٓ إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ۝٥٢ فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ۝٥٣ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ۝٥٤ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ۝٥٥ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ۝٥٦ فَأَخْرَجْنَٰهُم مِّن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝٥٧ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ۝٥٨ كَذَٰلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَٰهَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ۝٥٩ فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ ۝٦٠ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ۝٦١ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ۝٦٢ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ

ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْآخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْآخَرِينَ ﴾[1].

زمان وزمان!!

في أزمان مضت اجتاحت العالم الإسلامي جماعات وعصابات مارست شتى صنوف الإبادة ضد المسلمين عامة وضد الشيعة خاصة وتفننت في تسوية إنجازات الحضارة بالأرض وخير شاهد على هذا ما فعله يوسف ابن أيوب بمصر وحضارتها وثقافتها بل ومساجدها ولم يكن هناك من يمكنه وقفه أو منعه من استكمال أعماله التخريبية!!.

أهرامات الجيزة تحولت إلى أحجار لبناء قلعة تقيه الموت وكتب القصر الفاطمي التي قارب عددها المليوني كتاب إما بيعت أو جرى استخدام جلودها لصناعة النعال وما تبقى منها تحول إلى وقود للأفران.

الذي لم يصدق ما ذكرناه عن تدمير صلاح الدين لحضارة مصر عليه وأهراماتها ومكتباتها عليه أن يرى بعينيه على الهواء مباشرة كيف يتفنن الآن أحفاده الدواعش في تدمير حضارة الشام والعراق وتسويتها بالتراب!!.

كان ولا زال رهان المعادين لنهوض الأمة الإسلامية قائما على الحيلولة بين أي عناصر أو قوى قادرة على إعادة إحياء هذه الأمة التي تكالب عليها (الغز) أيا كانت أعراقهم وفصائلهم، من التبلور في إطار

---

(١) سورة الشعراء، الآيات: ٥٢-٦٦.

متماسك يحفظ العرض والأرض ويقود مسيرة تقدم حقيقي وليس تقدما زائفا روج له البعض تقليدا للغرب في ملبسه ومطعمه.

في زمان مضى لم يكن هناك منظمات حقوق إنسان لا تقدر على غير التشهير بهؤلاء الهمج المتوحشين لكنها لا تستطيع منعهم من ارتكاب جرئمهم ومجازرهم!!.

لهم القدرة على ارتكاب المجازر ولنا حق سبهم وشتمهم على طريقة أوسعناهم شتما لكنهم فازوا بالإبل!!.

الجديد في واقعنا أننا أصبحنا نسمع عن المجازر وحفلات الدمار الشامل التي يحييها برابرة الأمة وقت حدوثها (غالبا وليس دائما) لكننا لا نمتلك دوما قدرة الحيلولة دون وقوعها أو معاقبة مرتكبيها فورا، فهذا يحتاج إلى قوة يريد الغرب وحلفاؤه حرماننا منها حتى قيام الساعة!!.

بين الغرب البراجماتي والوهابي التدميري

لسنا مضطرين لإثبات رفض قبولنا للهيمنة الغربية على مقدرات أمتنا الإسلامية كمقدمة للقول بأن ما عانته هذه الأمة من ويلات على يد المنتمين للإسلام زورا وبهتانا بلغت أضعاف ما ألحقه بنا الغرب من دمار وقتل وخراب.

عندما دخل الإنجليز أو الفرنسيون إلى مصر لم يهدموا الأهرامات ولم يدمروا المكتبات بل جاءوا معهم بمكتبة ومطبعة!!.

جاءوا للهيمنة.. هذا صحيح لكنهم لم يفعلوا بنا ما فعله صلاح الدين ولا أردوجان، لذا تجد في الروايات تحديدا للعدو الأول

للمهدي المنتظر وهو نهج السفياني الأموي من ولد خالد بن يزيد بن أبي سفيان.

السفياني متحالف مع الغرب الإمبريالي ويعمل تحت قيادته ولولا تلك النسخة المزيفة من الإسلام التي تمكن من ترويجها وفرضها علينا لما تمكن الغرب من احتلال أراضينا والهيمنة على مقدراتنا وثرواتنا وتسخيرها لصالحه.

السفياني الصهيوهابي في أفكاره، الأموي في جرائمه وأفعاله ليس منتجا غربيا بل هو منتج (إسلامي) لم يزد دور الغرب عن رعايته وتوفير الظروف الملائمة لتمدده وانتشاره ثم استثماره ومن ثم فلا معنى لإلقاء كامل اللوم على الغرب والاستلقاء على حائط النكبة وصب اللعنات على من سهلوا لا من أسسوا وروجوا واستمتعوا بذبح الأبرياء وتدمير البنايات والحضارات!!.

البحث في دهاليز الروايات عن سفياني فرد ما زال البعض ينتظر ظهوره من الوادي اليابس ليدمر بلاد الشام وينشر الرعب والقتل في العراق ويصطدم مع الخراساني يكشف عن عدم استيعاب ما جرى في ساحة الصراع بين المهدوية والسفيانية طيلة ستة أعوام مضت ومن باب أولى طيلة قرون خلت تسيد فيها الخط السفياني.

أن يصر البعض على انتظار سفياني جديد غير هؤلاء فهذا يعني أنه لا يدرك عظمة من يقفون الآن في مواجهة كتيبة القردة والخنازير وعبد الطاغوت الذين يتصدرهم آل سعود وأردوجان وهو ما يشبه إلى حد ما من قال فيهم رب العزة ﴿ وَقَالُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانُ عَلَىٰ رَجُلٖ مِّنَ ٱلۡقَرۡيَتَيۡنِ عَظِيمٍ ٣١ أَهُمۡ يَقۡسِمُونَ رَحۡمَتَ رَبِّكَۚ نَحۡنُ قَسَمۡنَا بَيۡنَهُم

مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَاۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّاۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾[1].

هل ما زلتم تبحثون عمن هو أكثر توحشا ودناءة وانحطاطا من هؤلاء الأوباش؟!.

يصف الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام مشهد دخول موسى عليه السلام على فرعون في هيئة متواضعة لا تعبر عن التحولات الهائلة في الموازين التي كانت توشك أن تغير المشهد الكوني منذ تلك اللحظة فيقول: وَلَقَدْ دَخَلَ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ وَمَعَهُ أَخُوهُ هَارُونُ عليهما السلام عَلَى فِرْعَوْنَ وَعَلَيْهِمَا مَدَارِعُ الصُّوفِ وَبِأَيْدِيهِمَا الْعِصِيُّ فَشَرَطَا لَهُ إِنْ أَسْلَمَ بَقَاءَ مُلْكِهِ وَدَوَامَ عِزِّهِ فَقَالَ أَلَا تَعْجَبُونَ مِنْ هَذَيْنِ يَشْرِطَانِ لِي دَوَامَ الْعِزِّ وَبَقَاءَ الْمُلْكِ وَهُمَا بِمَا تَرَوْنَ مِنْ حَالِ الْفَقْرِ وَ الذُّلِّ فَهَلَّا أُلْقِيَ عَلَيْهِمَا أَسَاوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ إِعْظَاماً لِلذَّهَبِ وَجَمْعِهِ وَاحْتِقَاراً لِلصُّوفِ وَلُبْسِهِ وَلَوْ أَرَادَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِأَنْبِيَائِهِ حَيْثُ بَعَثَهُمْ أَنْ يَفْتَحَ لَهُمْ كُنُوزَ الذِّهْبَانِ وَمَعَادِنَ الْعِقْيَانِ وَمَغَارِسَ الْجِنَانِ وَأَنْ يَحْشُرَ مَعَهُمْ طُيُورَ السَّمَاءِ وَوُحُوشَ الْأَرَضِينَ لَفَعَلَ وَلَوْ فَعَلَ لَسَقَطَ الْبَلَاءُ وَبَطَلَ الْجَزَاءُ وَاضْمَحَلَّتِ الْأَنْبَاءُ وَلَمَا وَجَبَ لِلْقَابِلِينَ أُجُورُ الْمُبْتَلَيْنَ وَلَا اسْتَحَقَّ الْمُؤْمِنُونَ ثَوَابَ الْمُحْسِنِينَ وَلَا لَزِمَتِ الْأَسْمَاءُ مَعَانِيَهَا وَلَكِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ رُسُلَهُ أُولِي قُوَّةٍ فِي عَزَائِمِهِمْ وَضَعَفَةً فِيمَا تَرَى الْأَعْيُنُ مِنْ حَالَاتِهِمْ مَعَ قَنَاعَةٍ تَمْلَأُ الْقُلُوبَ وَالْعُيُونَ غِنًى وَخَصَاصَةٍ تَمْلَأُ الْأَبْصَارَ وَالْأَسْمَاعَ أَذًى وَلَوْ كَانَتِ الْأَنْبِيَاءُ أَهْلَ قُوَّةٍ لَا تُرَامُ وَعِزَّةٍ لَا تُضَامُ وَمُلْكٍ تُمَدُّ نَحْوَهُ أَعْنَاقُ الرِّجَالِ وَتُشَدُّ إِلَيْهِ عُقَدُ الرِّحَالِ لَكَانَ ذَلِكَ أَهْوَنَ عَلَى الْخَلْقِ

---

(١) سورة الزخرف، الآيتان: ٣١-٣٢.

فِي الِاعْتِبَارِ وَأَبْعَدَ لَهُمْ فِي الِاسْتِكْبَارِ وَلَآمَنُوا عَنْ رَهْبَةٍ قَاهِرَةٍ لَهُمْ أَوْ رَغْبَةٍ مَائِلَةٍ بِهِمْ فَكَانَتِ النِّيَّاتُ مُشْتَرَكَةً وَالْحَسَنَاتُ مُقْتَسَمَةً وَلَكِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ الِاتِّبَاعُ لِرُسُلِهِ وَالتَّصْدِيقُ بِكُتُبِهِ وَالْخُشُوعُ لِوَجْهِهِ وَالِاسْتِكَانَةُ لِأَمْرِهِ وَالِاسْتِسْلَامُ لِطَاعَتِهِ أُمُوراً لَهُ خَاصَّةً لَا تَشُوبُهَا مِنْ غَيْرِهَا شَائِبَةٌ وَكُلَّمَا كَانَتِ الْبَلْوَى وَالِاخْتِبَارُ أَعْظَمَ كَانَتِ الْمَثُوبَةُ وَالْجَزَاءُ أَجْزَلَ.

التماثل واضح بين النموذجين، نموذج المواجهة بين رجال اللّه والسفياني حيث يقلل البعض من شأنهم ويراهم مجرد مقاتلين تقليديين ونموذج المواجهة بين موسى عليه السلام وفرعون حيث لم يكن لموسى نبي اللّه أدوات مبهرة تخطف أبصار المتابعين ولذا وصفه فرعون ﴿أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ﴾، ولا يمكن أن تخطئه عين المتأمل البصير!!.

اللَّهُ سُبْحَانَهُ جَعَلَ رُسُلَهُ (وأولياءه) أُولِي قُوَّةٍ فِي عَزَائِمِهِمْ وَضَعَفَةً فِيمَا تَرَى الْأَعْيُنُ مِنْ حَالَاتِهِمْ مَعَ قَنَاعَةٍ تَمْلَأُ الْقُلُوبَ وَالْعُيُونَ غِنًى وَخَصَاصَةٍ تَمْلَأُ الْأَبْصَارَ وَالْأَسْمَاعَ أَذًى.....

اللّه سبحانه وتعالى لم يجعل أولياءه كما أنبيائه منذ البدء، أَهْلَ قُوَّةٍ لَا تُرَامُ وَعِزَّةٍ لَا تُضَامُ وَمُلْكٍ تُمَدُّ نَحْوَهُ أَعْنَاقُ الرِّجَالِ وَتُشَدُّ إِلَيْهِ عُقَدُ الرِّحَالِ لأن ذَلِكَ أَهْوَنَ عَلَى الْخَلْقِ فِي الِاعْتِبَارِ وَأَبْعَدَ لَهُمْ فِي الِاسْتِكْبَارِ وَلَآمَنُوا عَنْ رَهْبَةٍ قَاهِرَةٍ لَهُمْ أَوْ رَغْبَةٍ مَائِلَةٍ بِهِمْ فَكَانَتِ النِّيَّاتُ مُشْتَرَكَةً وَالْحَسَنَاتُ مُقْتَسَمَةً.

أولياء اللّه الممهدون صنفان (إِمَّا خَائِفاً مَغْمُوراً) قد يبقى هكذا

حتى عصر الظهور أو (ظَاهِراً مَشْهُوراً) وهم العلامات والمقدمات وفي كلِ خير لا يعرف قدره إلا اللّه تبارك وتعالى وكما قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (اللَّهُمَّ بَلَى لَا تَخْلُو الْأَرْضُ مِنْ قَائِمٍ لِلَّهِ بِحُجَّةٍ إِمَّا ظَاهِراً مَشْهُوراً وَإِمَّا خَائِفاً مَغْمُوراً لِئَلَّا تَبْطُلَ حُجَجُ اللَّهِ وَبَيِّنَاتُهُ وَكَمْ ذَا وَأَيْنَ أُولَئِكَ، أُولَئِكَ وَ اللَّهِ الْأَقَلُّونَ عَدَداً وَالْأَعْظَمُونَ عِنْدَ اللَّهِ قَدْراً يَحْفَظُ اللَّهُ بِهِمْ حُجَجَهُ وَبَيِّنَاتِهِ حَتَّى يُودِعُوهَا نُظَرَاءَهُمْ وَيَزْرَعُوهَا فِي قُلُوبِ أَشْبَاهِهِمْ هَجَمَ بِهِمُ الْعِلْمُ عَلَى حَقِيقَةِ الْبَصِيرَةِ وَبَاشَرُوا رُوحَ الْيَقِينِ وَاسْتَلَانُوا مَا اسْتَوْعَرَهُ الْمُتْرَفُونَ وَأَنِسُوا بِمَا اسْتَوْحَشَ مِنْهُ الْجَاهِلُونَ وَصَحِبُوا الدُّنْيَا بِأَبْدَانٍ أَرْوَاحُهَا مُعَلَّقَةٌ بِالْمَحَلِّ الْأَعْلَى أُولَئِكَ خُلَفَاءُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ وَالدُّعَاةُ إِلَى دِينِهِ آهِ آهِ شَوْقاً إِلَى رُؤْيَتِهِمْ).

هكذا نرى مشهد تحرك الفاعلين الرئيسيين في مسرح الظهور حيث تصعد هذه القوى صعودا صعبا كؤودا ويستصغرهم من يراقب المشهد من الأعداء وحتى بعض الأولياء إلا أن انتباه الأعداء لخطرهم أسرع من انتباه الأولياء الشغوفين بعلمهم ومعارفهم ممن يرون لأنفسهم حق الترقي والصعود أو من يعتقدون أن هؤلاء السابقين السابقين لا يتميزون عنهم بشيء إضافي إلا أن اللّه سبحانه وتعالى أعلم حيث يجعل رسالته.

تشابهت الأجسام وتقاربت العلوم إلا أن اللّه وحده هو عالم السر وأخفى وهو وحده من يعلم خاصة أوليائه ويصطنعهم لنفسه ويرشدهم إلى حيث تلتقي المسارات ويجمعهم لشر يوم لبني أمية كما يجمع قزع الخريف.

(فَإِذَا كَانَ ذَلِكَ ضَرَبَ يَعْسُوبُ الدِّينِ بِذَنَبِهِ فَيَجْتَمِعُونَ إِلَيْهِ كَمَا يَجْتَمِعُ قَزَعُ الْخَرِيفِ)[1].

السؤال هو: أين كان صناع التاريخ الذي عناهم أمير المؤمنين عليه السلام بكلامه هذا؟!.

هل كانوا نائمين في بيوتهم أم أنهم كان يعدون ويهيئون الأرض لاستقبال يعسوب الدين، وكما قلت من قبل فالعلة الأساس التي اصابت العالم الإسلامي بالعطب والدمار هو إمعان قوى الشر والإجرام في التنكيل بهؤلاء وأمثالهم من رجال اللّه وتشتيتهم والحيلولة بينهم وبين التجمع المصدر الأساس للقوة والمنعة؟!.

اللّه تبارك وتعالى (سيجمعهم) والجمع هنا يعني استحضار هذه الذخائر المودعة في علم الغيب والتي ما كان لها أن تؤدي دورها وتقوم بواجبها لولا من سبقهم ممن مهد للحق وعرف الناس به وقارع الباطل وأفسد مكائد الأعداء وأبطل شرورهم.

(افْتَرَقُوا بَعْدَ أُلْفَتِهِمْ وَتَشَتَّتُوا عَنْ أَصْلِهِمْ فَمِنْهُمْ آخِذٌ بِغُصْنٍ أَيْنَمَا مَالَ مَالَ مَعَهُ عَلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَيَجْمَعُهُمْ لِشَرِّ يَوْمٍ لِبَنِي أُمَيَّةَ كَمَا تَجْتَمِعُ قَزَعُ الْخَرِيفِ يُؤَلِّفُ اللَّهُ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَجْمَعُهُمْ رُكَاماً كَرُكَامِ السَّحَابِ ثُمَّ يَفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَاباً يَسِيلُونَ مِنْ مُسْتَثَارِهِمْ كَسَيْلِ الْجَنَّتَيْنِ حَيْثُ لَمْ تَسْلَمْ عَلَيْهِ قَارَةٌ وَ لَمْ تَثْبُتْ عَلَيْهِ أَكَمَةٌ وَ لَمْ يَرُدَّ سَنَنَهُ رَصٌّ طَوْدٍ وَلَا حِدَابُ أَرْضٍ يُذَعْذِعُهُمُ اللَّهُ فِي بُطُونِ أَوْدِيَتِهِ ثُمَّ يَسْلُكُهُمْ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ يَأْخُذُ بِهِمْ مِنْ قَوْمٍ حُقُوقَ قَوْمٍ وَيُمَكِّنُ لِقَوْمٍ فِي دِيَارِ قَوْمٍ وَايْمُ

(١) نهج البلاغة، حكمة ١.

اللَّهِ لَيَذُوبَنَّ مَا فِي أَيْدِيهِمْ بَعْدَ الْعُلُوِّ وَالتَّمْكِينِ كَمَا تَذُوبُ الْأَلْيَةُ عَلَى النَّارِ).

مما يؤسف له أننا نحن المسلمين نعاني من عقدة الماضوية لا بمعناها القيمي لكن بمعناها الشخصي فالرموز عندنا يمكن ألا تحظى بما تستحق من رعاية ومساندة (دعك من التكريم) إلا بعد موتهم وموت منافسيهم على طريقة (لألفينك بعد الموت تندبني «وتُكَرِمَني» وفي حياتي ما زودتني زادا)!!!.

ما نصفه ليس بعيدا عن تاريخ الأنبياء وما قصة يوسف عليه السلام منا ببعيد.

المعنى الذي نقصده أن إصرار البعض على رمي الكرة بعيدا عن ملعب الأحداث الجارية لا يستند بالضرورة إلى بصيرة أطلت من رؤوس البعض وعمي عنها الآخرون بل إلى مزاج نفسي وانطباع شخصي (وما ابرؤ نفسي)!!.

المهدوية وقانون الدفع الإلهي

الخطأ الذي وقع فيه أولئك الذين حصروا رؤيتهم لمشهد الظهور في العلامات مما دفع بعض الدجاجلة لمحاولة سرقة بعضها مثل مدعي اليمانية الذي يزعم أنه أول المهديين ويدعو الناس لبيعته، أنهم لم يربطوا بما يكفي بين المهدوية وحركة الدفع ومواجهة الطغيان داخل الأمة الإسلامية مما دفع البعض لاعتبار الحراك المهدوي حالة مستقلة قائمة بذاتها ومنفصلة عما عاشته الأمة من قبل.

ألا تكون يمانيا ولا خراسانيا فأنت لست مهدويا أو أنت شخص

هامشي لا وزن لك، هكذا يبسط لنا البعض المسألة!!.

قانون الدفع يقسم الكون إلى قسمين: مفسدون ومناوئون لهؤلاء المفسدين ﴿ وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢٥٠ فَهَزَمُوهُم بِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّفَسَدَتِ ٱلۡأَرۡضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾[1].

في الآيات السابقة كان المناوئون لجالوت أتباعا لنبي اللّه داود أي أنهم من عباد اللّه الصالحين، إلاّ أن تعطيل آلة الفساد يمكن أن يحدث بسبب اصطدامها مع آلة فساد أخرى ﴿ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾[2].

دفع الباطل وإفشال خططه يمكن أن يحدث بسبب اصطدامه مع جماعة مشابهة، إلاّ أن المهمة تبقى في أساسها مهمة أهل الحق وهم رجال اللّه الممهدون للظهور المهدوي.

المعنى أن الحراك الممهد لم يبدأ مع انتصار الثورة الإسلامية في إيران ولا قبل هذا بفترة محددة بل بدأ منذ بعث محمد بن عبد اللّه رحمة للعالمين وكان ما كان من أحداث ومآس تعرضت لها الأمة.

النبوءة والمتنبأ به!!

لم يكن النبي الأكرم محمد ﷺ، وآله عليهم السلام يطلقون كلامهم في

---

(١) سورة البقرة، الآيتان: ٢٥٠-٢٥١.

(٢) سورة الحج، الآية: ٤٠.

فراغ مطلق حتى وإن لم يُفهم كلامهم على الوجه الصحيح من قبل المستهدفين بالخطاب!!.

كم توجع الإمام علي عليه السلام ممن لا يعون ولا يفهمون ما يعظهم به عليه السلام حيث يقول عليه السلام (وَلَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّكُمْ تَقُولُونَ عَلِيٌّ يَكْذِبُ قَاتَلَكُمُ اللَّهُ تَعَالَى فَعَلَى مَنْ أَكْذِبُ أَعَلَى اللَّهِ فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِهِ أَمْ عَلَى نَبِيِّهِ فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ صَدَّقَهُ كَلَّا وَاللَّهِ لَكِنَّهَا لَهْجَةٌ غِبْتُمْ عَنْهَا وَ لَمْ تَكُونُوا مِنْ أَهْلِهَا وَيْلُ أُمِّهِ كَيْلًا بِغَيْرِ ثَمَنٍ لَوْ كَانَ لَهُ وِعَاءٌ وَ لَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ)!!.

منذ بدء الحديث عن المهدي القادم ولو بعد حينٍ، كانت قضية الإصلاح والتغيير مطروحة، ليس للمناقشة وإنما للعمل والبذل ولم يكن طرحها لإفراغ ذمة المخاطبين وإلقاء العبء على القادم بعد أكثر من ألف عام وإنما لتعبيد طريقه وتمهيد الأرض لمجيئه ليلقى أنصار الحق مكتملي العدد والعدة، والعدة هنا ليس وقفا على السلاح وإنما ارتقاء بالفهم وتمحيصا للنفوس وتهيئة لها لتحمل تبعات مرحلة ما أصعبها.. وما أروعها.

(اللَّهُمَّ بَلَى لَا تَخْلُو الْأَرْضُ مِنْ قَائِمٍ لِلَّهِ بِحُجَّةٍ إِمَّا ظَاهِراً مَشْهُوراً وَإِمَّا خَائِفاً مَغْمُوراً لِئَلَّا تَبْطُلَ حُجَجُ اللَّهِ وَبَيِّنَاتُهُ وَكَمْ ذَا وَأَيْنَ أُولَئِكَ، أُولَئِكَ وَاللَّهِ الْأَقَلُّونَ عَدَداً وَالْأَعْظَمُونَ عِنْدَ اللَّهِ قَدْراً يَحْفَظُ اللَّهُ بِهِمْ حُجَجَهُ وَبَيِّنَاتِهِ حَتَّى يُودِعُوهَا نُظَرَاءَهُمْ وَيَزْرَعُوهَا فِي قُلُوبِ أَشْبَاهِهِمْ هَجَمَ بِهِمُ الْعِلْمُ عَلَى حَقِيقَةِ الْبَصِيرَةِ وَبَاشَرُوا رُوحَ الْيَقِينِ وَاسْتَلَانُوا مَا اسْتَوْعَرَهُ الْمُتْرَفُونَ وَأَنِسُوا بِمَا اسْتَوْحَشَ مِنْهُ الْجَاهِلُونَ وَصَحِبُوا الدُّنْيَا بِأَبْدَانٍ أَرْوَاحُهَا مُعَلَّقَةٌ بِالْمَحَلِّ الْأَعْلَى أُولَئِكَ خُلَفَاءُ اللَّهِ فِي

أَرْضِهِ وَالدُّعَاةُ إِلَى دِينِهِ آهِ آهِ شَوْقاً إِلَى رُؤْيَتِهِمْ.

المعنى أن عملية التمهيد للمشهد الأروع والأعظم في التاريخ بدأت منذ نزول القرآن ومنذ نطق رسول اللّه ﷺ والأئمة الأطهار بتلك النبوءات فاستوعبها أناس وعمي عن رؤيتها آخرون ألهتهم الحياة الدنيا وزخرفها وفرحوا بها وحولوا كيان الإسلام إلى كيان سلطوي لا بقاء فيه إلا للأقوى والأكثر قدرة على الكذب والتزييف لا مكان فيها للمستضعفين الذين جاء الإسلام لتحريرهم ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾[1].

المشهد الآن: صراع عسكري أم صراع شامل؟!.

لن أزعم كما يزعم البعض ممن يدعون لأنفسهم قدرة رسم خارطة كاملة شاملة لعلامات الظهور ولشخوصها البارزة فالأمر يشبه إلى حد كبير خطة العمليات العسكرية التي تضعها القيادة العامة وتعطي للقيادات العاملة تحت إمرتها كل حسب حاجته.

الصيحة وهي من العلامات التي نطق بها كتاب اللّه عز وجل:

﴿ وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴾[2].

يروي الشافعي السلمي في عقد الدرر: عن محمد بن علي، عليه السلام، قال: الصوت في شهر رمضان، في ليلة جمعة، فاسمعوا وأطيعوا، وفي آخر النهار صوت الملعون إبليس، ينادي: ألا إن فلاناً قد قُتل

(١) سورة القصص، الآية: ٥.

(٢) سورة ق، الآيات: ٤١-٤٣.

مظلوماً. يشكك الناس ويفتنهم، فكم في ذلك اليوم من شاك متحير، فإذا سمعتم الصوت في رمضان - يعني الأول - فلا تشكوا أنه صوت جبريل، وعلامة ذلك أنه ينادي باسم المهدي واسم أبيه. وعن أمير المؤمنين علي عليه السلام، قال: إذا نادى مناد من السماء، إن الحق في آل محمدٍ، فعند ذلك يظهر المهدي. وعن الزهري، قال: إذا التقى السفياني والمهدي للقتال يومئذ يسمع صوت من السماء: ألا إن أولياء اللّه أَصحاب فلان. يعني المهدي.

الصيحة والنداء (أن الحق في آل محمد) وهما بمعنى واحد تأتي بمثابة إعلان ومجاهرة وتحد في مواجهة طواغيت الأرض أعداء آل محمد وهو ما لم يكن متاحا لشيعة أهل البيت ومواليهم طيلة قرون خلت، كما أنها تأتي كنداء من السماء عبر الأقمار الصناعية تصل إلى كل مكان تصل إليه موجات البث.

نحن هنا لا نتحدث عن دور الإعلام والفضائيات وحدها حيث نعدها جزءا وركنا هاما من حراك فكري وثقافي تتميز به مرحلة التحضير للظهور، حراك يخترق حجب التعتيم المفروض على مدرسة أهل البيت عامة وعلى القضية المهدوية بصورة خاصة.

لا (مانع) لدينا أن تأخذ الصيحة شكل النداء المباشر من السماء رغم أن ممانعتنا أو عدمها لن تغير شيئا في الواقع، إلا أن النداء السماوي لا يلزم أن يكون بهذه الصورة فالأمر جاء من رب السماء والأرض ونفذه أهل الأرض استجابة لربهم وسواء كان الناطق (أن الحق في آل محمد) وأن (أولياء اللّه هم شيعة علي) شخص أو عدة أشخاص أو منظومة نذروا أنفسهم لإبلاغ رسالات اللّه ﴿ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ

رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهُۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴾[1]، فالنتيجة واحدة، بل أن إيصال الرسالة للمرسل إليهم بلسان بشري هو القانون الحاكم لخط الرسالات السماوية.

كما أننا نزعم أن التدخل الإلهي بهذه الصورة المباشرة يكاد أن يكون ممتنعا لقوله تعالى ﴿ إِن نَّشَأۡ نُنَزِّلۡ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتۡ أَعۡنَٰقُهُمۡ لَهَا خَٰضِعِينَ ﴾[2].

ولو كان نزول الكف المدلاة من السماء أو سماع الصيحة من وراء السحب أمرا واردا بهذه الصورة لقال عز من قائل (سننزل عليهم من السماء آية...) ولم يعلق الأمر على المشيئة ولا سبقها بإن وهي تعني قلة الاحتمال والحدوث.

الذي نؤمن به أن معجزة الإسلام الكبرى هي العقل وهذا لا ينفي وجود المعجزات الحسية التي لم تكن تهدف لإقناع الجموع بصحة الوحي والمعتقد بل الوصول إلى نهاية شوط الاحتجاج مع المعاندين وإثبات أن سبب إعراضهم عن الإيمان لا يرتبط بنقص الحجة والدليل بل لعناد أصلي كامن فيهم لا يجدي معه لا منطق ولا دليل ولا حتى معجزة خارقة للمألوف.

المعنى الذي نريد الوصول إليه أن أهل العناد لا تنفع معهم الحجج والآيات ورغم أنهم يقرون بالإمام المهدي عليه السلام في كتبهم وكما قال تعالى ﴿ وَلَئِنۡ أَتَيۡتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٖ مَّا تَبِعُواْ قِبۡلَتَكَۚ وَمَآ أَنتَ

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٩.

(٢) سورة الشعراء، الآية: ٤.

بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[1].

المعاندون لأصل الدعوة الإسلامية أقل سوءا من معاندي الإمام المهدي عليه السلام خاصة وأهل بيت النبوة عامة لأن الأولين لم يكونوا يحسبون أنهم على شيء ولا كانوا يزعمون أنهم وحدهم الفرقة الناجية وكل من عداهم في النار كما يفعل المتأخرون ﴿ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴾[2]، وقوله تعالى ﴿ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴾[3]، وقوله سبحانه ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴾[4].

الصيحة أو النداء الذي يسبق ظهور الإمام المهدي عليه السلام موجه في الأساس للغالبية العظمى من المرتابين والمترددين ممن عميت عليهم الحقائق وجرى تضليلهم عن الصراط ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾[5]، وهو نداء كما تبين الآيات يسبق الظهور المبارك ويأتي في توقيت يكون تضعضع قوى أعداء الإمام عليه السلام واضحا وباديا للعيان ﴿ وَقِيلَ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ

---

(١) سورة البقرة، الآيتان: ١٤٦-١٤.

(٢) سورة الأعراف، الآية: ٣٠.

(٣) سورة الزخرف، الآية: ٣٧.

(٤) سورة المجادلة، الآية: ١٨.

(٥) سورة القصص، الآيتان: ٦٥-٦٦.

فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ ۚ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُواْ يَهْتَدُونَ ﴾[1].

عندها سيكون للنداء أثر كبير في استجلاب هؤلاء المترددين نحو معسكر الحق ممن وصفتهم الرواية (فكم في ذلك اليوم من شاك متحير) وهو ما تشير إليه أيضا الآية الكريمة ﴿ فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ﴾[2].

قد يشكل البعض على هذه الرؤية قائلا أن هذا الحال مختص بيوم القيامة وردنا أن ما ورد في القرآن من آيات تنتظم ضمن قانون العدالة الإلهية الشاملة التي تنطبق على أحوال الدنيا كما تنطبق على أحوال وأهوال يوم القيامة والأمر لا يعدو كونه تفصيلا لأوجه العلاقة الإشكالية بين المستكبرين والمستضعفين وليس بين س وص باعتبارها علاقة ثنائية بحتة.

لدينا إذا معسكران متواجهان يمهدان للمواجهة الفاصلة.

معسكران لكل منهما امتدادات وتحالفات.

معسكر الباطل الذي يقوده الشيطان الرجيم مستخدما كل أدوات الخيانة والغدر والتضليل، إلا أنه تكون على أساس الغش وهو قابل للتفكك والانهيار في أي لحظة خاصة إذا بلغت الأزمة شدتها وساعتها ستتبخر وعود الدعم والنصرة وهو ما بدأت معالمه في الاتضاح الآن.

أما المعسكر المقابل فهو معسكر الإمام عليه السلام والوفاء والإخلاص شرط بقائه الأهم، فإن لم يتوفر فلا نصر ولا ظهور.

---

(١) سورة القصص، الآية: ٦٤.

(٢) سورة القصص، الآية: ٦٧.

في رأينا أن الصيحة والنداء يشكلان المعركة في بعدها الإعلامي والسياسي.

يروي الشيخ المفيد عن أبي جعفر محمد بن علي عليه السلام: خروج السفياني واليماني والخراساني في سنة واحدة، في شهر واحد، في يوم واحد، نظام كنظام الخرز يتبع بعضه بعضا فيكون البأس من كل وجه، ويل لمن ناواهم، وليس في الرايات راية أهدى من راية اليماني، هى راية هدى لانه يدعو إلى صاحبكم فإذا خرج اليماني حرم بيع السلاح على الناس وكل مسلم، وإذا خرج اليمانى فانهض إليه، فإن رايته راية هدى، ولا يحل لمسلم أن يلتوي عليه، فمن فعل ذلك فهو من أهل النار، لانه يدعو إلى الحق وإلى طريق مستقيم. ثم قال لي: إن ذهاب ملك بني فلان كقصع الفخار وكرجل كانت في يده فخارة وهو يمشي إذ سقطت من يده وهو ساه عنها فأنكسرت، فقال حين سقطت: هاه - شبه الفزع - فذهاب ملكهم هكذا أغفل ما كانوا عن ذهابه.

اليماني رجل (رجال) دعوة وهم متواجدون على الساحة قبل وأثناء الاشتباك ودورهم الأهم سيبقى ويستمر بعد انتهاء الحاجة لحمل السلاح.

مسرح الأحداث!!

يذكر العلامة السيد محسن الأمين في (أعيان الشيعة):

خروج السفياني والخراساني واليماني وخسف بالبيداء وقد استفاضت الروايات في أن السفياني من المحتوم الذي لا بد منه وانه لا يكون قائم الا بسفياني ونحو ذلك.

اختلاف رمحين بالشام ورجفة بها وخسف بحرستا واقبال قوم من المغرب إليها، غيبة الشيخ بالاسناد عن أمير المؤمنين عليه السلام إذا اختلف رمحان بالشام فهو آية من آيات اللّه تعالى قيل ثم مه قال ثم رجفة تكون بالشام يهلك فيها مائة ألف يجعلها اللّه رحمة للمؤمنين وعذابا على الكافرين فإذا كان ذلك فانظروا إلى أصحاب البراذين الشهب والرايات الصفر تقبل من المغرب حتى تحل بالشام فإذا كان ذلك فانتظروا خسفا بقرية من قرى الشام يقال لها حرستا فإذا كان ذلك فانتظروا ابن آكلة الأكباد بوادي اليابس.

غيبة النعماني مثله: الا أنه قال لم تنجل الا عن آية من آيات اللّه قيل وماهي يا أمير المؤمنين قال رجفة تكون بالشام يقتل فيها أكثر من مائة ألف وقال البراذين الشهب المحذوقة وزاد بعد قوله تحل بالشام وذلك عند الجزع الأكبر والموت الأحمر وبعد قوله حرستا فإذا كان ذلك خرج ابن آكلة الأكباد من الوادي اليابس حتى يستوي على منبر دمشق فإذا كان ذلك فانتظروا خروج المهدي.

كما روى النعماني بسنده عن أمير المؤمنين عليه السلام انتظروا الفرج من ثلاث.

اختلاف أهل الشام بينهم والرايات السود من خراسان والفزعة في شهر رمضان الحديث.

وبسنده عن الباقر عليه السلام لا يظهر القائم حتى يشمل الشام فتنة يطلبون المخرج منها فلا يجدونه.....

تحدد الروايات مسرحا معينا للأحداث التي تسبق ظهور المهدوي المنتظر عليه السلام نراه متطابقا مع ما يسمى بالهلال الشيعي الرابط بين

الشام والعراق (لَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى ضِلِّيلٍ قَدْ نَعَقَ بِالشَّامِ وَفَحَصَ بِرَايَاتِهِ فِي ضَوَاحِي كُوفَانَ)[1]، فضلا عن الروايات الأخرى التي تتحدث عن الشام عامة وعن معركة قرقيسيا (البصيرة) في دير الزور السورية الواقعة الآن تحت احتلال تنظيم داعش.

نلاحظ أيضا أن الخراساني هو القائد الاستراتيجي لهذه المعارك التي تدور الآن من ضواحي كوفان التي لامس حدودها التنظيمات الإرهابية الوهابية بعد اجتياح الموصل عام ٢٠١٤ وصولا إلى الشام.

تلك هي المعركة الأساس التي ستقرر نتائجها مصير قلب العالم الإسلامي ومقدساته حتى نهاية التاريخ.

الحديث أن اليماني (أهدى الرايات) لا يعني أنه يقع في مقابل الخراساني بل يعني أن المعركة التي يخوضها رجال اللّه رجالات المهدي المنتظر هي معركة حق وبصيرة وليست أبدا معركة علو وتسلط كما في الجبهة المقابلة حيث التسلط والعلو في الأرض والقضاء على من يأمرون الناس بالقسط هو الهدف والغاية.

أن يكون التمهيد المهدوي ذو جناحين سياسي ودعوي فهو كما قال تبارك وتعالى ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[2].

---

(١) نهج البلاغة، خطبة ١٠١.

(٢) سورة الحديد، الآية: ٢٥.

اليماني يهدي إلى الحق وإلى طريق مستقيم!!.

لا شك أن أول صيحة ونداء أن (الحق في آل محمد) أطلقها آية اللّه الخميني قبل ٣٨ عاما عندما أعلن ثورة الشعب الإيراني حيث ما يزال ذلك النداء وأصدائه يتردد في أرجاء الكون ثم جاء من ينقله للناس كافة وهو ما أقض مضاجع الاستكبار العالمي وأطار النوم من أعينهم، كما أن مفاعيل هذا النداء لا تقل أهمية عن السلاح والحروب التي خاضها رجال اللّه من أجل تعبيد الطريق لصاحب الأمر والزمان.

لماذا اليماني وليس اليَمني؟!.

قطعا لا نسعى للتقليل من دور أهل اليمن في التمهيد، إلآ أن هذه التسمية تتقاطع مع صفة شخصية لأحد الممهدين.

يروي صاحب عقد الدرر عن إبراهيم جعفر محمد بن علي، عليهم السلام، قال: يخرج شاب من بني هاشم، **بكفه اليمنى خال**، من خراسان، برايات سود، بين يديه شعيب بن صالح، يقاتل أصحاب السفياني فيهزمهم. وأخرجه الحافظ أبو عبد اللّه نعيم بن حماد.

ربما كانت علامة جسدية وليست جغرافية، رغم أن رواية أخرى تجعل هذه العلامة الجسدية في كفه اليسرى والرواية عن عقد الدرر للشافعي السلمي:

عن أبي قبيل، عن أبي رومان، عن علي عليه السلام، قال: يلتقي السفياني ذا الرايات السود، فيهم شاب من بني هاشم، في كفه اليسرى خال، وعلى مقدمته رجل من بني تميم، يقال له شعيب بن صالح (التميمي)

بباب إصطخر، فتكون بينهم ملحمة عظيمة، وتظهر الرايات السود، وتهرب خيل السفياني، فعند ذلك يتمنى الناس المهدي ويطلبونه.

أخرجه الحافظ أبو عبد اللّه نعيم بن حماد، في كتاب الفتن.

انشقاق خطير في المعسكر السفياني!!

يروي الشيخ المفيد في كتاب الغيبة عن أبي جعفر الباقر عليه السلام: عن أبي جعفر عليه السلام قال: «يقوم القائم عليه السلام في وتر من السنين: تسع، واحدة، ثلاث، خمس. ثم قال: إذا اختلفت بنو امية وذهب ملكهم، ثم يملك بنو العباس، فلا يزالون في عنفوان من الملك وغضارة من العيش حتى يختلفوا فيما بينهم، فإذا اختلفوا ذهب ملكهم، واختلف أهل المشرق وأهل المغرب، نعم وأهل القبلة.

وعنه أيضا: إذا اختلفت بنو فلان فيما بينهم، فعند ذلك فانتظروا الفرج، وليس فرجكم إلا في اختلاف بني فلان، فإذا أختلفوا فتوقعوا الصيحة في شهر رمضان وخروج القائم عليه السلام، إن اللّه يفعل ما يشاء، ولن يخرج القائم ولا ترون ما تحبون حتى يختلف بنو فلان فيما بينهم، فإذا كان كذلك طمع الناس فيهم واختلفت الكلمة، وخرج السفياني.

كما يروي أيضا عن أبي عبد اللّه عليه السلام: لقائم آل محمد غيبتان إحداهما أطول من الاخرى؟ فقال: نعم ولا يكون ذلك حتى يختلف سيف بني فلان وتضيق الحلقة، ويظهر السفيانى ويشتد البلاء، ويشمل الناس موت وقتل يلجأون فيه إلى حرم اللّه وحرم رسوله صلى الله عليه وآله وسلم».

مما سبق يتبين لنا التزامن بين الأحداث التي تقع ضمن تلك الجبهات المشتعلة التي أشرنا إليها.

- فتنة هائلة في بلاد الشام أشعلها المعسكر السفياني ظنا منه أنها ستمكنه من القضاء على المعسكر المهدوي.
- تفاعلات الفتنة داخل المعسكر السفياني التي تقود لتفتته وانقسامه مما يعطي مزيدا من القوة والزخم للمعسكر المهدوي بل وأدت إلى طمع الناس فيهم وتشجعهم على خلع طاعتهم والتمرد عليهم.
- الدور الرئيس للخراساني القائد الاستراتيجي للقوى المهدوية في مواجهة المعسكر السفياني وهزيمته.
- الدور الرئيس لليماني داعية الحق والرشد في إعلان أن الحق في آل محمد في مواجهة حملات التضليل السفياني التي تزعم أن الحق لا يمكن أن يكون في آل محمد!!.

هذا هو سياق الأحداث وفقا للروايات المنقول أغلبها عن أئمة أهل البيت عليهم السلام وهو ذات السياق الوارد في آيات سورة القصص والتي تحدثنا عن تأويلها فيما سبق والتي تبدأ بالنداء ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾[1] إلى قوله تعالى ﴿ فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ﴾[2].

---

(١) سورة القصص، الآية: ٦٢.

(٢) سورة القصص، الآية: ٦٧.